

محمد حلاوة

رواية

فيلا الحملاوي

الكتاب:	فيلا الحملأوي
المؤلف:	محمد حلأوة
تصميم الغلاف:	محمد مجاهد
المراجعة اللغوية:	مؤسسة إبداع
رقم الإيداع:	2016 / 2906
الترقيم الدولي:	6 - 152 - 779 - 977 - 978
الإخراج الفني:	مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبد الله



جميع الحقوق محفوظة

وأى اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبایل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

محمد حلاوة
رواية
فيلا الحملاوي



oboiikan.com

الإهداء

إلى شقة شارع ترسا الموازي لشارع الهرم والتي بُتُّ فيها ليلة الرابع
من فبراير ٢٠١٥.

من الجيد أن تلبي دعوة أحدهم لزيارته في منزله ، ما لم يكن ذلك
بعد مُنتصف الليل!

دق الباب فجأة..

لم أكن أصنع شيئاً في هذا المكان الخانق ذى الرائحة الكريهة إلا أنني أحببت أن أختبئ لحظات بعيداً عن الضجيج في الخارج، كل ما جرى في الليلة الماضية صار يومض كالبرق الخاطف في عقلي، لكن هذا الطارق لم يمهلني قليلاً لأتذكر ما يكفي مما حدث!

فتحت باب الحمام وتحتيت جانباً حتى يتسنى له المرور بجسده السمين، ثم سرت في طرفة القطار عائداً إلى مقعدي بجوار النافذة.

كانت القاطرة تشتعل بأغنية إنجليزية أطلق لها العنان أحد الشباب الصاخبين في وسط القاطرة، وكأن أحداً لا يملك طاقة الحديث لهذا الشاب، حتى يطلب منه خفض الصوت، أو أن أحداً لا يزعجه الأمر، فانشغل الجميع بما لديهم، وانشغلت أنا بالإنصات لكلمات هذه الأغنية..

الشمس تختفى..

النجوم تظهر..

وكل ما يهم الآن..

ما هو موجود الآن..

عالمي لن يكون مثل ما هو..!

انتابتنى رجفة خفيفة وأنا أنصت إلى هذا المقطع الأخير.. وكنت أعلم السبب!

أوشكت تلك المساحات الشاسعة من الحقول الخضراء أن تبتلع الشمس في جوفها حين كنت مستقلا قطارى القادم من القاهرة عائدا إلى الديار، وعندما أستقل قطارا - وهذا من النادر لأنني لا أفارق مسكني كثيرا - فإنني أتوجه مباشرة نحو النافذة فأمد بصري نحو كل شيء وأي شيء.

بجوار النافذة أخذت أتأمل المنازل والشمس تزحف من فوقها لتترك المجال للأضواء الكهربائية التي تشتعل تدريجيا وهي تتغنى بمقولة فيروز الخالدة: "غاب نهاراً آخر".

كنت أتأمل الضوء المنبعث من الشرفات وأتخيل ما يدور بداخلها.. ربما فتاة تتعى حظها بعد أن أرغمها أبوها على الزواج بشخص لا ترغب به.. ربما أم تذاكر لأبنائها بعد أن توفى عنها زوجها.. ربما عائلة تتجمع لتقسيم أرض أو تركة.. أو ربما أحدهم يخطط لجريمة ما!

شد أنظاري أسراب بلشون القطعان - ما يعرف في مصر بأبو قردان - وهى تحلق عاليا قاصدة أعشاشها ببطون ممتلئة وأرواح راضية لتتعم بليل هادى على أغصان الأشجار العالية فتبدو من كثرة أعدادها على الغصون ليلا وكأنها نجوم بيضاء ترينت في سماء مظلمة.

إلى جوارى جلست سيدة ترتدى عباءة سوداء في الأربعين سمراء بدينة يوشك خصرها الذي تلاشت معالمه بفضل أطنان الشحوم المتراكمة أن ينفجر في وجوهنا، أمامى رجل في الخمسين وضع حقيبته على المقعد

المجاور، يرتدى نظارة طبية جعلها تتدلى إلى الأسفل لتستقر على أرنبة أنفه وهو يتصفح جريدة من المؤكد أنه قد اشتراها من أحد الباعة المارين في طرفة القطار، فقد كانت الجريدة تعج بصور النساء اللواتي يشبهن هذه السيدة السمراء التي تجلس بجوارى.. أخمن أن هنالك أسفل هذه الصور جُملاً تقول: "سهير المتهممة في قتل فلان - الزوج على الأرجح - الذي قضى نحبه مذبوخاً ويبدو أنه تعرض للشنق قبل أن يتم التمثيل بجثته بعد ذلك ليعثر عليه أخيراً رجال الشرطة رمادا في شقته!"

توقف القطار في محطة طنطا ليلفظ بعض الركاب من جوفه ليصير بعد ذلك منتعشا خفيفا قبل أن يتوشح برداء الليل البهيم، ثم تحرك مرة أخرى وكأنه يحبو كطفل صغير ما لبث أن صار فتى يافعا فصار يزمرجر، ويملاً الدنيا صخبا ليعلن عن نفسه، ثم بلغ أشده فصارت حركته أكثر اتزانا وقوة. أخذت نفساً عميقاً ومددت قدمي إلى الأمام فقد اختفى هذان الشيطان من جوارى وصارت القاطرة تضم في جوفها أفرادا قلائل ومتفرقين كأنهم جزر منعزلة في بحر لجي يغشاه السكون.

تتأبّت أكثر من مرة قبل أن أقوم من مكاني لأقف على الباب، فقد اقترب القطار من محطة الوصول.. لم أنتظر حتى يتوقف فقفزت منه على عجل.. كنت أتشوق للعودة إلى مسكني، والاستلقاء على فراشي، لأنال قسطا من الراحة بعد كل ما مررت به من أحداث في الساعات الماضية.

حين وصلت إلى البيت رأيت أحدهم يقف أمامه متأملا لكنه حين رآني لاذ بالفرار، لعله لص أراد سرقة، أو هو أحد المتطفلين الذين يعج بهم زماننا

هذا!

أغلقت الباب من خلفي ثم بلا تفكير صعدت إلى غرفتي، وألقيت بملابسي على أرضية الغرفة، وتركت جسدي المنهك رهناً للجاذبية الأرضية قبل أن يسقط على الفراش.

قبل أن يعرف النوم طريقه إلى عيني، هناك لحظات يبدو فيها أن العقل لم يقرر الاستسلام بعد.. يتوهج بعض الوقت، قبل أن يرفع الراية البيضاء، ويتركك تغفو بسلام.

توهج عقلي بما حدث في الليلة الماضية..

فتذكرت كل شيء!

معرض القاهرة الدولي للكتاب ٣ فبراير ٢٠١٥

الساعة الخامسة مساءً

"لماذا أكتب في أدب الرعب؟.. حسناً.. إن كنت تأمل أنك ستستمع إلى إجابة فلسفية عميقة من تلك المقولات التي يخلدها التاريخ أو تنتشر على صفحات (السوشيال ميديا) فسيخيب ظنك لاريب.. ولكني أجيبك ببساطة.. لدي ما يكفي من المخاوف لأبثها في وجوهكم فتشاركتها سوياً.. ولكني أعددكم بشيء واحد.. أننا سنستمع.. سنستمع بعضنا!"

صمت قليلا وهو يتأمل وجوه الحاضرين أمامه ثم أردف والابتسامة تملو وجهه:

- والآن أنا جاهز لاستقبالكم

صفق الجميع بحرارة داخل القاعة الكبيرة المنشأة خصيصاً لاستيعاب هذا الكم الهائل من الحاضرين، ثم قاموا مسرعين ليتخذوا أماكنهم في طابور طويل يصل إلى طاولة التوقيع.

كان الإزدحام شديداً على هذا الكاتب المشهور في حفل توقيع روايته الجديدة "الثانية بعد منتصف الليل" .. ولم لا، إنه صاحب الروايات الأكثر مبيعاً في وقتنا الحاضر، من منّا لم يتأثر بكتاباته المخيفة، عباراته التي تتسلل إلى قلبك فيدق في عنف، لقد اختار الرعب مجالاً ليمرح فيه

مع القراء، هذه الكلمة "يمرح" ليست جزافاً وإنما جاءت في موضعها الصحيح.. إنه يمرح بالفعل، يمرح بعنف.

يفتح أمامك أبواب الجحيم لتدخلها راضياً في قفص زجاجي -فراشك الوثير على الأغلب- يحميك من عبث شخصياته التي لا تعرف الرحمة أو الشفقة، نعتة الكثيرون بأنه غريب الأطوار، ربما يعود ذلك لملامحه الغامضة، أكاد أجزم بأن حياته كلها غامضة.. لكنها مثيرة بلاشك.

لا يظهر كثيراً في الأوساط الأدبية أو برامج الميديا مقارنة بزملائه الباقين الذين يلهثون خلف الشهرة بطبيعة الحال، ويستمتعون بثناء القراء لهم كلما سنحت الفرصة، لا يأبه بالقارئ، لا يهتم بدور النشر على الإطلاق.. يُعرض عن الظهور بشتى صوره.

يستمتع بوقته وحيداً في منزله النائي بحي المقطم، هذه الفيلا التي اشتراها بعد أن نجا من حادث مأساوي تسبب في وفاة أفراد أسرته جميعاً. لعل الفضول يدعوك أن تعرف شيئاً عن ملامحه.. وجهٌ شاحب وعيونٌ سوداء صغيرة.. حواجبه سميقة.. لديه شارب رفيع ولحية قصيرة يتم تهذيبها بعناية.. طويل القامة تراكمت بعض الدهون حول خصره.. تراجع شعر رأسه إلى الوراء قليلاً في مواجهة الزمن.. عمره قد جاوز الأربعين بمقدار عامين.

كان الكاتب المشهور " صفوت الحملاوي " جالساً على مقعده في جناح دار النشر المعروفة، والتي تعاقدت معه منذ فترة قصيرة، فهو لا يكاد يستقر على دار واحدة نظراً لمعاملته الفظة لهم، وضيقة الشديد بممارسات

الطباعة والنشر وما إلى ذلك، كان جالساً حين تهافت عليه القراء من كل مكان، يطلبون توقيعه على روايته الجديدة ويلتقطون الصور في سعادة بالغة.. إلا أنا!!

لا أنكر بالطبع تعلقى الشديد به حد الثمالة.. فأنا القروي الذي أتى من حقول الدلتا لينعم بالنظر إلى كاتبه المنشود، ويرجو أن ينال منه لقاءً واحداً، لقد قرأت كل أعماله بل أكاد أحفظ أغلبها.. صرت أردد أساليبه وعباراته الأنيقة في كل مكان.. هذه العبارة التي أزعجت بها من حولي:

"أيتها الزهرة الرقيقة.. أحبك رغم كل شوك!"

باختصار.. أنا الآن أقف أمام الشخص الذي كنت أقضى مع كتاباته ليل الشتاء، فأنال الدفء، وأملأ بها فراغات الصيف الخائقة. إذن فتلك هي لحظتي الموعودة.. أن أتحرك نحوه فأحدث صوتاً من حنجرتي ليلتفت إلي.. وقتها لا أدري ماذا سيحدث.. ربما أتجلجج فلا أنطق حرفاً.. أو أتحدث إليه بكلمات شاحبة لا تغني ولا تسمن من جوع.

هكذا حالي مع تلك الشخصيات التي أدمن محبتها، أقف في المنتصف فلا أنسى ولا أقترّب، أصير مثل كوكبنا الأرضى الذي يجذب إلى الشمس على الدوام ولكنه لا يقترب منها قيد أنملة!

حمداً لله أن الوضع لم يصل إلى هذا السوء مع كاتبنا المفضل.. - فقط - سأنتظر حتى يهدأ الجمع وتنقش تلك الأكوام البشرية المتدفقة حول "صفوت الحملأوى".

بعد حوالى الساعة والنصف هدأت الجموع من حوله، وخفت أضواء

عدسات التصوير، فاغتنمت فرصتي وتوجهت إليه على الفور..

- أهلاً أستاذ صفوت

- أهلاً بك.. شرفني حضورك

قالها بترحيب بالغ يبدو من تلك الابتسامة التي تغمر وجهه، فتشجعت أكثر للحديث إليه:

- صراحة لا أصدق أنني أقف هنا أمامك... انتظرت ذلك طويلاً.

- يسعدني جداً أن أراك يا..

- أحمد.. أحمد سعيد

- تشرفت بك يا أحمد

ثم امتدت يده لتلتقط نسختي من الرواية فسارعت أناوله إياها، كتب بعض الكلمات بخطه الأنيق ووقعها باسمه ثم رفع رأسه إليّ مبتسماً وأعطاني إياها مرة أخرى.

كانت هناك الكثير من الأسئلة التي عكفت على تجهيزها، لكنني نسيت كل شيء، كنت أحتاج إلى خمس ثوان على الأقل حتى أستجمع سؤالاً واحداً إلا أن أحدهم قفز أمامي فجأة، ووقف حائلاً بيني وبين "صفوت الحملاوي"، فرفعت الراية البيضاء وتقهقرت إلى الوراء.

ظللت أراقب المشهد من بعيد كأنتي لم أقرر الإستسلام بعد، أو أنتي أنتظر مفاجأة ما!

مرت نصف ساعة وأنا أقف في حفل التوقيع أنتظر من القدر أن يصنع شيئاً إلا أن شيئاً لم يحدث، وكان عليّ الذهاب حتى أعود بالمترو إلى الشقة التي سأقوم باستئجارها في الهرم، فهذا أكثر أماناً وراحة من العودة إلى بلدي التي تبعد عن القاهرة ثلاث ساعات، ناهيك عن احتمال عدم وجود مواعيد قطار مناسبة في هذا الوقت من عدمه.

توجهت إلى بوابة الخروج.. وأنا في طريقي إلى هناك استوقفتني أحد الكتب المعروضة في إحدى المكتبات.. الكتاب هو (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) لإدوارد جيبون.. هذا الكتاب أنا أملكه بالفعل في مكتبتى الضخمة.. عبارة عن جزئين كبيرين.. أما الكتاب الأصلي فهو أكثر من ذلك، لذا فقد كنت أعتبر أن نسختى مشوهة ومختصرة.. ولكنى عندما نظرت إلى تلك النسخة المعروضة في المكتبة امتلأت فخرًا وتبهاً لأنها كانت أقرب لنوتة صغيرة بالنسبة لما أملكه!

تركت الكتاب هذا ثم استدرت لأكمل طريقي فوجدته من خلفي!

- اختصار قاتل أليس كذلك؟!

أستاذ "صفوت"!!

لا تستغرب.. في وقتنا هذا كل شيء يتم تقزيمه إلا الأرقام، في حالة انتفاخ مستمر!

كانت مفاجأة لى أن ينتهى الأستاذ "صفوت" من حفل التوقيع، ثم يدنو من المكتبة التي أقف عندها، الآن سنحت الفرصة كي أنال ما كنت أرجوه قبل أن يغادر المعرض.

- أستاذ "صفوت" كانت لدى بعض الأسئلة التي...

- اعذرني يا أحمد.. لا بد لي من الذهاب الآن قبل أن يكثر القراء من حولي مرة أخرى، ولكن يمكنك أخذ رقم هاتفي وأتسرف بسماع صوتك في أي وقت.

كانت مفاجأة لي بكل المقاييس، سأحمل على هاتفي رقم الأستاذ "صفوت"،
يالها من مفاجأة سارة!

قمت بتسجيل رقم الهاتف ثم أخطأت فضغطت على علامة الإتصال فرنَّ هاتف الأستاذ "صفوت" فابتسم لي وقال سأسجله.

كنت في غاية الفرح والسعادة طوال طريقي إلى الشقة في شارع ترسا الموازي لشارع الهرم.. وكنت في كل دقيقة أنظر إلى الهاتف لأتأكد من وجود رقم كاتبنا القدير.

كانت الشقة في الدور الرابع من المبنى، وكان المبنى قديماً ومظلماً كأن أحدًا لا يسكن في أدواره التسعة، توجهت إلى المدخل فإذا بي ألاحظ شيئاً.. فلم يكن للمبنى حارس، بل كان المدخل مفتوحاً على مصراعيه وكأن أحدًا من ساكنيه لا يخشى اقتحامه أو أنه خاو، فليس هنالك أحد حتى يخشى شيئاً!

قبل أن أختمي في الداخل لاحظت رجلاً ذا لحية كثة طويلة يرتدي جلباباً أبيض كان يسير في الطريق أمام المبنى على عجل، كان واضحاً أنه يحاول تجاوز هذا المكان بأقصى سرعة، ثم التفت إليّ وهو يرمقني بنظرة غريبة حين رأيته أدخل المبنى وكانت عيناه تبرقان، ثم لاحظته يرمق المبنى

بنفس النظرة أيضًا، وكأنه يستحثني أن أتوقف!

تركته ولم أعبأ به، ثم صعدت درجات السلم المهترئ حتى وصلت إلى الدور الثالث حيث تسكن السيدة صاحبة الشقة، ثم قمت بمناداتها أطلب منها المفتاح.

لا أحد يجيب.. وكان عليّ طرق الباب بيدي عدة طرقات سمعت صداها يتردد في جميع أدوار المبنى، لا أحد يجيب أيضًا.. ماذا أفعل؟!!

وقفت أمام الباب في الظلام الحالك برهة لأفكر ماذا سأصنع، فلم يكن الوقت متأخرًا حتى تنام تلك السيدة، أو ربما أنها خرجت لتصنع أمرًا، وقعت عيني على قطعة كانت تهبط من الأعلى، ثم تسمرت أمامي وكأنها أرادت أن تؤنسنني في هذا المكان الموحش، أخذت تتحسس قدمي برأسها، وذيلها منتصب في الهواء..

فجأة...

قفزت القطعة من مكانها وهي تصرخ كأنها رأت شيطانًا ثم فرت هاربة على درجات السلم.. كان هذا حين فتحت السيدة باب الشقة!

- هل أنت الشاب الذي اتصل يريد المبيت؟

نعم هذا أنا

حسنًا هذا هو المفتاح.. لا تحاول كسر شيء وإلا ستتكفل بدفع ثمنه.. إياك أن تسرق شيئًا حين تغادر.. لم يجزؤ أحد على فعلها من قبل!

- لماذا!

- لأن أحداً لم يجرؤ على المبيت في تلك الشقة!
كنت مندهشا مما تقول فسألتها عن السبب...

- يعتقدون أنها شقة مسكونة!

- وماذا تعتقدين أنت؟

- لا أعتقد أن هذه الشقة مسكونة.. وحدها!

- ماذا تقصدين؟!

- باعتقادي أن المبنى كله كذلك!

ثم تساءبت وهي تقول:

- لا تخش شيئاً لقد كنت أمزح معك،

ثم أغلقت الباب!

صعدت إلى الدور الرابع، ثم وضعت المفتاح في باب الشقة لأقوم بفتحه.

أصدر الباب صريراً مزعجاً قبل أن أقوم بقلعه مرة أخرى، كان الأثاث متواضعاً، ولم يكن هنالك أي شيء غريب يدعو للقلق، كما أنني لا أخشى من تلك الأشياء التي تقصدها السيدة على الإطلاق، وإن أردت أن أخشى شيئاً فإن اللصوص هو ما يستحق أن أخشاه!

قمت بتغيير ملابسي ثم الاستلقاء على الفراش مباشرة، حتى يتسنى لي الاستمتاع بأكبر قدر من الراحة طيلة الليل، فأنا لم أذق طعم الراحة منذ أن قررت المجيء إلى كاتبنا القدير... ظلت أفكر فيما حدث لي في هذا

اليوم إلى أن غلبني النوم.

في الثانية صباحاً دق الهاتف بجواري!

مددت يدي بصعوبة بالغة أتحسس مكان الهاتف.. بحثت قليلاً بجواري فوجدته قد غاص إلى جانبي أسفل الوسادة.. نظرت بعين واحدة إلى هذا الشيء المزعج الذي أفلت منامي..

انفتحت عيني عن آخرها، وأنا أنظر إلى هذا الإسم الذي يحاول الإتصال بي في هذا الوقت المتأخر من الليل.. لم أستوعب المفاجأة!

هل هذا معقول!!

اعتدلت على الفراش ثم أجبت على الهاتف:

- أهلا أستاذ صفوت!

- أهلا يا أحمد.. أنت في القاهرة.. أليس كذلك؟

- بلى.. أنا في الهرم. خيرا يا أستاذ " صفوت "؟؟

- أحتاجك الآن.

كان صوته مضطربا.. يبدو أن أمراً جليلاً قد حدث.. لكن ما علاقتي بالأمر!

- أحمد... أريدك أن تقضي معي تلك الليلة إلى الصباح.. لا أريد منك أكثر

من هذا..

- هذا شرف لي، إن أردت أن تبين معي في هذه الشقة المتواضعة، فأنا

أسكن فيها وحدي، ولا أعتقد صاحبة الشقة ستعارض أمراً كهذا، كما أنها شقة ملهمة ستناسب إلى حد كبير مزاج كاتب رعب.

صمت صفوت الحملاوي قليلاً، وكأنه يفكر في اقتراحي هذا قبل أن أسمع صوته من الجهة المقابلة يقول:

-بل أريدك هنا.

-أين؟!

-في مسكني هذا.. سأوضح لك كل شيء عندما تأتي إلى هنا.. أخبرني عنوانك وسأتي إليك بسيارتي.. كن مستعداً.

بعد أن أعطيته عنوان شقتي تلك، وأغلقت الهاتف، لم أستطع التفكير في شيء وقتها سوى أنني نهضت من الفراش، وارتديت ملابس في انتظاره عندما يأتي.. بعد ذلك جلست أفكر.. لم يصل عقلي لأي استنتاج عن سبب هذا الإتصال.. لماذا أنا؟!

إذا كان صفوت الحملاوي متورطاً في أمر ما فلماذا يحاول الإتصال بي دون جيرانه أو أصدقائه.. وإذا كان في استطاعته الخروج بسيارته والسير بها، فلماذا يلجأ لي بدلا من اللجوء للشرطة إذا كان الأمر خطيراً على سبيل المثال!

يبدو أنني سأعاني من التحليل حتى يأتي " صفوت الحملاوي " بنفسه ويفسر الأمر. إلا أنني كنت سعيداً لأنني سأحظى بليلة مع الكاتب في منزله.. لكم كنت أرغب في هذا الأمر كثيراً وأفكر في طريقة حتى أصل إلى هذا.. فجأة

أحسست بالإثارة.. فأنا مقبل على مغامرة مع صفوت الحملاوي لم أكن أحلم أن تأتي بهذه الطريقة... ليلة في منزل كاتب الرعب.. ما أروع الأمر! ظللت أتجول في الشقة منتظراً قدومه، كنت أتأمل أثاثها المتكسر، وأنا أشعر بالإنْتِصار لأنني سأغادرها بعد قليل لأقضى الليلة في مكان أفضل.. أعتقد أن مسكن كاتب مشهور كالحملاوي سيبدو أفضل حالاً من هذا بكثير. بعد قليل.. رن الهاتف.. فقممت بالنزول من الشقة.

كانت السيارة التي تبدو كأنها شبحاً بأعين لامعة في الظلام تقف على أول الشارع.. لم يكن فيه أحد من المارة على الإطلاق، فقد كانت ليلة شديدة البرودة بحق!

بخطوات متثاقلة توجهت إلى السيارة.. تلك القطعة التعيسة التي رأيتهما سلفاً تهول عابرة الطريق باحثة عن ملجأ لتتكشف فيه.. لا أخفى عليكم تلك الرهبة التي انتابتني وأنا أسير نحو سيارة الحملاوي لأنني لم أر هذا الشارع فارعاً من قبل.. في وقت مجيئي إلى هنا كان مكتظاً بالسيارات والباعة والمارة والمحلات، ولم يحالفني الحظ -بعد- أن أراه ليلاً وهو خاو على عروشه!

انفتح الباب ليخرج صفوت الحملاوي ملوحاً بيديه ثم غاص مرة أخرى في السيارة.. عندما اقتربت منها قام بفتح بابها.. مددت له يدي وسلمت عليه، ثم جلست إلى جواره وانتظرت أن يتحدث بشيء لكنه لم ينبس ببنت شفة! كانت شوارع القاهرة ساحرة ليلاً وقد زاد في سحرها أن شرع السحاب في إلقاء ما يجعبته بعد أن ناء بحمله، فصارت الأمطار تهطل بغزارة.. لم تكن

الطرق فارغة تماماً فلم تخلُ من بعض المارة الذين يُلُودون بالفرار حذر المطر ولم تخلُ أيضاً من بعض السيارات التي تجرى لمستقرُّ لها، بعض الشباب الذين يتسكعون في الطرقات، تلك النوادي الليلية التي تشتعل ليلاً، ثم تلفظ آخر زبائنها في التاسعة صباحاً.

قاد الحملوي سيارته في صمت رهيب، لم يتحدث بكلمة واحدة طوال الطريق، لم أتحدث أنا أيضاً، انتظرت طويلاً حتى يتحدث ولكنه لم يفعل. حانت مني التفاتة إلى وجهه فرأيته متجهماً، وقد ضاقت عيناه مما يدل على أنه يفكر في أمر خطير.

كنت أراقب المساحة التي تتحرك جيئةً وذهاباً تدفع المطر عن زجاج السيارة بلا ملل.. لكن الحملوي أوقفها قليلاً فعاد المطر يفرق زجاج السيارة من جديد.. راق لى هذا الأمر كثيراً.. قررت أن أوقف تلك المساحات التي تدفع أسئلتى الحائرة جانباً حتى يتسنى لي أن أنطق بجملته واحدة.

-يالها من ليلة ساحرة!

-نعم.. إنها كذلك.

نطق الحملوي أخيراً.. أكملت حتى لا يقطع حبل الكلام بصمته:

-هذه هي المرة الأولى التي أتجول فيها في ليل القاهرة.. يروق لي الأمر بشدة

-حقاً؟!

-نعم.. ألا ترقصات المطر على أرصفة ليل القاهرة، والتي تبعث الدفء

في كل ما حولها ..

-كفى!

لم تفلح محاولتي إذن.. لكنه بعد أقل من الدقيقة قال:

-لا أحب أن يتحدث أحدهم بطريقة مبتذلة حتى يجذب اهتمامي لكلامه!

- مبتذلة؟!!

-نعم.. تلك التعبيرات التي تستخدمها في حديثك لم تُرُق لي.. إنها مصطنعة لا تستطيع جذب بعوضة.

ثم تمهل قليلا قبل أن يقول بصوت عميق:

- إننا يا عزيزي ننتزّه في هذا الكون الفسيح إلى أجل مسمّى، فعلام التصنع، وكل شيء يدعوك أن تبدو طبيعياً متسامحاً وبلا أفتعة!

أومأت إليه معلناً موافقتي على كلامه.. لقد كان خشناً في حديثه مما جعلني ألتزم الصمت!

كانت السيارة تعبر الطرق شبه الفارغة في خفة واضحة.. وصلنا إلى منطقة على أطراف حي المقطم.. كان الظلام يلف كل شيء في تلك المنطقة إلا من بعض الأضواء المتفرقة التي تأتي من بعيد!

بعد قليل.. توقفت السيارة عند مدخل فيلا قديمة.. يبدو أن هذا هو التابوت الذي يستقر فيه الحملوي بعيدا عن الأضواء، كانت الأبنية متناثرة في هذه المنطقة وتظهر أضوائها من بعيد مما أضفى لونا من الرهبة على تلك الفيلا المنعزلة.

الفيلا محاطة بسياح حديدي يلتف حولها من جوانبها الأربعة، يلتصق به من الداخل سور آخر يرتفع عن السياح مرة ونصف من أشجار "الفيكس" المتشابكة والتي تجعل الفيلا غامضة ومختفية عن الأنظار.

على جانب الطريق الرملي وأمام الفيلا توقفت السيارة.. نظر إليّ الحملأوي وطلب مني النزول.

توقفت الأمطار فجأة، عندما ارتجل الحملأوي عن سيارته، ثم أزاح بوابة الحديقة الحديدية لنسير في طرقة طويلة نحو الفيلا.. رفعت رأسي لأشاهد الفيلا التي اتضحت معالمها أكثر.. تنقسم الفيلا إلى طابقين.. تشبه في طرازها هذا الطراز القوطي الذي تميزت به قلاع أوروبا القديمة.. تلك المدخنة أعلى الفيلا أضفت عليها سحرًا وغموضًا.. لا أعلم هل هي مدخنة حقيقية أم أنها قطعة فنية من التصميم الرائع للفيلا!

أخرج الحملأوي مفتاحًا من جيبه ودسّه في الباب الخشبي الغليظ فانفتح محدثًا صريرًا مهيبًا.

- هذا الباب بحاجة إلى إصلاحه بالفعل!

قالها "صفوت الحملأوي" وهو يشير إليّ بالدخول.

في تلك اللحظة كنت أنظر إلى الأشجار في حديقته الواسعة، وقد بدأت الرياح ترحف عليها تدريجيًا وتعبث بأغصانها..

- يبدو أنها ليلة عاصفة!

قلتها بصوت خافت، وأنا أضع أولى خطواتي في فيلا "الحملأوي" ثم سمعت الباب يُوصد من خلفي.

الظلام يلف المكان.. فالنزمت مكاني حتى يُضيء الحملأوي أنوار تلك الفيلا النائبة، اشتعلت الأضواء فظهر كل شيء، كنت واقفاً في صالة واسعة، وقد امتدت سجادة رفيعة قرمزية اللون تصل بك إلى حيث الصالون المنفتح على الصالة، على يسار الصالة هناك ركن كبير فيه منضدة خشبية طويلة ذات لون أسود، وقد اصطف من حولها ثمانية مقاعد من طراز قديم.. منضدة عتيقة ولكنها تبدو متماسكة وقوية.

في ذات الركن، وبالمقابل من المنضدة هناك نافذة طويلة تطل على الحديقة الواسعة أمام الفيلا، وقد أُسدل عليها ستار من اللون الأحمر القاني، أما على يمين تلك الصالة الواسعة فهناك غرفة لها باب جرار من الخشب الطبيعي لا يبدو عليها من الخارج شيء يدل على ما بداخلها.

في الداخل إلى جوار الصالون من اليسار هناك ستارة من الخرز والكريستال الملون تخفي وراءها ممراً صغيراً يصل بك إلى المطبخ وجواره الحمام، أما في الركن الأيمن بجوار الصالون فهناك سلم خشبي يصعد إلى الطابق الثاني حيث غرفة نوم الحملأوي.

أشار إليّ بالانتظار في الصالون إلى أن يعود.

كانت الأضواء مزيجاً من اللون الأحمر والأرجواني، كما أنها كانت خافتة لكنني أستطيع أن أرى كل شيء من حولي، هناك ساعة خشبية مهيبه تشير إلى الثالثة صباحاً معلقة على أحد جدران الصالون أمامي، من ذاك الطراز

القديم الذي يتدلى منه بندول يتحرك بلا مللٍ جيئةً وذهاباً حتى أصابني بالتوتر فأبعدت عيني عنه.

على جدار آخر استقرت لوحة مرسومة من الفحم لخمسة أشخاص، كان رجلاً قارب على الخمسين من عمره ذا ملامح جامدة، تقف بجانبه من ناحية اليسار امرأة أنيقة تعلقو قسمات وجهها ابتسامة راضية، على يمين الرجل وقف فتى يافع تشبهه ابتسامته ابتسامة الموناليزا التي لا تستطيع - وبشكل دقيق - الوقوف على تفسير حقيقي لها، وأمام الثلاثة وقف طفلان صغيران.

كان الحزن بادياً على اللوحة، لعل السبب في هذا تلك الإضاءة الخافتة، أو ربما أنها قد رُسمت بالفحم مما أضفى مزيداً من الكآبة عليها! كنت تأملها واقفاً حين سمعت صوت الحملاوي خلفي فجأة..

لقد كان هناك ثمة أمر غريب.. فأنا لم أشعر بصوت أقدامه وهو قادم، كأنها لم تلامس الأرض!! أدرك الحملاوي أن اللوحة لفتت أنظاري، تأملها قليلاً هو الآخر وكأنه يراها لأول مرة ثم مط شفتيه وهو يقول:

-لقد أصرّ أبي أن نقف هكذا لأكثر من الساعة والنصف حتى ينتهي الرسام من تلك اللوحة، لم يكن يرغب في التقاط صورة فوتوغرافية عادية، دوماً كان يسعى لجعل أسرته غير تقليدية!

لعلك لاحظت كيف أننى أبتعد عنه ضعف المسافة التي ابتعدتُها أمي عنه في اللوحة، كنت أختلف معه في كثير من الأمور وكان هذا سبباً في شجارنا الدائم، فأنا الإبن الأكبر البالغ الذي يريد أن يشق حياته بعيداً عن وصاية

أبيه وأمه، كنت أريد أن أشعر بأنني سيد قراري، وقد نلت هذا الأمر أخيراً!
قلت دون أن ألتفت نحوه بينما لا تزال أنظاري على اللوحة:

-وأين هم الآن؟!

-ماتوا جميعاً في حادث مأسويّ، وكنت أنا الناجي الوحيد!

-وما طبيعة هذا الحادث؟!

أحسست لوهلة أن الحملاوي لن يتورع عن رفض الإجابة على هذا السؤال
إلا أنه صمت قليلاً ثم قال:

-ماتت أمي في فراشها بعد أن تعرضت للطعن بالسكين عدة مرات، وأما
أخوتي فقد تم ذبحهم بطريقة وحشية، بينما سقط أبي من أعلى المنزل
وتحطمت رقبتة!

لا أستطيع أن أتخيل شخصاً طبيعياً يحكي هذا الكلام عن أسرته، ولا تهتز
له شعرة، كان الحملاوي هكذا بالفعل، التفتّ اليه سريعاً لألقي نظرة خاطفة
قبل أن أعاود النظر إلى اللوحة مرة أخرى، فإذا البرود بادياً عليه بصورة
مدهشة، لعل الصدمة نحتت على ملامحه تلك القسوة واللامبالاة.. ربما!
كنت أتأمل هذا الفتى اليافع ذا الإبتسامة الغامضة، والتي لا تكشف عن
مغزاها البتة..

-إنه يشبهك إلى حد كبير.. أليس هذا أنت؟

استدرت بجوارى فلم أجد.. وكما جاء فجأة اختفى فجأة دون أن أشعر
بذلك على الإطلاق!

وقفت قليلاً في مكاني، أنتظر أن يعلن الحملأوي عن وجوده، إلا أنه اختفى تماماً ولم أعد أشعر به. كدت أن أسمع لأحبالى الصوتية بالإهتزاز حتى تعزف جملة صوتية واحدة عبارة عن "أين أنت يا حملأوي؟" إلا أنها فضلت الإنكماش وكأنها تخشى الإفصاح عن نفسها هذه الليلة!

فى تلك اللحظة انتبهت لوجود ضوء خفيف يأتى من ناحية الممر الصغير الذي يقود إلى المطبخ. فكرت قليلاً حول جدوى وقوفى فى مكاني هذا دون أن أصنع شيئاً فاتخذت قراراً بالذهاب نحو هذا الممر!

بخطوات بطيئة، كنت أسير من الصالون إلى الممر الذي يخفيه قليلاً ستارة الخرز والكريستال.. وحين وصلت إلى أول الممر وقفت أنظر من خلال الستارة لكنني لم ألاحظ شيئاً غريباً سوى أن هذا الضوء الأزرق الخفيف كان صادراً من المطبخ.

أحسست بحركة تحدث من خلفي فاستدرت سريعاً لأكتشف أنه صوت بندول الساعة، التقطت أنفاسي وأنا أدير رأسي مرة أخرى نحو الستارة، فإذا بوجه الحملأوي واقفاً خلف الستارة!!

أطلقت شهقةً، وأنا أنظر نحو الحملأوي الذي بدا مبتسماً بطريقة غامضة من خلف الستارة قبل أن يُزيحها بأريحية وكأنه يعزف على آلة الهارب، وفى يده الأخرى كان يحمل صينية..

انتزعني الحملأوي من دهشتى وقال:

-والآن هل ترغب فى تناول القهوة بغرفة المكتب؟

التقطت نفساً عميقاً، ثم حاولت ابتلاع ريقى إلا أنني لم أجد شيئاً لأبتلعه

فأجبتة:

-لا بأس بالطبع!

-إذن.. هيا بنا!

لا أشرب القهوة، إلا أنتى رأيت أنه من غير المناسب أن أوضح له ذلك.

توجه الحملأوي نحو الغرفة الغامضة ذات الباب الخشبي الجرار، أزاحه ثم أشار إليّ بالدخول، غرفة المكتب واسعة على نحو بالغ ومفروشة تمامًا بخشب الباركيه الذي توغل في كل مكان ليشمل الأرضية والجدران، تتدلى من سقف الغرفة نجفة عملاقة من النحاس المزدان بالكريستال كأنها الثريا غير أن أضوائها خافتة، وعلى جدران الغرفة الكبيرة تراصت أعداد من الشمعدان الفخمة التي صُممت على هيئة أطفال باللون الأسود يبرز نصفهم الأعلى من الجدار وهم يرفعون بأيديهم مصابيح مضيئة اتخذت هيئة الشموع، في أحد جدران الغرفة هناك مكتبة ضخمة اصطفت عليها الكثير من المجلدات القديمة والكتب، نظرة واحدة عليها تدرك أن هذا الكاتب مغرمٌ بالتاريخ، وأخبار الحضارات القديمة، بالإضافة إلى كتب أخرى ذات نزعة ميتافيزيقية، لم يكن هذا هو كل شيء.. بل تناثرت بعض الأوراق هنا وهناك، أيضًا بعض التماثيل الصغيرة ومتوسطة الحجم تراصت على رفوف المكتبة، لا أنكر أن بعضها كان مخيفاً على نحو ما!

في الناحية المقابلة للمكتبة يستقر مكتب الحملأوي، ومن خلفه نافذة طولية تطل على الحديقة، أسدل عليها ستار من اللون الأحمر القاني يشبه ستار تلك النافذة الموجودة في مواجهة المائدة الخشبية بالخارج، إلا أن

الفارق الوحيد بينهما أن هذا الستار أكثر سُمكًا عن الآخر.

أمام المكتب هناك أريكة من الجلد الأسود، أشار الحملأوي نحوها وهو يدعوني للجلوس، جلست عليها بينما توجه هو إلى مكتبه، كنت منتظرا بشغف أن يبدأ قصته، إن لساني يكاد يفلت مني في كل ثانية.. كان كالمسدس محشوًا ومستعدًا للإطلاق في أي لحظة، لماذا دعوتني للمجيء هنا.. لماذا أنا بالذات!!

أصابني بعض التوتر، وأنا أنتظر أن يبدأ الحملأوي حديثه، كنت أتأمل الأبخرة التي تتراقص فوق قرح القهوة ثم رفعت رأسي حتى أسترق النظر إليه فوجدته ينظر نحوي وقد التمعت عيناه! كان يرتدي معطفًا من الجلد الأسود له ياقة طويلة، يهذب شاربه الرفيع بيديه، ثم تذكر شيئًا ما جعله يبتسم لتظهر أسنانه اللامعة التي لم ألاحظها من قبل!

بادرنى بهذا السؤال:

- ألا تشرب القهوة؟

- لا أحبها كثيرًا.

- اذن ما الذي تفضله أكثر؟

- لا شيء محدد.

- لا بد أن هناك شيئًا ما!

- بالطبع ولكن سؤالك مفاجيء فلا أستطيع أن أتذكر شيئًا الآن.. ولكن

ماذا عنك أنت؟

-أنا!!

-نعم... ما الذي تفضله؟

اعتدل الحملاوي وهو يعبّ في صدره شهيقاً كبيراً قبل أن يقول:

-في الحقيقة أفضل دماء النساء أكثر!

كانت مزحة ثقيلة من الحملاوي... تخيلتُ أنيابه تلك وهي تنغرس في رقاب النساء، ثم تتساقط منها قطرات الدماء الطازجة.. كان يستطيع إيجاد مزحة أخف وطأة من هذه!

-أنت تعادى النساء إذن يا أستاذ صفوت؟

-و من قال ذلك؟

-شعرت بذلك من مزحتك السابقة

-و من قال إنني أمزح؟!

برقت عيني، وأنا أنظر إليه إلا أنه انفجر ضاحكاً.. من المؤكد أنه لازال يمزح!

تحرك الحملاوي من مكانه، واعتدل واقفاً، ثم صار يجوب الغرفة جيئةً وذهاباً وهو يضع يديه المتشابكتين خلف ظهره إلى أن وقف أمامي وقال:

-أتعلم شيئاً يا أحمد.. لقد فشلت كل محاولاتي في إيجاد شريك مناسب.

-وما السبب؟

-ربما يعود السبب إلى أنني لست مناسباً لأحد!.. هذا الهاجس الذي

يأتيك دوماً، ويقول لك لن تجد وضعاً أفضل من حياتك هكذا، فالحياة مقامرة كبيرة وعليك أن تلعبها وحيداً، وأن تخسر فيها وحيداً.. وأن ليس هنالك داع أن يشاركك أحدهم خسارتك!

كما أن هناك أمر آخر.. لديّ طباع سيئة ومزاج متقلب.. إن أكثر رجال الأرض تقلباً للمزاج لسوف يرى نفسه ذا مزاج معتدل حين يرافقني يوماً واحداً.

- إذن لم تكن لك ثمة علاقات من قبل؟

- بلى.. كان هناك عدد لا بأس به.. لكنها ليست من النوع الذي يروق لك -
- لماذا!

- لم تكن علاقات عاطفية من النوع المعتاد الذي يتبادل فيه الحبيبان هدايا عيد الحب أو يتحدثان عبر الهاتف سبع ساعات متواصلة.. بل كانت شيئاً يقبع بين اللذة والألم

- الألم؟

- نعم!.. فكلما اقتربت العلاقة من الألم زادت اللذة... قل لي أيهما أذو.. أن تشرب كوباً من الماء البارد في نهار أغسطس وأنت تموت عطشاً، أم تشربه على فراشك في ليل يناير؟.. الفرق واضح.. في الحالة الأولى أنت تألمت كثيراً فكان كوب الماء في غاية اللذة!

- ولكن ماهو نوع الألم الذي تقصده في علاقاتك؟

- لا تخش شيئاً.. فأنا لا أقتل النساء بعد أن أقيم علاقة معهن.. ولا حتى

أمارس عنفاً جنسياً.. أنا فقط أنظر إلى المرأة كمرحاض في دورة مياه.. مجرد استراحة على طريق عام تنزل فيه من سيارتك لتقضى غرضاً ما، أو تلقى عن كاهلك مشقة السفر، ثم تعاود طريقك وحيداً مرة أخرى.

ابتلعتُ عباراته السابقة على مضض، ولكنى كنت حريصاً ألا يبدو ذلك على وجهي.. سألته:

- أنت تحتقر النساء اذن؟ وهذا مؤلم لهن للغاية! فلماذا تصنع ذلك!

- اللذة تخرج من رحم الألم.. لا تنس ذلك..! كلما احتقرت امرأة زاد ألمها لوقت ما، ثم يتحول الألم بعد ذلك إلى شغف بك.. وكلما زاد الشغف زادت اللذة!

- أي هراء هذا الذي تقوله!

انتبعت إلى أنني ربما أسأت الأدب في حديثي إلى الحملأوي، فاعتذرت منه لكنه ابتسم لى وقال:

- لا عليك.. يظل حديثي مجرد وجهة نظر خاصة ولا أقصد إقتناعك بالمرءة. تعالت الطرقات على نافذة المكتب من الخارج فقد كانت تمطر بغزارة.. عاد الحملأوي إلى مقعد مكتبه، ثم أخذ يقلب في بعض الأوراق الموضوعية أمامه وهو يتمتم بإنزعاج مصدرراً بعض العبارات التي لم أستطع سماعها إلا أن جملة واحدة تسنى لأذني أن تلتقطها..

- تباً لإجراءات البيع هذه، لكنني لم أعد أبالي بهذا المكان بعد الآن!

استفهمته عما قال، فنظر لي بدهشة مستغرباً من أن تنال جملمته اهتمامى،

هزرت كتفي معلنا أنه فضول وليس أكثر، فأخبرني بأنه ينوي بيع شيء ما، ولم يشأ أن يقول شيئاً آخر.

أزال الأوراق من أمامه ووضعها في أحد أدراج مكتبه، وهو يقول:

-لماذا وافقت على المجيء إلى هنا؟.. ألم تخف من قضاء ليلة في منزل كاتب رعب؟

-لا.. لم أخف من ذلك.. أو على الأقل كان هذا قبل أن أحضر إلى هنا!

-أنت خائف إذن؟

-لا أنكر أنني أستغرب كل شيء من حولي.. هذه الفيلا المنعزلة وتصميمها الغريب لا يبعث على البهجة -فيما أعتقد- إلا أنني أجد متعة في كل هذا.. ربما لأنني أعشق المغامرة.. أتعرف ذلك الإحساس الذي يأتيك عندما تتعرض إلى موقف عصيب.. يقول لك لا تقلق ستصبح الأمور على ما يرام.

-ولكن ألا تتوقع أن يخطيء هذا الهاتف يوماً ما؟

-أتوقع ذلك.. ولكن على الأقل لا أتوقعه يخطيء هذه الليلة؟

-وما الذي يضمن لك؟

-ما أراه من حولي.. حلمت أن أجالسك وأتناقش معك في أعمالك.. وقد تحقق هذا الأمر أخيراً.. هذا شيء ممتع بالنسبة إليّ.

-هل تجد أنه من الممتع قضاء ليلة هنا في تلك الفيلا المنعزلة؟

-نعم.. لكم تمنيت هذا من قبل،،

-وما السبب الذي يدعوك لمثل هذا؟

-قرأت أعمالك كاملة.. لاحظت أن هناك ما يميزك عن باقي الكتاب والمؤلفين.. أردت أن أكتشف هذا الجانب المظلم الذي لا يعرفه أحد عنك.. أسرارك الخاصة.. ضعفك..

-ضعفى!

-نعم.. فكل منا له نقاط من الضعف يسعى جاهداً طيلة عمره في إخفائها عن حوله.. يفلح أحياناً ويفشل أحياناً أخرى.. وأراك تفلح حتى اللحظة.. كما أنتي وأنا أقرأ رواياتك أشعر أنها كتبت بالدم!

-بالدم؟!

-نعم.. أشعر بمعاناتك وآلامك فيها.. لطالما قلت إن هذا الرجل قاسٍ كثيراً، فكانت كتاباته أقرب إلى قالب صبت فيه أوجاعه ومخاوفه، فصارت روايات من النوع الأكثر مبيعاً في وقتنا الحاضر.. تملكني فضول قوي أن أسبر أغوارك، وأن أنظر إلى عالمك الذي لا يعرفه أحد.. العالم الذي تقبع فيه وحدك!

ولكن ألا تخشى من أن تصيب خيالك في مقتل؟.. هذه الهالة الغامضة التي تحيط بالكاتب تمنحك خيالاً وأنت تقرأ.. هذا الخيال يزيد من مُتعتك كما أنه يجعلك تشعر بأنك أمام حدث حقيقي.. رعب من الممكن أن يتحقق، وليست مجرد أحداث ينسجها الكاتب من خياله الكبير.

-أعلم هذا.. لكني لا أخفيك سرّاً.. فأنا أراهن أن حياتك بها ما هو أكثر

رعباً مما تكتبه لنا.

-أكثر رعباً؟!.. لعلك تقصد رعب دور النشر ومتاعب الناشرين.. هؤلاء أكثر رعباً من مصاصى الدماء الذين يستنزفون عرق الكتاب والمؤلفين.

-لا.. لا أقصد هؤلاء، فأنا أعلم أنك بمنأى عن هذا كله.. أنت ورقة رابحة والجميع يبحث عنك ويطلب ودك طول الوقت.

-هذا صحيح! لكني لا أهتم بهم كثيراً.. فأنا أكتب لنفسي لا أكثر ولا أقل.. أستمتع بالأمر غاية المتعة، ولا أنتظر غير هذا...

-أعلم هذا عنك جيداً ويظهر جلياً فيما تكتبه للقراء الذين يتابعون حرفك في اجلال وقدسية في الوقت الذي تكاثرت فيه الأقلام الزائفة!

اعتدل الحملاوي في جلسته وهو يقول:

-هذا شيء مؤسف يا عزيزي.. فالآن يمكنك أن تضع شيئاً تافهاً بين قوسين وسيبدو مفيداً.. الأقواس تتزايد في هذا البلد بشدة.. آلاف الأفكار الضحلة تبدو مفيدة إذا ما اخترت لها غلafa جيداً واسما غامضاً وتبخترت من حولها دعاية مناسبة.. في هذه الأيام ليس شرطاً أن تكون كاتباً جيداً ولكن من الضروري أن تبدو كذلك!

أنت تختار ما تكتب بعناية فائقة، وهذا ما جعلني أُصر على الإقتراب منك، حتى أنني إلى الآن لا أصدق أنني سأقضى معك ليلة كاملة.

ابتسم الحملاوي وكأنما راق له ما دار من حديث بيننا.. مط شفتيه ورفع حاجبه الأيسر ثم قال:

- قل لي.. هل سافرت إلى رومانيا من قبل؟

باغتني سؤاله.. فابتسمت وقلت له في دهشة:

هذه هي المرة الأولى التي أخرج فيها من حقول الدلتا.. لذا فإنني لم أسافر إلى رومانيا.

نظر لي طويلاً وعلى وجهه ابتسامة بائسة ثم قال:

- أنا فعلت... وليتيني لم أفعل!

كانت نظراته غامضة، وهو يتجول ببصره في الغرفة حتى استقرت عيناه أخيراً نحوي:

- هل تعلم شيئاً..

لم يعطني فرصة للرد على سؤاله، فأردف قائلاً:

لقد قرأت كثيراً أن الفضول قد يقتل صاحبه.. لكنني لم أجرب هذا يوماً ما.. وأخشى أن أجربه الليلة!

- وما هذا الذي تخشى تجربته تلك الليلة؟

- عاقبة هذا الشيء الذي دفعك للمجيء إلى هنا.

- معذرة.. لم أفهم شيئاً!!

- إنه الفضول يا عزيزي.. هو ما أتى بك إلى هنا وهو أيضاً ما سيجعل لييتي تلك جحيماً لا يطاق!!.. هل ترى ذلك التمثال الأسود الموضوع على رف المكتبة والذي يمثل وجهاً غاضباً مقطب الجبين ومرفوع الحاجبين!!..

انظر إلى عينيه الفارغتين.. هل هما فارغتان حقاً؟.. هل تظن أنني أخفي بداخله شيئاً ما.. ربما شيئاً ثميناً.. أو ربما مخيفاً!!.. ألا يدفعك الفضول إلى أن تخطو إليه وتقوم بفكه من النصف لتتعرف على ما بداخله؟.. أنت خائف إذن.. هذا جيد.. الخوف مفيد جداً إن لم تكن تعلم هذا.. الخوف هو الغريزة التي تجعلك حياً إلى هذه اللحظة.. تخيل نفسك بلا خوف، وأنت تعبر الطريق وعشرات السيارات تستعد لدهسك في أي لحظة.. تخيل نفسك بلا خوف وأنت تأوي إلى فراشك، ولم تعبأ بنافاذة المطبخ المفتوحة، والتي سيتسلل منها ما لا يحمد عقباه.. أهنتك على خوفك.

-لكني لا أخشى تمثالاً!!

-و أنا ما كنت لأخشى ساحراً عجرياً قبل أن ألتقي به!

فجأة أضاء البرق المتسلل من خارج غرفة المكتب فتوهجت للحظات، ثم عادت لضوئها الخافت مرة أخرى..

-أنا لا أفهم شيئاً يا أستاذ صفوت!

-سأشرح لك..

قالها ثم اعتدل على مقعده، وأراح ظهره إلى الوراء ثم استطرد قائلاً:

-بدأ الأمر عندما دعاني زميل الجامعة وصديقي " عماد الأشمونى "

المقيم في رومانيا منذ عشر سنوات.. كان قد سافر كأى شاب مصرى يبحث عن العيش الكريم ويسعى لتحقيق طموحاته بعيداً عن بلده التي لم يعد بها موطئ قدم لأحلامه.. تزوج من رومانية حسنة وأنجب منها فتاتين.. كانت علاقتى به طوال العشر سنوات منحصرة في التهنية

بالأعياد والنجاحات الخاصة بعملى فى الكتابة وعمله فى التجارة... ثم فى وقت قريب دعانى لزيارته.. كان يأمل أن أستجم قليلا فأرسل إلى دعوة فوافقت على الفور وسافرت إليه.

- وماذا بعد ذلك؟

- استقبلنى وأحسن ضيافتى إلى درجة كبيرة.. كان يقيم فى (بوخارست) العاصمة الرومانية التى يلقبها البعض "باريس الشرق".. كان مسكنه مريحا ويدل على حجم الثراء الذى وصل إليه.. هذا الشاب لو كان قد مكث فى مصر تلك العشر سنوات يعمل بها ليل نهار لأستطاع بالكاد تسديد ديون أثاث منزله المتواضع!

قمت بزيارة العديد من المناطق الساحرة.. وتناولت الماماليفا إحدى الأكلات الرومانية التقليدية التى هى عبارة عن ذرة مطحونة تغلى فى اناء وتقدم ساخنة مع زبدة أو جبنة.

ثم قمت بزيارة قلعة هونيدوارا الرومانية التى تعتبر من أهم الأبنية ذى الطابع المعماري القوطي فى ترانسيلفانيا، لقد كانت إجازة رائعة بحق.. لولا شيئاً واحداً عكر صفو كل شيء!

- وما هو؟

- الفضول!!

كنت أراقبه وهو يتحدث كانت علامات القلق والتوتر تظهر عليه تدريجيا وكان ينظر إلى ساعته من حين لآخر فى صورة ملفتة وكأنه ينتظر أمراً ما..

-أخبرت صديقى هذا أننى أنوى زيارة شخص كنت قد سمعت عنه من أحد الفجر الذين تقابلت معهم أثناء زيارتى لقرية تبعد عن (بوخارست) حوالى مائتى كيلومتر تسمى (كالفينى) يقطن بها العديد من الفجر.. كنت أقرأ عن هؤلاء وأعلم عنهم الكثير وهذا ما جذب فضولى للجلوس إليهم والتحدث معهم عن عاداتهم وتقاليدهم الغريبة المتوارثة على مر السنين.. دعنى أخبرك شيئاً عنهم.. لعلك تعلم أن شعوب الفجر يعيشون حياة التنقل والترحال وهم من بين الشعوب التي تعرضت للاضطهاد من قبل الحكم النازي.

هناك فجر الرومن في رومانيا وهذا النوع من الفجر يسمى الفلاكس.. أما الفجر هنا في مصر فهم من الدومر ينتشرون في قرى مصر وصحاريها.. هناك أعداد منهم في حي غبريال بالإسكندرية، وقرى طهواي بالدقهلية وكفر الفجر بالشرقية وحوش الفجر بسور مجرى العيون في مصر القديمة وقرية سنباط وأبو النمرس ومنشية ناصر... وهنا!

انتبهت لما قال فلم أشعر إلا وأنا أسأله:

- هنا أين!!

-فى المقطم.. هنا أعداد لا بأس بها تسكن المقطم... للأسف يشتهر الفجر في مصر وفى كل دول العالم بأعمال السرقة والاحتيال والسحر والتي غالبا ما تتسبب باضطهادهم من قبل الشعوب الأخرى!

من السهل لك تمييز الفجر بسبب ملابسهم الغريبة ولغتهم الخاصة وعاداتهم وتقاليدهم.. النساء يلبسن الملابس الفضفاضة المزركشة

ويتخذن زينة من الحلبي المختلفة بشكل كثيف وملفت، ويضعن على آذانهن حلقات كبيرة من الفضة مع تزيين الوجه وإسبال الشعر الأسود على جانبيه، أما الرجال فيلبسون الملابس المبهرجة متعددة الألوان إضافة إلى وضع لفافة حول الرقبة.

كان مستطردا في كلامه فلم أحب مقاطعته...

- كان الفجر في الماضي يستخدمون العربات التي تجرها الخيول والبغال والحمير، ومن الفجر من يعيشون الآن على عربات قديمة يتم تزيينها برسومات أسطورية مختلفة، وغالبا ما يعيش الفجر في الخيام، أو على ظهور عرباتهم.

نعود إلى صديقي عماد.. فقد رفض تماما أن أذهب إلى هذا الشخص الفجرى الذي كنت أنوى زيارته.. وكنت لا أحب مجادلته لأمرين: الأول أنني في ضيافته والأمر الثاني أنني أضيع بالمجادلة.. فعزمت أمرى على أن أذهب لزيارة هذا الشخص سرا.

- ومن هو هذا الشخص؟

- يدعى (جabor بانیکا) ويصفونه بأنه أحد طغاة الفجر المعروفين في هذه المنطقة وأنه يتمتع بقدرات خارقة في أعمال السحر والحق الأذى بالآخرين!.. بالطبع لم أصدق هذا كله واعتبرته نوعا من الفولكلور الشعبي الذي يستخدم في الترويج السياحي لرومانيا.

- وهل قمت بزيارته بالفعل!

- نعم.. بكل أسف!

ألقى " الحملاوى " نظرة خاطفة على ساعته ثم التقط أنفاسه وعاد يروى ما لديه..

-عندما قمت بزيارة هذا الساحر الرومانى أحضرت معى " سامر " .. " سامر " هذا مترجما لبنانيا من المقيمين هناك كنت قد تعرفت عليه أثناء زيارتى لقلعة هونيدوارا.. رأيتة هناك فأدركت من ملامحه أنه عربى.. فتقدمت إليه ثم ألقيت عليه السلام بلغة عربية فابتسم لى وتعارفنا سويا واتفقنا أن نتقابل في وقت لاحق.. عندما أردت زيارة هذا الساحر اتفقت هاتفيا مع سامر على أن نفعلاها سويا ثم عرضت عليه مبلغا من المال مقابل ذلك فوافق.. وفى الموعد المحدد ذهبنا إلى (جابور)!

كانت غرفة هذا الساحر أشبه بالجحيم نفسه.. وإن لم تكن تعلم شيئا عن الجحيم فأستطيع أن أصفه لك.. جماجم متناثرة أعتقد - بالطبع - أنها زائفة إلا جمجمة وقعت عليها يدي دون قصد.. هذا الملمس أتذكره جيدا حين كنت أجلس مع صديق لى كان يدرس في كلية الطب وكنت أزوره قديما في مسكنه الجامعى فيتباهى بإقتنائاه أعضاءا بشرية طازجة وكان يرينى اياها فكنت أتحسسها بأطراف أصابعى في امتعاض وخوف!

هذه العرائس المعلقة من رقبتها فتبدو كأنها مشنوقة والدبابيس تنغرز فيها من كل ناحية.. أبخرة تتصاعد في كل مكان وتتراقص مع ألوان الغرفة التي هي مزيج من اللون الأحمر والأزرق.. كان يرتدى الكثير من الأحجار والقلائد حول عنقه ويديه.. شعره طويل يصل إلى كتفيه ويفطى أغلب وجهه فلا يكاد يظهر منه إلا صوته الغليظ المتقطع.. كان لقاء مخيفاً بحق جعلنى أندم كثيرا على وجودى في هذا المكان.. هذا الإحساس بالخوف

وعدم الراحة أفقدنى كثيرا من المتعة والإثارة التي كنت أنتظرها من هذا اللقاء.

لم أكمل نصف الساعة في هذا المكان.. أمضيتها في إلقاء الأسئلة على هذا الساحر العجربى والتي كان يترجمها له " سامر " .. كانت كلها أسئلة مقبلة بالنسبة لهذا الساحر.. ظهر أثرها على وجهه الممتعض حين كان يزيح الشعر عن وجهه لينظر لهذا الأحمق الذي يوجه له تلك الأسئلة - أنا بالطبع- ولا عجب في ذلك.. فلا أظن ساحرا يقبل بأسئلة تشكك في قدراته السحرية وجدواها.. أو تتحدث عن الأساطير والخرافات من منظور علمى يسعى -دوما- لنسف كل ما هو ميتافيزيقى.. في الحقيقة لقد خفت أن يقوم الساحر من مكانه فيمسك بإحدى جماجمه اللعينة ويقذف بها في وجهى.. أو ينتزع من عرائسه المشنوقة دبايسه الحادة ليزين بها جسدى.. اتخذت قرارى بالإنسحاب التدريجى وكأنتى أخشى إن أحس هذا الساحر بأننى أصبحت أتوقع غضبه أن يغضبنى بالفعل.. كنت أحافظ على ما تبقى بيننا من مسافة فاصلة ولا أريد أن أترك له الفرصة ليجهز عليها.. أومأت إلى (سامر) في إشارة إلى أننى أنوى الإستئذان فنظر (سامر) إلى (جابر) ليستأذنه في الرحيل.. إلا أننا أصابتنا الدهشة حين عرض هذا الساحر أن يقرأ لى أوراق التاروت دون أن اطلب منه ذلك... أوراق التاروت -إن كنت لا تعلم- هي مجموعة من الصور الرمزية تشبه أوراق لعبة القمار يستخدمها الساحر لمعرفة الطالع والمستقبل الخاص بك.. استغربت كثيرا من ذلك إلا أننى لم أستطع أن أغضب هذا الساحر أكثر من هذا فرحبت بطلبه.

كان يعيد ترتيب الأوراق بطريقة حرفية مذهشة جذبت اهتمامي وكأنه أتى للتومن Binions' Poker Room في مدينة الخطيئة لاس فيجاس والذي يشجعك كازينو هذا الفندق للإقبال على غرفة قماره بتلك العبارة الفاتنة "The Place That Made Poker Famous" .. أمرني جابور - بعد ذلك - أن أسحب منها ورقة واحدة.. مددت يدي وسحبت ورقة فأخذها ثم نظر إليها بإهتمام بالغ..

أخذ ينظر لي ثم ينظر إلى الورقة وقد اكتست ملامحه بالقلق الذي سرعان ما تحول إلى ذعر.. لم أفهم شيئاً من ملامحه تلك.. من المؤكد أن ثمة كارثة سيهديني إياها بعد قليل!

التفت إلى وقال:

-ماذا فعلت حتى تتفتح عليك أبواب الجحيم أيها البائس الحزين!

كانت نظراته مرتعبة حين ضاقت عيناه.. وصوته صار مخيفاً أكثر من ذي قبل.. لم أكن أفهم ماذا يقصد بعد أن ترجم سامر كلامه.. أنا لم أصنع شيئاً وحياتي هادئة تماماً... ماذا يقصد هذا الأحمق!!

لم أجب عليه بشيء إلا أنه صار يتمتم بكلمات غامضة ثم وضع شيئاً في النار أمامه فانبعث منه دخان كثيف!

أثناء قيامي ونحن نودع هذا المشعوذ وقعت عيني على شيء ما يستقر بجوارى منذ البداية.. إنه كتاب متوسط الحجم له غلاف سميك من الجلد وعليه زخارف ورسومات وكلمات غامضة!

كان المترجم ينهي لقاءنا ب جابور باننيكا عندما مددت يدي إلى هذا

الكتاب.. قمت بوضعه أسفل معطفي بدون أن يشعر هذا الساحر مستغلا انشغاله بالإستماع إلى سامر، وعندما خرجنا من هذا المكان الخانق تنفست الصعداء وعدت إلى منزل صديقى.. ثم أكملت ما تبقى لى من أيام ضيافتى لديه ناسيا ما قد مضى من هذا اللقاء المزعج مستمتعا باللعب والمزاح مع ابنتيه في حديقة منزله الخلاب ومستمتعا بما تقدمه زوجته الحسنة من ألوان لا تعد ولا تحصى من الطعام والشراب!

حزمت حقائبي عائدا إلى مصر... بالطبع لم أنس احضار الكتاب الذي لم أفتحه أثناء اقامتى هناك.. فقد قررت أن أفتحه هاهنا وأترجم لغته لأعرف ما فيه ثم أضمه لمقتنياتى الخاصة.

- وهل عرفت ما فيه؟

- لم يكن شيئا ذا بال.. فالكتاب يحتوى قصصا من الفولكلور الفجرى، كنت أحسب في البداية أنه مكتوب باللغة الرومانية ولكننى اكتشفت بعد ذلك حين عرضته على صديق يعمل أستاذا بكلية الاداب وهو متخصص في اللغات القديمة، اكتشفت أن الكتاب مكتوب باللغة الرومنية وهى تختلف عن اللغة الرومانية، فاللغة الرومنية هي أحد اللغات الهندوأوروبية وهى التى يتحدث بها الفجر حول العالم مع اختلاف لهجاتهم فأعارنى قاموسا من صنعه هو، جمع فيه كل مفردات تلك اللغة، عكف على تأليفه وجمع مفرداته لسنوات ولم يطبع منه شيئا ولكن وضعه في مكتبته الخاصة فكان خير معين لى على ترجمة الكتاب، لا شيء ذو أهمية يذكر سوى أن حروفه كانت باللون الأحمر القانى.. لون الدم!

حانت منى التفاتة إلى ستار النافذة الواقع خلف "الحملاوى" والذي كان له نفس اللون فابتلعت ريقى بصعوبة ثم قلت له:

- هذا أمر طبيعى لدى السحرة.. إنهم يختارون هذا اللون في كتابة لعناتهم وطلاسمهم حتى يبدو مخيفا وأكثر رعبا... لكننى لا أرى غرابة فيما ذكرت.. لقد سافرت إلى صديقك في رومانيا وتقابلت مع أحد المشعوذين وقد استعرت منه - تلطفاً معه لم أقل سرقت - كتابا ثم عدت سالما.. وماذا بعد!!

التفت إلى ساعته للمرة العشرين فبدا عليه القلق أكثر حتى أننى أحسست بقطرات العرق على جبينه.. كنت مستغربا من نظراته المتكررة إلى الساعة ولا أعلم السبب الذي يدعوه لذلك.
رفع رأسه لى وقال:

- وماذا بعد!!.. سؤال جيد.. سأقول لك.. بعد عودتى الليلة من حفل التوقيع في الساعة العاشرة اتصل بى صديقى هذا.. كنت أحسبه سيبارك لى حفل التوقيع أو أنه يتصل للإطمئنان على كعادته ولكن الأمر كان مختلفا تماما!
- كيف؟

- بادرنى بهذا السؤال حين أجبته على الهاتف " هل قرأت الكتاب؟؟"
- أي كتاب؟!!

- هذا هو نفس السؤال الذي رددت عليه به.. فأجابنى عماد " الكتاب الذي سرقتك من جابور بانىكا!"

كانت صدمة بالنسبة لى.. كيف اكتشف صديقى تلك الفعلة الشنيعة التي
ما كنت أحسب أحدا سيعلم بها.. تخيلت أنه تعرض للمتاعب بسبب فعلتى
تلك.. هل هذا جزاؤه حين استضافنى!!

فى الحقيقة.. لم يكن هذا ما يشغل بال صديقى عماد.. إنما كان يشغل باله
أمر آخر.. أكثر خطورة وفضاعة!

لقد اكتشف الساحر سرقتى للكتاب واستطاع الوصول إلى صديقى بطريقة
لا يعلمها هو.. وأرسل إليه خطابا يوضح له أن الكتاب يحتوى على لعنات
ألقاها الطفافة من الفجر فيه بحيث تصيب من يقرأها أو يستمع إليها
بالهلاك المحتوم!

ساد الصمت للحظات قبل أن أقول:

- وهل تصدق أنت أمرا كهذا؟

أكمل وكأنه لم يسمع سؤالى:

- أخبرنى عماد أن اللعنة التي تصيب من يقرأ هذا الكتاب تتحقق في اليوم
الواحد والعشرين من وقت قراءته للكتاب.. يبدأ اليوم الواحد والعشرون
من منتصف الليل وتمتد اللعنة إلى طلوع شمس ذلك اليوم!

- وهل قرأت الكتاب بالفعل؟

مط الحملاوي شفتيه وهو يقول:

- نعم وبكل أسف!

-منذ متى؟؟

-منذ عشرين يوماً!

-هل تقصد أن..

-نعم.. هذه هي الليلة الموعودة!

توهجت الغرفة بفعل البرق مرة ثانية ثم تبعه بعد ثوان قليلة صوت الرعد

الهائج في الخارج!

ابتلعت ريقى ثم حاولت أن أكون متماسكا وأنا أقول له:

-و هل تصدق هذا الكلام؟؟.. أغلب الظن أن المشعوذ هذا يريد أن يعاقبك

على سرقة كتابه فقصد إخافتك!

-هذا احتمال وارد

-و هل هناك احتمالات أخرى!!

-لا أعلم يقينا.. دعنا نكتشف الأمر!

قالها بنبرة غامضة وكأن صوته يأتي من زمن غابرا!

أخذ ينظر في ساعته والقلق يبدو من نظرات عينيه التي تتوجس خيفة، يبدو

أنه مقتنع بالأمر إلى حد كبير، الآن فهمت سر نظره المتكرر إلى ساعته،

إنه يحسب الوقت، يتلهف لرؤية الشمس وهي تغلق الباب أمام هذه اللعنة

المزعومة!

كنت أنظر إلى الأرض أفكر في كل ما قاله ثم رفعتها مرة واحدة حين

تذكرت شيئاً:

-و لكن أنت لم تقل لى ما هي تلك اللعنة التي يفترض أن تتعرض لها في تلك الليلة

-لهذا جئت بك إلى هنا، لم أستطع الإتصال بأحد الأصدقاء المقربين إلى، فماذا أقول لهم؟.. سيبدو الأمر مضحكا عندما يستدعى كاتب الرعب الشهير صديقه لأنه يخشى من لعنة دسها أحد طغاة الفجر في كتاب، كما أن الأمر كله قد يكون هراء، لم أجد سواك، شاب يطمح في التقرب من صفوت الحملاوي ويرجو أن يلتقى به، وها أنا أدعوك للمكوث في بيتى حتى الصباح

-لم تقل لى إلى الآن ما نوع تلك اللعنة؟؟

صمت الحملاوي للحظات وهو ينظر إلى الشمعدان المعلق في سقف الغرفة الكبيرة، ثم أخفض رأسه مرة واحدة لينظر نحوى وعيناه تبرقان، وبصوت مهيب قال:

-اللعنة هي أن أقتل نفسى!!

-تقتل نفسك!!

-نعم.. هكذا أخبرنى "عماد الأشمونى" .. وبعد أن أخبرنى ذلك فزعت إلى مكتبتى أبحث في كتب التاريخ عن شيء يؤكد هذا فوجدت هذه الفقرة في مخطوطة تتحدث عن الفجر في أوروبا الشرقية وأصولهم:

(وفقاً للمؤرخين فإن أمر القصاص الملعونة يرجع إلى أوروبا الشرقية

في القرن السادس عشر والسابع عشر حيث كان الطغاة من الفجر يلقون
بلعناتهم في قصة بهدف معاوية أعدائهم ثم يقطعون ألسنتهم، ويزعم أن
القصة المصابة تؤدي بالضحية إلى أن تتحمل حظاً سيئاً إلى أن يوافقها
الموت المحقق)!

واللعنة تسيطر على الضحية من منتصف ليل الواحد والعشرين من الساعة
الثانية عشرة إلى شروق الشمس، وقد جئت بك إلى هنا لتقوم بمراقبتى
وحمايتى حتى لا أقوم بإيذاء نفسى إلى أن تشرق الشمس.. وقتها سأكون
حرا من اللعنة إن شئت هذا أو من الوهم!

والآن دعنى أحضر لك بعض الأطعمة الخفيفة فأنت لم تأكل شيئاً إلى الآن.

خرج الحملاوي من غرفة المكتب ليحضر بعض الأطعمة الخفيفة والفاكهة،
جلست وحيدا أفكر في كل ما قاله، صار مقدرًا لى أن أمضى ليلتى تلك مع
الحملاوي لنواجه سويًا لعنته المزعومة، فهل هو صادق فيما يقول، وإن كان
صادقًا فهل صدق هذا الساحر العجرب!

لم أشعر وقتها بأن عيني السارحة قد استقرت على هذا التمثال الأسود
الموضوع على رف المكتبة ذو العينين الفارغتين.. دقت النظر عليه أكثر
وأكثر.. أحسست بشيء من الفضول والتحدى.. قررت أن أخطو إليه وأقوم
بفتحه من المنتصف لولا أنني شممت شيئًا ما!!

رائحة دخان!

يبدو أن الحملأوي قد أأرق شيئأ.. كآنت عيني على التمثآل بينما تسمرت في مكآني حتى أسمع أي صوت قآدم من المآبخ.. لآ شيء!

آنآبني القلق على الحملأوي فآآهت إلی آبآ العرفة وقمت بفتح آبآ وآنآ آنآدى بصوت عآل:

-آسآذ صفوت!!

صمت رهيب وليس هنآك استآبآة.. هل آرج الحملأوي من الفيلا؟!

آنآلقت نآحية المآبخ...

تعثرت آقآمي في مقعد بآالصآلون فوقع وآآدث صوتآ مزعآآ.. آحسست آصبعي الصغير فقد آفت أن يكون قد آنصل عن قآمي.. هذآ الإصبع يملك آظآ عآثراً على الدوآ!

آمت وآنآ أنوي إكمال طريقي إآ أني لآآظت شيئآ غريبيآ.. دعوني آآزم الدقة فيما آكتبه إلكم وآقول أنه كآن شيئآ مآيفآ.. فكلمآ آقآرت من المآبخ آحسست بظلال غريبية تبعث منه!

آقآرت من آبآ المآبخ آآر وآآر.. مددت رآسي قليلا حتى آسرق النظر إلی مآ في الدآل..

يآللهل!

إنهآ نيران..

كآنت منشفة المآبخ الكبيرة ملقآة على الأرض وهي آآترق، بينما كآن الحملأوي وآقفا آمام فرن (البوتوآآز) لآ يدرى بمآ يآدث من آلفه، هنآ

انتبه الحملأوي ونظر وراثته..

صرخ بأعلى صوته وارتد إلى الوراء مذعورا وهو يرى النيران المشتعلة، أحضرت زجاجة من المياة وقمت بإطفاء هذا الحريق الصغير قبل أن تشب النيران في كل مكان..

-لقد كنت أصنع البيض المقلى وو.. وبقوارى تلك المنشفة موضوعة على الفرن فألقيتها خلفى، لم أحسب أن النيران شبت بها، لم أحسب ذلك أبدا كان الفزع باديا على الحملأوى، إن هذا الحادث يبدو عاديا جدا لو كان في أي ليلة أخرى، إلا أن تلك الليلة سيبدو كل شيء - مَهَمًا كان تافها - هو لعنة.. لعنة قاتلة!

تركت المطبخ ثم عدت بالحملأوى مرة أخرى إلى غرفة المكتب.. كنت أحاول بث الطمأنينة في قلبه وأن ما حدث هو مجرد صدفة بحتة ليس لها أي علاقة بما يفكر فيه، إلا أن نظرات عينيه بدأت توحى لى أن الأمر صار حقيقة لديه وأن شروق الشمس وحده هو ما سينقذه مما هو فيه!

بعد قليل استعاد الحملأوي رباطة جأشه سريعا وعلى نحو مفاجىء، يبدو هذا جليا حين قام بفتح نافذة المكتب والنظر من خلالها إلى حديقته المهمة.

عادت الأمطار تهطل بغزارة بعد أن توقفت من قبل.. يصل إلى سمعى وأنا أجلس على الأريكة السوداء صفير الرياح القوى في الخارج فقام الحملأوى بإغلاق النافذة مرة أخرى ولكنه ظل واقفا ينظر من خلالها عبر الزجاج، كنت أنظر إلى الحملأوى وقد وضع يديه في معطفه الأسود بياقته الطويلة

التي غطت نصف وجهه، كان غارقا في التفكير حين أضاء وجهه فجأة بفعل البرق فصار مخيفا بشدة، دوى الرعد حين التفت إلى الحملأوي مرة واحدة وقال:

- سأذهب لأحضر قدحا من الكاكاو الساخن، سأصنع لك واحدا بدلا من قهوتك التي لم ترتشف منها رشفة واحدة.. هل تخشى أن أضع لك شيئا ضارا فيما أحضره لك؟!.. هذا شيء يؤسفني لو كان صحيحا!
تجلجت قليلا ولم أدر ما أقول ثم أنني أردت أن أثنيه عن احضار قدح لى لكننى رأيت الإصرار في عينيه فاستسلمت له وأبديت امتنانى لصنيعه مصحوبا بإبتسامة هادئة.

عند الباب استدار الحملأوي وقال بجدية:

- لا تلمس شيئا ولا تتحرك من مكانك حتى أعود!
- حسنا!

تفاجأت قليلا من لهجته الأمرة فما الذي يدعو لتوجيه مثل هذا التحذير لى.. هذا الحملأوي صار مخيفا بالفعل!

كنت جالسا على الأريكة أتفحص غرفة المكتب الفخمة وأتأمل محتوياتها الغامضة.. لفت انتباهى تلك الأعداد المتراسة من الشمعدان التي صممت على هيئة أطفال باللون الأسود يبرز نصفهم الأعلى من الجدار وهم يرفعون بأيديهم مصابيحاً مضيئة تشبه الشموع.. كان المشهد مغريا بالتأمل عن قرب.

أمرنى الحملأوي ألا أقوم من مكانى أو ألمس شيئاً لكننى لم أعبأ بما يقول.. نهضت من مكانى.. بعد خطوات قليلة كنت أقف أمامهم!

دققت النظر أكثر وأكثر.. كانت التماثيل كلها تمتلك نفس الإبتسامة.. لا شيء أكثر من ابتسامة بريئة لأطفال صغار لم يتجاوز سنهم الرابعة.. إلا أننى لا أخفيك سرا فهذا البرق المتسلل من النافذة وأيضا ضوء الغرفة الخافت جعلنا من تلك الإبتسامة شيئاً مخيفاً بلاشك!

ببطء شديد مددت يدى لأتحسس واحدا منهم.. توجهت بها نحو يد التمثال التي تحمل المصباح المضى وقبل أن تقترب يدى منه انطفأ المصباح مرة واحدة!

تراجعت على الفور وأنا أنظر إلى المصباح الذي انطفأ بلا سبب بينما باقى المصابيح لم تزل مشتعلة!

مددت يدى ببطء وحذر شديد نحو تمثال آخر مجاور وما ان كادت يدى تلمسه حتى انطفأ مصباحه هو الآخر بينما في تلك اللحظة اشتعل المصباح الآخر الذي انطفأ منذ قليل!

ما هذا الكابوس الذي انفرست أقدامى فيه!!.. هممت بالرجوع مرة أخرى إلى الأريكة فقد أحسست بقرب عودة الحملأوي إلى الغرفة لولا أن شيئاً ما جذب أنظارى للمرة الثانية!!

التمثال الأسود الموضوع على رف المكتبة.. هذه المرة أحسست أن تجويف عينيه الفارغتين قد امتلأ.. ترى ما شأن هذا التمثال؟ هل أحضره الحملأوي معه من رومانيا؟ إن شيئاً غامضاً يدور حوله.. عندما تنظر

إليه تشعر أنه يراقبك.. هذا التجويف في عينيه لم أعد أشعر أنه فراغ..
أحسب أن داخله شيئاً يتحرك!

هذه الدمى والعرائس في بيتك والتي تتركها في الصالة لتذهب إلى المطبخ
وتعود فتجد أنها صارت في غرفة نومك.. أنت تعلم جيداً أنه ما من أحد في
المنزل سواك ولذلك يجذب الأمر اهتمامك.. هل قمت أنت بتغيير موضعها
وأنت لا تشعر؟

إن عقلك يستبعد احتمالاً قاتلاً لا يقوى على تخيله.. وهو أنها تحركت من
تلقاء نفسها.. هذا الإحتمال لا يتحملة عقلك.. لكنك تدرك حين لا ينفع
الندم أن هذا الإحتمال هو الحقيقة ولا شيء سواها!

كان البرق يتسلل بعنف من زجاج النافذة بعد أن نسى الحملوي إغلاق
ستائرهما.. اقتربت أكثر وأكثر من التمثال.. لا أعلم هل أضاءت عيناه
الفارغتان بفعل البرق الواقع عليه أم بفعل شيء آخر!!.. مددت يدي ببطء
نحوه..

فجأة.. سمعت أصوات أقدام بالخارج تقترب من غرفة المكتب!
استدرت للخلف بسرعة حتى أصل إلى الأريكة.. تراجعت بأقدام متعثرة
على الفور قبل أن يفتح باب الغرفة ثم قمت بلا وعى بترديد مقطع من
أغنية قديمة حتى أخفى عن الحملوي معالم الفزع البادية على وجهي..
كان مقطعا من أغنية لأم كلثوم والتي تقول فيها:
"خدني لحنانك خدني.. عن الوجود وابدني"

لا أعلم لماذا اخترت تلك الأغنية أو لماذا اخترت هذا المقطع بالذات..
أعتقد أنه ربما يكون قرارا سيئا بكل المقاييس أن تسمح لشخص مثل
الحملاوي أن يأخذك بعيدا عن الوجود!

توقفت الأقدام في الخارج إلا أن الباب لم يفتح بعد، تسمرت في مكاني
منصتا حتى يتسنى لأذنى أن تلتقط أي حركة ولكن بلا فائدة، كان الهدوء
يغلف المكان.

مرت لحظات قاتلة وأنا بداخل غرفة المكتب لا أعلم ماذا أفعل، توجهت
بأنظارى نحو النافذة وقد خالجنى شعور أحبيت أن أتأكد منه، سرت نحو
النافذة ثم مددت يدي لأفتحها..

هنا أدركت صدق ما شعرت به.. فقد كانت النافذة موصدة!

استدرت عائدا نحو الباب على عجل، وحين أوشكت على الإقتراب منه
انطفأت الأضواء فجأة، إلا أن المصابيح المثبتة في أيدي تماثيل الأطفال لا
تزال مشتعلة تضيء وجوههم وتبرز ابتساماتهم المفزعة.

أسرعت لأمد يدي نحو مقبض الباب وأدرته، ظننته موصدا هو الآخر لكنه
ولحسن الحظ انفتح، بخطوات بطيئة كنت أسير في صالة الفيلا المظلمة
وأنا أتحمس بيدي ما حولي، أردت الذهاب نحو باب الفيلا والخروج منها
فقد أحسست أن الحملاوي لم يعد موجودا هنا ولا بد لي من العثور عليه قبل
أن أفقده، أسرعت نحو الباب وقبل أن أمد يدي لأفتحه توقفت فجأة حين
سمعت صوتا يأتي من المطبخ..

-من بالصالة!؟

كان صوت الحملأوى.. لم يزل حيا بعد!

عدت إلى غرفة المكتب لاهثا قبل أن يكتشف خروجي منها وأغلقت الباب محاولا ألا أحدث صوتا ثم جلست على الأريكة.

مرت دقائق قبل أن يعود الحملأوى إلى الغرفة، تلك الدقائق كانت كافية لتشعل الفضول في داخلى مرة أخرى، قمت من مكانى وأنا أقصد التوجه إلى المكتبة، لكن هذه المرة لم يكن التمثال هو ما أثار الفضول في داخلى وإنما شيء آخر كان مستترا قبل أن يسقط عليه البرق في تلك اللحظة ليعلن عن وجوده!

كان كأسا ذهبيا لامعا لاحظت حين أمسكته بأن ثمة تجاويف على سطحه توحى بأنه كان مرصعا بقطع للزينة في يوم ما ثم سقطت عنه تلك القطع بفعل الزمن لأنه يبدو عتيقا للغاية أو أنها انتزعت منه انتزاعا هذا إن كان لها قيمة تستحق انتزاعها بالطبع.

أخذت أقلبه في يدى وأنا أشعر بأن شيئا غامضا يدور حول هذا الكأس القديم، أشعر بأن أحداثا جساما يحملها في جوفه توشك أن تُراق وتغرق ليلتنا هذه!

هنا وفي تلك اللحظة أحسست بمزلاج الباب ينفتح.. لقد كان الحملأوى!

دخل الحملأوى ومعه أقداح الكاكاو الساخن تتصاعد منه الأبخرة لتصنع سحرها المحبب في هذه الليالى الباردة، كما أنه أحضر -أيضا- صينية

عليها بعض الفاكهة قام بوضعها أمامه وهو يجلس على المكتب.. لا أعلم سر هذا المزج بين قرح الكاكو الساخن وبين الفاكهة!!

استطعت أن أصل إلى الأريكة قبل أن يدخل صفوت لكنه نظر لى بشيء من الريبة وضافت عيناه ثم رفع حاجبه وكأنه يشعر أنني أحدثت أمرا ما من بعده، لكنه هز كتفه مع همهمة بسيطة في نهاية الأمر وكأنه لا يبالى! وضع أمامى قرح الكاكو ثم عرض على طبقا من الفاكهة فأبدت عدم رغبتى بذلك فأخذها ثم عاد إلى مكتبه.

كان يقشر التفاح بسكين كبير.. هذا السكين من المستحيل أن يكون قد صمم من أجل تقطيع الفاكهة.. نصل حاد وطويل يبدو مناسبا أكثر لذبح الحيوانات الكبيرة!

أمسك الحملوي السكين ويده الأخرى أمسك تفاحة وأخذ يقطعها.. كان مبتسما بطريقة تثير الخوف والرهبة وكأنه يستمتع بتقطيع التفاحة إربًا إربًا..

فجأة.. وضع قطع التفاح في الصينية ورفع السكين عاليا ناحية رقبته..

كنت أنظر إلى نصلها وهو يقترب من رقبته النحيفة.. يبدو أن الحملوي لا يعى ما يفعل.. في تلك اللحظة تذكرت اللعنة التي يدعى أنها تسيطر عليه ليقتل نفسه.. هممت أن أقوم من فوق الأريكة فزعا نحوه لأمسك بالسكين إلا أنني وجدته يحك بإصبعه الإبهام في رقبته ثم أعاد يده مرة أخرى إلى الأسفل!

كنت أحسب أن الحملأوي سيعيب رقبته بسوء.. ترى هل بت أصدق تلك
اللجنة!!

رفع الحملأوي رأسه مرة واحدة نحوى ثم أدار رأسه وأخذ يتأمل غرفة مكتبه
وكأنه يراها لأول مرة بعد فترة طويلة، كان يتأمل محتوياتها وهو يلوك قطعة
التفاح في فمه وعينه سارحة مما يدل على استغراقه في التفكير.

فجأة لمحته وقد أخذ يدقق بالنظر إلى مكان ما.. لقد كان ينظر نحو
مكتبته.. بصورة أدق.. كان ينظر نحو موضع الكأس الذي كنت أتأمله!

نظرت بدورى وأنا أبتلع ريقى إلى موضع الكأس لأكتشف الخطأ القاتل الذي
وقعت فيه، فأنا حين أحسست بالحملأوي يفتح الباب أردت إعادة الكأس
إلى موضعه لكننى بكل أسف أخطأت في وضعه بمكانه.. لقد كان موضوعا
على يمين التمثال الأسود بينما موضعه الأصلي على يساره!

انتبه الحملأوي لهذا الخطأ القاتل ثم قام واقفا ليتوجه نحو الكأس وعلى
وجهه أمارات الدهشة والتوتر، وحين وصل إليه أمسكه في يده ثم التفت
إلى..

-هل قمت من مكانك؟

نظرت إليه في صمت ولم أدر ما أقول فلم يترك الوقت لى فأردف قائلا في
غضب:

-لقد حذرتك من القيام والعبث بأغراضى في تلك الغرفة.. أليس كذلك؟!..
يبدو أنك ستلقى حتفك يوما ما بفضل هذا الفضول الذي يوشك أن يقتلنى

أنا الآخر في هذه الليلة!

شعرت بالخجل من موقفى هذا وهممت بالإعتذار له لكنه بادرنى قائلاً:

- أنت لا تعلم قيمة هذا الكأس.. ولو كنت تعلم سره ما اقتربت منه قيد أنملة!

أخذت أراقبه وهو يقبل الكأس في يده بحذر شديد وكأنه أم تمسك بطفل هبط من رحمها للتو.. بكلمات قصدت بها أن أطفء الأجواء المحترقة بيننا سألته:

- وما سر هذا الكأس؟.. لو كان هذا مما يباح لى معرفته بالطبع

لم يرفع الحملأوي عينيه المسلطة على الكأس في يديه ولكنه تتم بصوت رخيم هادىء:

- قمت بشرائه من أحد الفجر ذوى السمعة السيئة حين كنت في (كالفينى)، فقد كان يمتهن العديد من الأعمال المنافية للقانون لعل أبسطها أنه كان مهرباً للأثار القديمة!

- أبسطها!

قلتها بإستكار لكنه أكمل دون أن يلتفت لتعليقى...

- لم أتردد في دفع مبلغ باهظ مقابل هذا الكأس خاصة بعد أن حكى لى قصته!

- وما هي قصته؟

تراجع الحملأوي إلى مكتبه وهو يحمل الكأس بحذر شديد بكلتا يديه ثم

وضعه أمامه ببطء.. تراجع بظهره وهو ينظر نحوى ثم قال:

-يعود هذا الكأس للقرن الثامن عشر، فقد كان بجوزة ملك يحكم مدينة كلوج بترانسلفانيا، كان كأي كأس آخر يتناول فيه الإنسان شرابه لكنه وفى وقت ما لم يعد كذلك!

-ولكن كيف تسنى لهذا الفجرى الحصول على شيء كهذا؟!

-يدعى أنه توارثه من أجداده السابقين.. فقد استطاع جده الأكبر الحصول على هذا الكأس بزجاجة خمر من أحد أصدقائه الجنود الذين كانوا يعملون في قلعة الملك، لعلك تستغرب أن يبتاع كأسا كهذا بزجاجة خمر؟!.. لكن هذا الفجرى قال لى أن الجندى كان يشعر بالنصر لحصوله على زجاجة الخمر فقد كان الكأس وقتها غير مرغوب به على الإطلاق إلى الدرجة التي جعلتهم يأمرؤن بحرقه في ذاك الوقت.. لكن الجندى أخفاه قبل أن يحترق مع غيره من الأشياء التي أمروا بحرقها.. أخفاه ثم عرضه على صديقه الفجرى لأنه يعلم رغبته في اقتناء أي شيء يبدو غامضا أو غريبا، ومن وقتها انتقل الكأس من شخص إلى شخص حتى وصل إلى هذا الفجرى الذي قابلته.. بالطبع انتقل ولكن قبل أن ينتزعوا منه الأحجار الكريمة التي كانت تزينه.. هذا ما ادعاه الفجرى ولا أعلم صدقه من كذبه.. لكن القصة التي رواها لى تكفى لى أنعامل مع هذا الكأس بحذر شديد!

تولد لدى شيء من الشغف لأعلم قصة الكأس وكأن الحملأوي أحس بهذا فابتسم لى ابتسامة غامضة ثم اعتدل في جلسته ونظر إلى وقد ضاقت عيناه ليقول كلماته بصوت عميق:

- ما رأيك في قصة؟

- ماذا!!

- قصة.. أروى لك قصة هذا الكأس نقطع بها الوقت في هذه الليلة الباردة..

لم يتبق في ليلتنا سوى أقل من ثلاث ساعات.. ما رأيك؟

- لا يوجد عندي ما يمنع ذلك.. كلى أذان صاغية.

كان الأمر غريباً.. فهذا الحملأوي يظن أن لعنة قاتلة تلاحقه هذه الليلة

والآن يود قضاء الوقت في قصة.. لا أصدق أن هذا الشخص هو نفس

الشخص الذي كاد يموت رعباً في المطبخ منذ وقت قليل، كيف استعاد

رباطة جأشه هكذا!

لم يكن عندي مانع من سماع قصته فهذا أفضل ما نفعله في مثل هذه الليلة

فهزرت رأسى وقلت له:

- بالتأكيد إن كان هذا ما تريده

ابتسم الحملأوي ابتسامته الغامضة وقال:

- إذن فلنبدأ..

كلوج - ترانسلفانيا - خريف سنة ١٧١٩

على غصن شجرة عملاقة على أطراف غابة هويا باكيو أطلق طائر البوم نذيره المشنوم حين لاحت في الأفق عربية خشبية سوداء محاطة بأربعة مصاييح زيتية مثبتة بإحكام على جوانبها الأربع يجرها الخيل قادمة من بعيد.

كان قائد العربية الذي ارتدى معظفا أسود وقبعة سوداء يستحث الخيل للمضى قدما وكانت الخيول الأربعة لا تدخر جهدا في ذلك فكانت تقطع المسافة بسرعة كبيرة في هذا الطريق الغير ممهد.

لم تكن خطورة هذا الطريق الضيق تكمن في كونه غير ممهد.. وإنما يدرك السائق جيدا خطورة السير ليلا في هذا الطريق الذي يعبر بصعوبة من بين أشجار تلك الغابة!

في أطراف الغابة تبدو الأشجار كثيفة والأغصان ملتفة ومتشابكة بحيث لا تستطيع أن ترى من الخارج أي شيء بالداخل.. ولكن بعد الولوج بها تصبح الأشجار متناثرة وأقل كثافة.

كان السائق يتصيب عرقا كلما اقتربت العربية من الغابة.. حتى خيوله صارت تسهل كثيرا وبصورة مفرعة.

في داخل العربية كان عجوز يرتدى قبعة سوداء وبزة حمراء وله شارب

ذهبي رفيع يحشو بندقيته استعدادا للشر القادم.

"لا تدخلها لأنك لن تخرج منها"!!

كانت أنفاس لودوفيك متقطعة وقصيرة وهو يتذكر هذا التحذير الذي سمعه من كل شخص مر عليه في طريقه إلى هنا.. كان الجميع يستوقفونه ويحاولون منعه من إكمال طريقه نحو الغابة.. لقد بات يشعر بالخطر وعليه أن يبقى يقظا إذا كان يريد البقاء حيا أثناء مروره من هويا باكيو.

أخرج لودوفيك رأسه من داخل العربة وهو ينظر في قلق شديد إلى هذا الجحيم الذي يقترب أكثر وأكثر.. كان الضباب الكثيف يخفى بعضا من ملامح الغابة فأضفى هذا الضباب مزيدا من الفزع والرعب في داخل لودوفيك!

أدخل رأسه مرة ثانية ثم تفحص بندقيته للمرة الأخيرة حتى يطمئن على جاهزيتها لإطلاق رصاصته في أي لحظة.. قبض عليها بكف يده ثم بدأ يتلو صلاته!

انقشع الضباب حين صارت الغابة على بعد أمتار قليلة وأوشكت أن تبلع العربة في أحشائها حيث أنه لا طريق آخر تعبر العربة منه إلا هذا الطريق الذي يمر من قلب غابة هويا باكيو.

أبطأ السائق في سيره عندما أمره لودوفيك بذلك وأشار إليه بالأصغر صدر عنه أي صوت، وكأن الخيول استجابت لأمر لودوفيك أيضا فكانت تسير في سكون تام دون أن تصهل.

كان لودوفيك مرتعبا حتى الموت لأنه يعلم الخطر الذي يسكن تلك الغابة..

إنه يعرف جيدا أن الذين اقتحموا تلك الغابة ليلا هم أكثر.. ويعلم أيضا أن الذين بلغوا آخرها بسلام هم قلة ناجية!

فمنذ عشرين سنة جلب الكونت دينكا أحد أثرياء كلوج المعدودين والذي يتمتع بسلطة كبيرة ونفوذ قوى مائة من الفجر إلى تلك الغابة.. لقد حكم عليهم بالإعدام لإتهامهم بممارسة السحر وإلحاق الأذى بالمواطنين الرومانيين.. كان الجميع يستوعب صحة هذا الإتهام ويتفهمون مدى الجرم الذي يرتكبه بعض الفجر الذين يمارسون السحر.. لكنهم أبدا لم يتفهموا طريقة إعدامهم!

لقد أعدم الكونت مائة من الفجر رجالا ونساء وأطفالا بطريقة وحشية تقشعر لها الأبدان، جلبهم الكونت إلى تلك الغابة مقيدين في الأصفاذ ثم حبسهم جميعا في سجن بتلك الغابة محاط بأسوار عالية وحراسة شديدة بناه خصيصا لذلك، ثم أعطى كل سجين من المائة خنجرا واحدا، وأخبرهم بطريقتهم الوحيدة في النجاة!

إن فردا واحدا هو من سيتم اطلاق سراحه، هذا الفرد هو الشخص الوحيد الذي سيبقى سالما بعد أن يمزق المائة فجري بعضهم البعض من أجل النجاة، سيكون على كل شخص داخل السجن أن يمزق جسد الباقيين ويصبح هو آخر شخص حى في السجن حتى ينجو ويتم اطلاق سراحه.

ترددت الحكايات التي تروى بشاعة ما حدث، في بداية الأمر انطلق بعض الفجر إلى أسوار السجن العالية يحاولون تسلقها إلا أن بنادق جنود دينكا أردتهم صرعى جميعا فترجع الآخرون الذين كانوا قد قرروا الفرار مثلهم!

تراجع هؤلاء ليعودوا بجوار الباقين، لقد وقف الفجر في ساحة السجن الواسع ينظرون إلى بعضهم البعض في توجس وحيرة.. كانوا لا يصدقون هذا الموقف الذي فرضه دينكا عليهم.. كان منهم الأهل والأصدقاء والجيران الذين تربطهم علاقات طيبة.. كل هؤلاء صاروا ينظرون جميعا في رهبة واستغراب بالغين.

لم يكن أحدهم يصدق من قبل أن يتفوه بكلمة نابية نحو الآخرين أو أن يرفع يده عليهم فضلا عن تلك السكين التي قبضوا عليها بأكفهم.. كان صراخ الأطفال والصغار يملأ الساحة الواسعة بينما كانت أعين الكبار قلقة وزائفة!

و كأن الجميع لا يدركون حقيقة ما يحدث ولا يتخيلون لحظة أن تمتد تلك الخناجر لتستوطن قلوب أحبابهم وأقاربهم.

أخذ الرجال ينظرون إلى بعضهم البعض في توجس وريبة وهم يثبتون أعينهم على تلك الأكف التي تقبض على الخنجر وكأنهم ينتظرون تلك اللحظة التي يفقد فيها أحدهم عقله تحت سطوة الخوف وحب البقاء!

استغرقهم الأمر ثلاثة أيام حتى بلغ الجوع والضعف منهم مبلغه وكادت الأطفال أن تموت جوعا وصار الإنتظار ليوم آخر أمرا لم يعودوا يطبقونه.

كان الأمر يحتاج إلى فجرى واحد يبلغ الخوف والضعف منه مبلغا كبيرا ليدفع بسكينه نحو صدر فجرى آخر بجواره.. وسرعان ما تحول الفجر داخل السجن إلى وحوش قاتلة تفتك بكل من حولها!

كان الصديقان يتجمعان على فرد واحد لا يعرفانه جيدا ليقتلاه ثم يستدير

كل واحد منهما نحو الآخر ويتبادلان نظرات قلقة لم يعرفا لها مثيلا من قبل.. ثم سرعان ما يتقاتلان حتى يسقط أحدهما صريعا على الأرض.. تآثرت الأشلاء والجثث الممزقة في كل مكان وارتوت أرض الغابة بالدماء! كانت الأطفال والزوجات في مقدمة الضحايا حيث لم تقدر الأم أن تقتل أطفالها بينما لم يتردد زوجها لحظة واحدة في الفتك بهم جميعا.. لقد كان يعلم جيدا أن زوجته وأولاده سيلاقون نفس المصير إما بيديه أو بيد غيره.. لم يفلح صراخ الأمهات في منع أبنائهن الكبار من غرز السكين في أجسادهن.. لقد صار القتل في كل مكان وتحول الجميع إلى وحوش ضارية لا تعرف الرحمة ولا الشفقة تسلب الأرواح حتى تصل إلى النهاية التي وضعها دينكا شرطا للنجاة.

في نهاية اليوم كانت الطيور الجارحة تحوم أعلى السجن تنتظر اللحظة المناسبة للإنقضاض على تسع وتسعين جثة ممزقة.. لم يكن يمنعها من ذلك سوى شخص واحد يجلس في منتصف ساحة السجن والدماء تتقطر من جسده العملاق.. كان هذا هو الناجي الوحيد.. لقد استطاع البقاء حيا بعد هلاك الباقيين.

كان الكونت ينظر إليهم في الأيام الثلاثة من أعلى برج يطل على السجن يحتسى الخمر وبجواره حاشيته وحسناواته.. شيد هذا البرج خصيصا لمراقبة الصراع الدموي بين السجناء والإستمتع به.

انفتحت أبواب السجن ودخل الحراس إلى المكان.. انطلقوا إلى هذا الشخص التابع في منتصف الساحة وأخذوا يجرونه إلى خارج السجن

حيث الملك بانتظار أن يراه.

كان السجين لا يزال صلبا رغم الدماء الكثيرة التي نزلت منه.. أخذ الكونت ينظر إليه وهو يتأمل جسده العملاق وبنيته القوية.. كان الإتفاق يقضى بأن يتحرر هذا السجين وبالفعل أمر الملك بإطلاق سراحه.. وحين ابتعد بضعة أمتار سحب الكونت بندقيته وأطلق رصاصته في ظهر السجين وهو يضحك بصورة هستيرية بينما استدار السجين نحوه وهو يتألم من تلك الرصاصة الغادرة.. كانت نظرتة حادة وقوية.. لم تكن نظرة شخص يحتضر.. وإنما شخص ينوى الإنتقام!

أمر الكونت بهدم أسوار السجن وحرق كل شئ فيه.. لم يرغب في ترك شئ يدل على فعلته تلك رغم أنه لا يخشى العقاب.. لكن نظرة هذا الفجرى الذي قتله بعد أن أطلق سراحه جعلته يتمنى لو أن شيئا من كل هذا لم يحدث.

ومنذ تلك الحادثة لم يعد أحد يقدر على الخوض في تلك الغابة أو الإقتراب منها.. لم يستطع ذلك إلا قلة من المغامرين الذين عادوا ليرووا قصصا لا تصدر إلا من الجحيم نفسه!

كانت الروايات مختلفة ولكنها تجمع على أمر واحد.. أن عددا كبيرا من الوحوش تجوب الغابة كل ليلة.. لم يعرف أحد عددهم إلا أن لودوفيك كان يعلم عددهم بدقة..

إنهم مائة من الأشباح الغاضبة!

عندما وصلت العربة إلى منتصف الغابة أحس لودوفيك بتحركات مريبة تحدث من حوله.. لقد كان ينصت إلى أصوات الأقدام التي تدوس أوراق الشجر الساقطة على الأرض.

كان قد وصل إلى ساحة واسعة في منتصف الغابة.. أمر السائق بالتوقف. في تلك الليلة كان البدر مكتملا والسحاب الكثيف يركض من أمامه.. وعندما انقشع السحاب استطاع لودوفيك أن يرى من النافذة الصغيرة لعربته الخشبية بقايا أسوار كانت عالية في يوم من الأيام.. أحس لودوفيك أنه يسمع صرخات تتبعث من المكان!

مر على ذهنه تلك المشاهد التي تخيلها وهو يسمع قصة الفجر المائة الذين تم قتلهم بطريقة وحشية.. كانت مشاهد الطعنات والتمزيق وأنهار الدماء التي أريقت في تلك الساحة التي يقف فيها الآن تمر بخاطره.. ابتلع ريقه بصعوبة وهو يمد يده نحو سلاحه.. أخطأت يده الوصول إلى مكان البندقية مرتين.. كان لودوفيك مرتعشا وخائفا كما لم يحدث من قبل.

هنا ارتفع سهيل الخيول وارتبك السائق ثم نظر خلفه إلى لودوفيك وقال:

-ماذا نفعل!!

لم يجب لودوفيك ولم يستطع أن يفعل.. لقد كانت أسنانه تصطك وجسده يهتز بشدة.. كان يلهث في محاولة منه لإلتقاط أنفاسه وتهدئة نفسه.

هنا فقد السائق صوابه وقفز من فوق العربة ولاذ بالفرار إلى داخل الغابة..

صرخ لودوفيك:

-أيها التعيس.. ماذا تفعل!

لم يلتفت السائق بل صار يعدو كالمجنون ليختفي بين الأشجار.. بعد دقيقة واحدة سمع لودوفيك صرخة تأتي من داخل الغابة ليتمتم بشفتيه في ألم وخوف..

-أوه.. ياله من مسكين!

بأقدام متعثرة نزل لودوفيك من العربة ليقف على الأرض في منتصف الساحة وهو يفتح عينيه عن آخرهما وينصت بأذنه.. أحس بأنه في تلك اللحظة لم يعد وحيدا أبدا رغم هذا السكون من حوله.. ولكنه كان سكون ما قبل العاصفة.. لقد أوشك الجحيم أن يفتح أبوابه وعليه أن يتخذ قراره على الفور.

رفع سلاحه عاليا وهو ينظر إلى تلك العيون التي بدأت تلمع في الظلام من حوله.. كان ينصت بشدة إلى هذا الفحيح القادم من خلف الأشجار.. بيد مرتعشة وضع اصبعه على الزناد ثم أغمض عينيه وأطلق رصاصته في الهواء.

اندفع داخل عربته في لحظة خاطفة ثم تكوّم في أسفلها وهو يتلو صلاته الأخيرة.. لقد أدى مهمته على أكمل وجه وعلى الحظ أن يحالفه وينجو من تلك الحرب الدامية التي بدأت على الفور.

لقد كان لودوفيك طعما لتلك الأشباح التي تسكن الغابة وكانت تلك الرصاصة بمثابة ساعة الصفر التي ينطلق بعدها جيش من الفرسان الذين يتقدمهم الملك (ماريان) نحو الساحة.. لقد انتظروا قدوم تلك الأشباح

وتجمعها حول لودوفيك حتى يتخلصوا منهم دفعة واحدة..

كان ماريان قد دخل مع فرسانه إلى الغابة عصر هذا اليوم واختبأوا بين الأشجار ومن فوقها صنعوا حضرا ونزلوا فيها بانتظار الليل حين يحضر لودوفيك ويطلق رصاصته المنشودة.. وقتها يخرجون من مخابئهم إلى الساحة حيث يقف لودوفيك.

كان لودوفيك يرتجف متكوما في أسفل العربة.. يسمع صراخا وضجيجا في خارج العربة يدفعه للتكوم أكثر وأكثر في مكانه.. كانت العربة تهتز به فكان يحس في كل لحظة أن أحدهم سيقنحم عربته ويفرس أنيابه في جسده! بعد قليل هدأت الأصوات بالخارج.. كتم لودوفيك أنفاسه وهو ينصت بأذنيه ثم رفع رأسه ببطء نحو النافذة الصغيرة للعربة..

-ياللهول!!

كان المشهد في الخارج أكثر بشاعة مما تخيل.. أتاح له السحاب المنقش عن البدر في تلك اللحظة أن يرى المشهد بوضوح.. كانت الأشلاء متناثرة في كل مكان وقبعات الفرسان تطايرت على الأرض بجوار رقابهم المقطوعة وأطرافهم المبتورة.. أدرك حينها أن كل شيء قد انتهى.. حتى حياته أوشكت على الإنتهاء.

خرج من العربة ثم وقف في منتصف الساحة ليستقبل نهايته بدلا من انتظارها في العربة.. رجف قلبه حين رأى الأشجار تهتز أمامه وأصوات الخيول توشك أن تندفع من ورائها..

-إنها النهاية!

أغمض لودوفيك عينيه وهو يجثو على ركبتيه في انتظار مصيره المحتوم..
- أنت.. افتح عينيك لقد تمكنا منهم.

فتح لودوفيك عينيه وهو لا يصدق هذا الصوت البشرى الذي يخاطبه..
التقط نفسا عميقا وعلى وجهه أمارات الفرح بنجاته بعد أن تيقن من
هلاكه.

-ماذا حدث لتلك الأشباح.. حمدا لله أنك بشرى مثلى تماما.. كنت أخشى
أن تخرج الأشباح من خلف تلك الأشجار وتمزق جسدى كما تصنع دوما
-لاتخش شيئا لقد تمكنا منهم بينما استطاعت البقية أن تلوذ بالفرار وقد
اختطفوا شابا يافعا منا..
-أوه.. شكرا يا الهى..

ثم استدرك لودوفيك قائلا:

-وماذا عن هذا الشاب المسكين؟!

-سنستعيده فلا تتلق.. عما قريب سنكتمل ونصبح كما كنا دوما.. مائة!
شهق لودوفيك واتسعت عيناه عن آخرها حين علم أن الذي يقف أمامه ليس
فارسا من فرسان الملك.. بينما في تلك اللحظة كان الملك ماريان يضرع
من نجا من فرسانه خارج الغابة ومعهم هذا الشاب الذي قبضوا عليه..
توقف الملك حين سمع صرخة عالية من داخل الغابة.. من الساحة تحديدا
حيث كان يقف لودوفيك..

-لودوفيك المسكين..!!

قالها الملك ثم أمر رجاله بالمضى قدما والعودة من حيث أتوا.

نظر الحملأوي إلى ساعتة ثم أخذ نفسا عميقا وعلى وجهه ابتسامة غامضة.. كانت الأمطار تهطل بغزارة وتصطدم بزجاج نافذة المكتب، حانت منه التفاتة إلى قحح الكاكاو الموضوع أمامى، أبدى استيائه لعلمه بأننى لم أرفع القحح إلى فمى لكنه لم يشأ أن يتسبب فى شعورى بالخجل فلم يعلق على ذلك.

كنت أراقب ملامحه فلاحظت شيئا غريبا.. لقد كان يرهف بسمعه وكأنه فى انتظار أن يسمع شيئا ما..

فجأة دق باب الفيلا..

ثلاث طرقات متتابعة على الباب الخشبى اخترقت سكون المكان.. كان الأمر غريبا أن يدق أحدهم باب الفيلا فى هذا الوقت المتأخر ليلا.. هذه المنطقة النائبة حتما لا يعبر من أمامها إلا القليل نهارا فما بالك بهذا الوقت المتأخر من الليل!

انطلق الحملأوي صوب الباب دون أن يبدو عليه أى علامات للإهتمام وكأنه يتوقع هذا الضيف القادم..

ظللت عاكفا فى مكانى حتى يعود.. سمعت باب الفيلا الخشبى الغليظ وهو يفتح.. مرت خمس دقائق حتى سمعت صوت الباب وهو ينغلق مرة أخرى! كان باب المكتب الجرار شبه مغلق فقممت أنظر من خلاله لأرى ما يحدث

بالخارج.. رأيت الحملأوي وهو يحمل في يديه شيئأ ما ويذهب به إلى المطبخ.. بعد قليل عاد إلى غرفة المكتب مرة أخرى..

أخبرنى أن هذا الضيف هو جاره الذي يسكن في تلك العمارة التي تظهر أضوأؤها من بعيد وأنه كان قد استعار حبلا قديما وأراد ارجاعه قبل أن يسافر فجرا إلى الإسكندرية لينهى بعض أعماله.

كنت مندهشا مما قاله.. استغربت هذا الضيف القادم من بعيد في تلك الساعة المتأخرة ليحضر حبلا قديما كان قد استعاره من قبل!!.. إلا أنني نسيت الأمر برمته حين شرع الحملأوي في استكمال قصته الغامضة.

فى سوق كلوج الكبير تراص البائعون على جانبي الطريق الحجري في قلب المدينة وكان الضجيج والصخب يملأ المكان..

تسلل (هانكو) خفية من وراء (ثيودورا) بائعة الجوز الحسناء التي تبلغ من العمر تسعا وثلاثين سنة ثم مد يده نحو حافظة نقودها ليسحبها من غير أن تشعر.. إلا أن (بويوفا) بائع العنب الذي يجلس في المقابل من الناحية الأخرى صرخ بها:

- اللص الحقير هانكو خلفك يا ثيودورا

انتبهت ثيودورا واستدارت لتجد هانكو سلب حافظة النقود وصار يعدو في السوق الكبير.

صرخت:

-أحضروا هذا اللعين.. لن ينجو بفعلته هذه المرة!

انطلق عشرات الباعة والفتيان خلف الفتى الذي يبلغ من العمر سبع عشرة سنة.. كان رشيقا على نحو ملفت.. يقفز من فوق الباعة وعرباتهم.. يتعثر أحيانا ببضاعتهم فتتبعثر الخضروات والفاكهة على الأرض مما يزيد في عدد الراكضين من خلفه والمطاردين له.

كاد هانكو أن يصل إلى آخر السوق وینجو بفعلته لولا أن أحدهم وضع قدمه أمامه فتدحرج على الأرض وتكدس الناس من فوقه، أوشك الناس أن يوسعوه ضربا إلا أن صرخة ثيودورا أوقفت كل شئ!

تقدمت الحسنا بخطوات بطيئة من هانكو ثم صفعته على وجهه.. كان الفتى ينظر لها بعيون لامعة وبيتسم في تحد واضح..

-لا أعلم شيطاننا يسرق أمه أيها الوغد!

ثم صفعته على وجهه مرة أخرى.. فانطلق هانكو في الضحك وقال لها:

-حسنا.. إن كانت لا تعرف الرحمة فربما يفعل!

قفزت ثيودورا كالفهد على ولدها فسقطا أرضا وصارت تصفعه في كل مكان بينما هانكو لا يتوقف عن الضحك مما زاد في غيظ أمه أكثر وأكثر.. وقف الناس يتفرجون على ثيودورا وابنها وهما يتصارعان.. وانقلب السوق الكبير إلى صيحات تشجيعية تارة لثيودورا وتارة لابنها المشاغب الذي لا يمل من صنع تلك المواقف كل يوم.

توقف الجميع مرة واحدة وأخذ الناس يفسحون الطريق في عجلة.. فقد نادى المنادى بقدوم الملك ماريان وفرسانه.

أخذ الباعة يلهثون ويجرون بضاعتهم إلى الطرق الجانبية الصغيرة.. وفى أقل من دقيقتين كان الطريق خاليا تماما بينما الناس على جوانبه يتلصصون.

وقفت ثيودورا وابنها هانكو خلف جدار حجرى يراقبان ما يحدث، كان المشهد رهيبا ولا ينذر بالخير!

فقد عاد الملك ماريان بأقل من نصف جنوده الذين ذهب بهم، كانت الجنود تتزف بصورة بالغة بينما يحمل البعض جثثا لأصدقائهم وأقاربهم والتي استطاعوا احضارها وهم هاربين بينما تركوا الكثير من الجثث خلفهم.

كان المشهد مؤلما بحق.. إن المدينة بانتظار الملك، والإحتفالات والطبول جاهزة للبدء فلم يكن أحد يعتقد أن تلك الغابة ستقف صامدة أمام جيش الملك وفرسانه الشجعان، لكن خيبة الأمل سرعان ما تسربت إلى نفوس الجميع.

كان الموكب الممزق يمر من أمام الناس إلا أن شيئا لفت انتباههم.. هذا الشاب المقيد بالأغلال والذي وضعوه على حصان خاص به.. ترى من يكون!

بعد أيام قليلة استطاع الناس أن يعرفوا القصة كاملة.. إن الغابة التي أضجت مضجعهم وأرعبتهم لسنوات طويلة لم يكن يسكنها سوى مائة من الفجر وسحرتهم وليس أشباح من تم اعدامهم من قبل.

عندما علم الفجر بما تم لأقاربهم ووبنى جنسهم ثاروا وغضبوا وقررروا الإنتقام لهم.. فتجمع مائة من الفجر وأقسموا على الإنتقام وذهبوا إلى الغابة حيث تم اعدام وحرقت ذويهم وقررروا قتل أي مواطن روماني يعبر المنطقة.. واستخدموا لذلك كل أساليب الشر والقتل والسحر الأسود، فاعتقد الناس أن الغابة مسكونة بالأشباح الغاضبة، وذلك لما كان يتردد على السنة الناجين من رعب وهول.

قرر الملك ماريان الإحتفاظ بالفتى حيا وحبسه في السجن أسفل قلعته الكبيرة التي تقبع فوق قمة تل على أطراف المدينة.

اقترب موكب الملك ماريان من قلعته، القلعة تغطي تالا عاليا لا يجاوره شيء ولا تستطيع الوصول لباب القلعة إلا عن طريق جسر طويل يربط بين القلعة من أعلى وتلك الساحات المنبسطة من الأسفل والتي تمتلىء بالأشجار العالية والحقول الشاسعة والأكوخ الصغيرة المتناثرة التي يسكنها المزارعون، وأما الجسر الحجري فإنه مشيد فوق أعمدة حجرية ضخمة.

تضفى الأبراج العالية متفاوتة الإرتفاع والأسطح الملونة باللون الأحمر الطوبى الرهبة والغموض على تلك القلعة.. يحيط بها من الخارج سور به العديد من أبراج الحراسة وهناك ساحة واسعة تفصل بين السور من الداخل وبين القلعة.

توقف المزارعون الذين يعملون في حقول الملك التي تحيط بالقلعة عن عملهم ليشاهدوا بأسى بالغ ما لحق جيش ماريان، وأما الفتى الذي تم أسرهم

فكان ينظر حوله بلامبالاة، في حين أخذ المزارعون يرمقونه بنظرة خائفة فقد كانوا لا يزالون يعتقدون بأنه شبحا وليس بشرا مثلهم.

من احدى شرفات القلعة العالية كان أحدهم يستتر وراء ستار سميك ينظر إلى هذا الموكب الممزق بخوف وترقب إلا أنه اطمأن حين رأى الملك ماريان معافا سليما، كما لفت أنظاره هذا الفتى الأسير.

حين نظرت (فيورينا) إلى قيوده استطاعت أن تدرك بأنه أسير جلبه والدها من المعركة الشرسة التي خاضها مع الأشباح المائة في تلك الغابة الملعونة، وعند اقتراب الموكب من الجسر استطاعت فيورينا أن ترى الفتى جيدا.. لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين.. وجهه أبيض مشرب بالحمرة وشعره أشقر طويل وعيونه في زرقة المحيط وملامحه صارمة لا تظهر شيئا من مشاعره.

كان الجنود يجرونه فوق الجسر باتجاه باب القلعة يتقدمهم الملك ماريان.. رفع الفتى رأسه مرة واحدة عاليا لينظر إلى النافذة التي تقف فيها فيورينا فوقعت عينه في عينها لتشاهد ابتسامته المفاجئة فارتعدت فيورينا وتراجعت إلى الورا ثم أغلقت النافذة على الفور.

ارتدت فيورينا ملابسهها على عجل ثم وضعت قدميها سريعا في حذاءها وانطلقت خارج غرفتها تعدو على درجات السلم الحجري لتنزل إلى الساحة التي تتوسط القلعة.. كان الباب الحديدي للقلعة قد انفتح عن آخره ليدخل منه ماريان وجنوده..

انطلقت فيورينا صوب أبيها وارتمت في أحضانهه.. بنحو وعطف تحسس ماريان شعر ابنته الجميلة، لم يكن لديه سواها بعد أن توفت والدتها منذ

خمسة عشر عاما .

كانت فيورينا وقتها في الرابعة من عمرها فلم تظفر بحنان أمها وعاطفتها .. تكفل ماريان بهذا .. صار لها أما وأبا وصديقا .. كان يحرص دوما ألا تشغله مهامه ومملكته عن ابنته الوحيدة .. كان يحدد لها وقتا يوميا ليمارسا فيه كل أنواع اللعب والمرح .

تعلمت فيورينا بفضل أبيها ركوب الخيل والركض به لمسافات طويلة دون كلل أو ملل .. استطاع ماريان ان يفرس في ابنته الشجاعة والقدرة على التحمل .

لم تنس فيورينا تلك الرحلة التي كان يصنعها والدها كل ثلاثة أشهر .. فقد كان ماريان يصطحب ابنته إلى البحيرة التي تبعد عنهم مسافة طويلة ، ويحشد عددا من جنوده وحاشيته ويجهز للإقامة حول تلك البحيرة ليقضى فيها اسبوعا كاملا أو أكثر إن تطلب الأمر ذلك .

كان يخرج مع ابنته إلى الغابات القريبة من البحيرة ليقوما سويا بصيد الطيور والحيوانات البرية .. تتذكر فيورينا كم كان هذا الأمر رائعا ومسليا لأقصى درجة عندما كانا يطاردان الأرانب البرية في الغابات والسهول ، أحببت فيورينا أباهما حبا جما فهي لم تر غيره ولا ينبغي لها أن ترى غيره ، فقد كان ماريان يخشى عليها من أعدائه الذين قتلوا زوجته من قبل .

كان الفجر هم ألد أعداء ماريان في داخل مملكته كلوج بينما العثمانيون الذين يهاجمون المملكة من الخارج فقد تكفلت بهم الإمبراطورية النمساوية المجرية .

بدأت معاناته مع الفجر حين استولى بعض الرُّحْل منهم القادمين من الهند على مجموعة من الأراضى التي تقبع على أطراف كلوج لكنه لم يهتم لذلك وتركهم لعدم استفادته من تلك الأرض، إلا أنه بعد ذلك أراد استرجاعها منهم بغرض المحافظة على أمان المملكة من أي غزو خارجي، كان يخشى من تهديدات الإمبراطورية العثمانية ويريد إقامة السدود والحواجز إلا أن الفجر الذين استوطنوا تلك الأراضى الشاسعة لم يعجبهم الأمر وثاروا ضد قرار ماريان لكنه استطاع اخماد ثورتهم في نهاية الأمر فتصرفوا وتشرذموا وظن الجميع أنها النهاية إلى أن قتلت زوجته وهى عائدة مع موكبها الملكى حين كانت لدى أقاربها في آراد.. كانت عائدة إلى القلعة حين هجم على الموكب مجموعة من الفجر فتكوا بهم جميعا قبل أن يستطيع أحدهم النجاة أو طلب الإستغاثة.

حزن ماريان حزنا شديدا وعزم على القضاء على هؤلاء القتلة من الفجر.. أخبره الكثير من حاشيته أن هويا باكيو سبب رئيسى فيما حدث وأن عليه مكافحة تلك الغابة والقضاء على من فيها في أقرب وقت ولكنه كان يؤجل قرار الإنتقام هذا حتى يتفرغ من مهام المملكة ومهام شعبه الرومانى.

ولدت فيورينا في تلك القلعة التابعة على أطراف كلوج.. فقد أمر ماريان ببناء تلك القلعة الكبيرة في هذا المكان النائى فرارا من الطاعون والحرائق المدمرة التي شبت في المدينة في أواخر القرن السابع عشر.. انتقل إلى تلك القلعة مع زوجته حفاظا على حياتها وحياء ولى عهده القادم التي تحمله زوجته في أحشائها.

نشأت فيورينا في تلك القلعة وسط وصيفاتها من الرومانيات الحسنات

والتي كانت تجد منهم كل حب واهتمام... كانت (ايفيليان) هي وصيفتها المفضلة وصديقتها المقربة وكانت تشبهها كثيرا في ملامحها.. فهي أقرب سنا لها من وصيفاتها الأخريات كما أنها تمتلك قلبا طيبا وكلمات ودودة وذكاء كافيا فاستطاعت بكل هذا أن تأسر حب أميرتها وصديقتها فيورينا.

امتلكت فيورينا ذات التسعة عشر عاما جمالا نادرا من هذا النوع الذي تقف أمامه طويلا متأملا لتسأل سؤالا واحدا.. ما سبب هذا الجمال الأخاذ؟ هل ترجع فتنتها تلك للون عينيها.. فعلى أطراف عدسة العين يظهر اللون الرمادي بقوة لكنه ينفتح شيئا فشيئا للداخل ليظهر لون آخر هو مزيج من الرمادي واللون العسلي سرعان ما ينقلب إلى عسلي خالص حتى نصل إلى انسان العين الأسود.. تولىفة رائعة أحاط بها من كل جانب بياض لامع تكتنفه جفون ذات رموش بارزة.

هل سر جمالها يكمن في شفيتها الرقيقتين.. كانت تمتلك شفاهها ساحرة بحق.. هذا اللون الوردى النابض بالحياة الذي تزينت به شفاتها ووجنتيها.. بيد أن هذا اللون الوردى على وجنتيها يصير أشد حمرة كلما وصل إلى مسامعها كلمة مدح من الأمراء وعلية القوم الذين يحلون ضيوفا على والدها في القلعة.

كانت تتمتع بشعر كستنائي من أبهى ما يكون.. طويل وكثيف يتموج كلما صعدت صباحا أعلى القلعة كل يوم لتراقب الجنان الشاسعة من حول القلعة العالية.

ساعدتها ألعاب الفروسية على الإحتفاظ بجسد رشيق ومعتدل غاية

الإعتدال لكنها لم تفقد يوما نعومتها ورقتها كامرأة أو تفقد هذا البريق الذي يسطع من وجهها.

فى الأوقات التي تقضيها فيورينا منفردة كانت تعكف على القراءة والتأمل في موضعها المعتاد أعلى القلعة والتي تبدو من خلاله المساحات الشاسعة من الجنان الطبيعية التي تتخلها أكوخ المزارعين الصغيرة والمزارع القريبة من القلعة.

كانت فيورينا تجد كم هو أمر رائع أن تنزل إلى المزارع في الصباح الباكر لتتطف معهم عنقايد الكروم اللامعة وتستمتع إلى حكاياتهم الغريبة أو تقوم بجمع الأزهار الياضعة حين تنفذ من ساحة القلعة لتقوم بوضعها في حجرات القلعة وعلى شرفاتها أو تمتطى حصانها الأسود (روكسانا) ذا الغرة البيضاء الذي يتميز برشاقتة وانسيابية شعر رأسه وذيله الطويل لتجوب به تلك المساحات الشاسعة حتى تصل إلى الجبال البعيدة الخضراء التي تراها من شرفة غرفتها ثم تعود مرة أخرى لتتناول فطورها بشهية كبيرة. كان ماريان يرفض ذلك في بداية الأمر إلا أنه سمح لها أخيرا أن تنزل تحت حراسة قوية.

إن ماريان يخشى على ابنته أشد الخشية ويخاف إن غفلت عينه عنها لحظة ما أن تكون تلك اللحظة هي اللحظة التي لن يرى ابنته بعدها.. لذلك كان يراقبها أحيانا بقلق من أعلى القلعة وهى تتشارك العمل مع المزارعين وتطلق ضحكاتها الطفولية الفاتنة التي تبعث البهجة والمرح في من حولها حتى أحبها كل الناس وأحبوا تواضعها فأحس ماريان بشيء من الطمأنينة

ولم يعد يراقبها بنفسه واكتفى بتلك الحراسة المشددة عليها حين تخرج إلى أن تعود.

رفع ماريان وجه ابنته في حنو فرأى دموعها وقد بللت وجنتيها.. ابتسم لها في عطف وامتدت أصابعه تمسح تلك الدموع عن خديها وهو يقول لها مطمئنا:

- لا عليك يا ابنتي.. فقد عدت سالما وهأنذا أقف أمامك الآن
- لقد خفت عليك كثيرا يا أباي.. إننى أطلب منك طلبا واحدا.. فهل سترفض طلبى.. هل سترفض؟

- وهل رفضت طلبا لك في يوم من الأيام؟!
- لا وأنا أعلم هذا جيدا لكننى أقسم عليك ألا ترجع لتلك الغابة مرة أخرى.. يكفى أنتى فقدت أمتى وأنا صغيرة ولست الآن على استعداد لفقدك أنت أيضا.

ثم انهمرت في البكاء..

تلقفها الأب في أحضانه وربت على كتفها حتى تهدأ ثم نادى فيمن حوله أن يأخذوا السجنين إلى غرفة السجن أسفل القلعة وأن يغلّوا أبواب القلعة جيدا، ثم اصطحب ابنته فيورينا التي لاتزال عالقة في صدره إلى داخل القلعة.

ساعدت فيورينا وصيفاتها في تحضير العشاء لها ولوالدها الذي وضع عنه ثيابه وتمت معالجته من بعض الجروح الطفيفة التي أصابته ثم قام ليغتسل.

كانت فيورينا تصرخ في الخادماوات حتى يسرعن في تحضير الطعام، فهي تحرص على أن ينتهي أبوها من غسله ليوجد مائدة الطعام جاهزة وعليها ما لذ وطاب حتى يستعيد عافيته في أقرب وقت.

لكن ماريان حين انتهى من غسله ارتدى ملابسه وطلب من الحراس اصطحابه إلى أسفل القصر، حاولت فيورينا إثناءه عن ذلك لكنه أصر على النزول ثم وعدها بالإلتحاق بها سريعا على مائدة الطعام إلا أن فيورينا أمرت الخادماوات أن يرفعن الطعام إلى أن يأتي والدها.

هبط ماريان مع حراسه على درجات السلم الحجري ليصل إلى الساحة إلى تقصّل بين المبنى الذي يعيش فيه مع ابنته والجزء الآخر من القلعة المنفصل عن الجزء الأول، كان يدير منه شئون المملكة ويتقابل فيه مع الوفود الأجنبية كما كان فيه وهو الأهم سجن القلعة الذي يأمر فيه ماريان بحبس أعتى المجرمين انتظارا لتنفيذ حكم الإعدام فيهم أمام ناظريه!

كان يريد الذهاب لرؤية السجين الشاب الفجري الذي قبضوا عليه في الغابة بأعجوبة، فقد قتل هذا الشاب العشرات من جنود الملك ماريان أمام عينيه إلا أنه تلقى ضربة من الخلف لم تكن قوية أبدا بيد أنها كانت كافية حتى يسقط برأسه على حجر كبير فيصاب بإغمائة بسيطة كانت كافية لتقييده وأسرّه.

اجتاز ماريان الساحة ثم وصل إلى المبنى الآخر، في الطابق الأرضي للمبنى هناك ممر به حجرات كثيرة تصطف بجوار بعضها ولها أبواب حديدية صغيرة، كانت تلك الحجرات مخصصة لموظفي القلعة والقائمين

على استقبال الرسائل الملكية وتدوينها وإطلاع الملك عليها ليتم العمل بها كما ينبغي وكما يأمر الملك.

و أما الطابق الثانى فلا تستطيع الوصول إليه إلا عن طريق باب حديدى واحد فى آخر الممر الموجود فى الطابق الأرضى.. أمر ماريان الحارس الذى يقف على هذا الباب أن يفتح له.

فتح الحارس الباب ثم أغلقه بعد أن عبر الملك مع حراسه.. صعد ماريان إلى الطابق الثانى ثم سار فى الممر المغلق تماما إلا من بعض النوافذ الحديدية التى تستخدم للنظر من خلالها أو التهوية ولا تسمح لنملة صغيرة من التسلل عبرها.

عندما وصل إلى آخر ممر الطابق الثانى أمر الحارس الذى يقف على باب حديدى ثان أن يفتح له.. خلف هذا الباب هناك سلم حجرى يلتف حول نفسه فى شكل دائرى ليصل إلى أسفل الطابق الثانى وأسفل الطابق الأرضى حيث السجن الذى يقبع تحت الأرض.

عندما ينتهى هذا السلم الدائرى تجد أمامك ممرا مستويا ولكنه ضيق جدا فى نهايته سلم أكثر ضيقا منه يهبط إلى حيث الحجرات التى يستقر فيها السجناء مقيدىن فى أصفادهم وهذا هو الحال الأفضل.. فهناك من السجناء من يتم ربطهم بحبال وتعليقهم فى الهواء ثم تعذيبهم أشد أنواع العذاب حتى الموت!

طلب الملك من حراس السجن الوصول إلى الشاب الفجرى فاصطحبه أحدهم إلى حيث تم وضعه.

غرفة صغيرة ضيقة تلك التي يمكث فيها الشاب مقيدا من يديه وأقدامه،
انفتح الباب فأغمض عينيه بشدة تفاديا لهذا الوهج القوي المنبعث من
تلك الشعلة التي يحملها حراس الملك والتي اخترقت ظلام الغرفة، فتح
الشاب عينيه ببطء لينظر إلى ماريان الواقف أمامه والفضب باد عليه وعلى
حراسه المتحفزين لإشارة واحدة من الملك بقتله!

- ما اسمك؟!

رفع رأسه ببطء إلى ماريان ثم قال في تحد واضح:

-كوشان

و كأن ماريان لم تعجبه تلك اللهجة المتعالية فقرر أن يسلب هذا السجين
كرامته وعزة نفسه حتى يلين ويخضع لاستجوابه.. أمر حراسه بإحضار
السجين إلى غرفة أخرى في آخر الممر، أحضروا كوشان ثم أدخلوه إلى
الغرفة وهم يجرونه.. أمر الملك بوضع يديه خلف ظهره.. ثم طلب من أحد
الحراس تقييده بحبل قوى مثبت من الأعلى بخطاف في السقف المرتفع
للغرفة ومتصل بألة سحب.. أشار ماريان إلى أحد حراسه أن يقبض على
يد الألة الرافعة التي تسحبه إلى الأعلى لتعليقه مقيدا في الهواء

أمر الملك أن يبقى هكذا حتى ينتهى من عشاءه مع ابنته ويستريح قليلا
على أن يعاود النزول إلى السجن بعد منتصف الليل ليتم استجواب السجين
ومعرفة باقى المائة الذين يهددون أمن المملكة ويتعرضون للمارين الرومان
بأبشع أنواع القتل!

فى هذا الوقت كانت فيورينا تراقب من النافذة المطلة على الساحة عودة

والدها وعندما لمحته قادما من المبنى الآخر صرخت في الخادماات اشارة إلى البدء في تجهيز الطعام مرة أخرى وترتيبه على المائدة.. تركت فيورينا المطبخ ثم لهتت نحو المائدة لترتيبها وتنظيفها.. وضعت سلة من الورود الطازجة المنتشرة في ساحة القلعة ثم احتارت قليلا في ترتيب الشمعدان على المائدة فوضعت واحدا في أولها ووفى آخرها وثالثا في المنتصف ثم قامت بإشعال شموعها التي تراقصت أضوائها في سحر وجمال.

أرادت فيورينا أن ترتب الأطباق بنفسها على المائدة دون تدخل من أحد إلا أنها لم تمنع حين عرضت ايفيليان مساعدتها في ذلك لأنها كانت تثق في رقيها واختياراتها.

دخل ماريان ليجد تلك المائدة في انتظاره.. لطالما كان معجبا بابنته وما تمتلكه من رهافة حس وذوق رفيع.. كان يتمنى في قرارة نفسه أن يأتي اليوم الذي يرى فيه هذا الشخص الجدير بالزواج منها.. لا بد وأنه سيكون نبیلا شجاعا يستحق أن يظفر بفتاة كابنته.

جلس على مقعده من المائدة وفى المقابل جلست فيورينا في آخر المائدة، استأذنت ايفيليان منهما قبل أن تغادر غرفة الطعام لتترك ماريان وابنته يستمتعان بطعامهما.

كان ماريان يعضق قطعة لحم من هذا الشواء اللذيذ حين أحس بتوقف ابنته عن الطعام، رفع رأسه وهو ينظر إليها فوجدها ساهمة وهى تراقبه..

-ما لكِ يا فتاتي؟

ابتسمت فيورينا ثم رفعت حاجبها الأيسر وحاولت أن تبدو غاضبة لكنها لم

تفلق في ذلك فأطلقت ضحكة خفيفة ثم همهمت وهي تهز رأسها..

- ألا تتس شيئاً ما؟

رفع ماريان يده اليمنى إلى ذقنه ثم بدأ يحكه وهو يهز رأسه وكأنه يحاول أن يتذكر..

- التمسى لى العذر يا فيورينا فما مررت به لم يكن أمرا يسيرا.. ما الأمر إذن؟

- ألا تتذكر أنه قبل خروجك إلى تلك الغابة المشثومة قلت لى أن هناك أمرا تريد إخبارى به حين تعود

صمت ماريان قليلا بينما كانت عينيه تتحركان يمنا ويسرة إلى أن ثبتت على عين ابنته ثم ابتسم حين تذكر ما كان يريد اخبارها به..

- نعم تذكرت

- وما هو إذن؟

أخذ ماريان يفكر قليلا ليعثر على نقطة جيدة لبداية كلامه.. فابن خالتها الأمير (سباستيان) المقيم في (آراد) بلد والدتها قد طلبها للزواج.. فتى شجاع ونبيل تتمناه أي عائلة ملكية.. إلا أن ماريان كان يخشى شيئاً واحدا.. أن يفشل هذا العرض ولا يتم زواج ابنته من سباستيان بسبب موقف ابنته من عائلة والدتها.. كانت فيورينا لا تحب تلك العائلة ولا تحب فكرة ذهابها إليهم كل عام حتى أن لها ما يقرب من الخمس سنوات لم تزر فيها (آراد) حيث تقيم جدتها وعائلة والدتها.. وكانت لها من الأسباب ما يجعلها

تتخذ موقفا مثل هذا.. لقد كانت عائلة من النوع المولع بالتفاخر والتعالى وساعدهم على احتقار الناس والمواطنين اعتبار أنفسهم طبقة راقية ذات دماء نقية طاهرة وأما غيرهم فقطيع من الرعاع الذين يقضون حياتهم في خدمة السادة والأمراء.. وكان نتيجة لذلك أن كرههم الناس وأقدموا على الثورة عليهم مرات عديدة إلا أن عنف وبطش تلك العائلة كان حائلا دون نجاح أي ثورة من تلك الثورات.

و لأن فيورينا ترى ان الناس يستحقون أن ينعموا بحياة كريمة مثلهم في ذلك مثل السادة والكبراء فكانت تختلف معهم أشد الإختلاف وتتجادل مع جدتها كثيرا.. تلك الجدة التي كانت تتمتع فيورينا دوما بأنها ساذجة كوالدها!

لكن ماريان كان يرى أن سياستيان ربما يبدو مختلفا عنهم أو أن ابنته باستطاعتها تغييره متى شاءت ذلك فقد كان الأمير يحبها حبا جما ويصر على إتمام هذا الزواج.. يدل على ذلك طلب سياستيان يد فيورينا من ماريان كثيرا إلا أن الملك كان يؤجل الأمر مرة بعد أخرى متحججا بصغر سن ابنته!

لكنه الآن وقد بلغت التاسعة عشرة من عمرها لم يكن لديه حجة لتأجيل هذا الزواج وعليه أن يعرض الأمر عليها خاصة أن سياستيان سوف يحضر إلى القلعة في آخر هذا الأسبوع مع موكب خاص به تحت مسمى الزيارة العائلية لكن ماريان يعلم سبب زيارته الحقيقية وعليه أن ينتهي من الأمر متخذاً قراره قبل مجيء هذا الأخير.

-فيورينا.. ما أجملك يا ابنتى.. إنه لذو حظ عظيم ذاك الشخص الذي
سيحظى بالزواج منك

احمر وجهها وطأطأت رأسها خجلا..

-لا تخجلى يا ابنتى.. فهو شيء حتمى ولسوف تجددين من هو أحن عليكى
منى فأنت تستحقين الكثير

-أبى.. لا تقل ذلك فأنا لن أجد من هو أحن منك وستظل لك مكانة في قلبى
لن ينازعك فيها أحد مهما كان

-أرجوا ذلك يا بنيتى.. لكن سياستيان أمير وسيم كما أنه نبيل شجاع ومن
عائلة عريقة.. والأهم من هذا كله.. أنه يحبك حبا جما

-سياستيان!!

-أنا أعلم أنك تبغضين عائلته وأنت لا تحبين معاملتهم لمواطنيهم لكن
سياستيان يحبك وهذا كاف جدا لجعله مختلفا عن عائلته وأنا أثق في
ذكاؤك وحيلتك.

-ماذا تقول يا أبى؟!.. فأنت تعلم أننى لا أطيق جدتى ومعاملتها لى ولا أحب
أن أكون في (آراد) يوما واحدا

-فيورينا.. أعلم أنك أكثر أهل الأرض نقاء وبراءة لكن الدنيا ليست في
براءتك ونقاؤك.. خارج تلك القلعة لا تبدو الأمور رائعة على الدوام.. وإنما
يشوبها النقص.. ويكدر صفوها الحقد والغيرة وإلحاق الأذى بالآخرين..
لا شيء يبدو كاملا في الحقيقة وأنا أثق أنك ستفهمين ذلك بمرور الوقت

وأنا إلى جوارك على الدوام

- لكننى لا أحب سياستيان هذا.. أنا أتذكر ملامحه بالكاد!

- لا عليك.. إن سياستيان قادم إلى هنا نهاية هذا الإِسبوع في زيارة عائلية
ستستمر يومين.. هذه فرصتك في التعرف عليه واتخاذ قرار بناء على
ذلك.

اكتست ملامح فيورينا بعبوس شديد ثم قالت بنبرة حزينة:

- حسنا.. سأفعل

ابتسم ماريان لإبنته ثم استأذنها في النزول إلى الجزء الآخر من القلعة
لإنهاء مهمته.

ظلت فيورينا بضع دقائق ساهمة تفكر في عرض أبيها لكن صديقتها
ايفيليان انتزعتها من أفكارها حين بدأت ترفع أطباق الطعام فأخذت
فيورينا تساعدتها في ذلك.

هبط ماريان على درجات سلمه وتبعه بعض حراسه حتى وصل إلى السجن
القابع أسفل القلعة، وصل إلى الغرفة المعلق فيها كوشان فوجده وقد أنهكه
التعب فأمر حراسه بإنزاله وفك قيوده.

أمر ماريان بإحضار الماء وقليل من الطعام ثم وضعوه أمام كوشان الذي
مد يده لتناول إناء الماء إلا أنه لم يقدر على تحريك يديه التي تأذت من
ربطها وتعليقها في الهواء.. فقام أحد الحراس بتناول الإناء وصبه في
جوف كوشان ، نظر إليه الملك بنظرة حادة ثم قال:

-و الآن.. ما اسمك؟

رفع كوشان رأسه بعد أن وضع الحارس الإناء جانبا وقطرات الماء تتساقط من ذقنه لتهبط على ملابسه الممزقة..

-اسمى كوشان!

قالها بنبرة ضعيفة فراق هذا لماريان الذي ابتسم في رضا ثم عاد يقول:

-كيف تجرؤون على قتل الأبرياء وبث الرعب في نفوس المواطنين الرومان! نظر إليه كوشان بثبات على الرغم من الوهن الشديد الذي أصاب جسده ثم قال:

-لم نكن لنفعل هذا لو أن دينكا لم يقتل منا مائة شخص أعزل بطريقة بشعة.. لعلك تعلم بها!

-دينكا.. هذا الشقى التعس.. ولكن هذا ليس مبررا لقتل الأبرياء من شعب كلوج... أنتم مثل دينكا ولا تختلفون عنه في شيء.. دينكا قتل الكثير وأنتم تقتلون مثله.

-دينكا هو من بدأ القتل والباديء عليه أن يتحمل العواقب.. ولكن دعنى أصارك بأمر ما.. أنا لست راض عن كل ما تفعله غابة هوبا باكيو -كيف؟!

-يطلقون عليّ في الغابة أننى أكثر المائة تمردا وجدلا.. لعلهم ضجوا من مناقشاتي الكثيرة حول الفائدة من قتل المارين السالمين من الغابة.. لقد كان رأيى أن نقتل النبلاء الذين تركوا دينكا يفعل فعلته دون رادع.. أو أولئك

الذين جاءوا من بعده ولم يعتذروا للفجر عما حدث لهم من تكيل وقتل.

-تقصد من!

-أقصد أمثالك.. لطالما نصحتهم بترك الغابة والتخطيط لقتلك أنت

هم الحراس أن يفتكوا بكوشان لولا أن ماريان نهاهم عن ذلك..

-قل لى سببا يمنعى من قتلك الآن أيها المتحذلق!

-لن أحاول حتى.. فلم تكن لتحضرنى هاهنا لتقضى معى ليلة لطيفة أو أن

تشاركنى الرأى فى تدبير شئون ملكك.. لذا فلن أستجدى عطفك

-ياللك من معتوه..

ثم التفت ماريان لحراسه..

-أحضروا سيفى لأفصل رأسه المغرور هذا عن جسده!

هز كوشان كتفه وهو يقول:

-لو أننى مكانك.. لانتظرت حتى أعلم ماذا يخطط غجر هويا باكيو قبل أن

تقوم بقتلي.

أحضر الحراس سيف الملك وناولوه أحدهم اياه فلم ينتبه له ماريان.. بل

أخذ يحملق فى السجين أمامه ثم توجه إليه بالسؤال:

-و هل تريد منى أن أصدق أنك ستشئ بزملائك من الفجر!

-لن أشئ بأحد من رفاقى ولكننى سأمنع مخططا أرى أنه من البشاعة

والجبن ولا أقدر أن أصمت أمامه

- وما هذا المخطط!

- وما هو المقابل؟

- دعنى أسمع منك أولاً ثم أقرر وقتها ماذا سأفعل بك

- لا.. ليست صفقة رابحة.. أنا على استعداد تام أن أفقد رأسى في تلك اللحظة وليس بعد أن تعلم بالمخطط الذي يُدبر لك.. أن أموت وأنا أحتفظ بفطنتى خير من أن أموت كالأبلة!

- وما المقابل الذي تريده؟

- أطلب العفو عنى وأن أعامل كمواطن حر مثلى مثل غيرى من الرومان

- و مالذى يضمن لى أن ما ستذكره من مخطط يحاك ضدى هو شيء صحيح

- ستأكد تماما من هذا.. سأقول لك كل شيء وستراه بعينك في وقته.. لا تقلق

- اذن ماهو المخطط؟

- اطلب منك أولاً أن تحرر أغلالى وأن أخرج من تلك الغرفة المقرزة وأن أجلس في مكان يليق بأهمية ما سأقول

نظر الملك إلى حراسه وحاشيته وكان الإستغراب والحيرة باديين على وجوههم جميعا لكن ماريان حسم أمره أخيرا وقرر اطلاق سراح السجين ليخرج معه إلى الأعلى حيث حجرات الموظفين في الطابق الأرضى!

كانت الحراسة مشددة تماما على كوشان حيث التف الحراس حوله من

كل مكان وهو يسير خلف الملك إلى الأعلى.. صعد الجميع على السلالم الحجرية حتى وصلوا إلى الطابق الأرضي.. ساروا في الممر إلى أن انتقى ماريان غرفة من تلك الحجرات المتراسة بجوار بعضها وأمر الحراس أن يراقبوا الغرفة من كل مكان.. ثم دخل منهم فوج داخل الغرفة حيث جلس ماريان وأمامه السجين محررا من قيوده

-والآن.. ماهو المخطط الذي ينوي الفجر فعله؟

-منذ أسبوع اجتمع المائة غجري وأنا معهم ليضعوا خطة لتنفيذ الهدف الذي اتخذه من فترة طويلة.. لقد قرروا الحاق أكبر ضرر بك.. علمنا أن لك ابنة اسمها فيورينا وأنك تخشى عليها أشد الخشية.. لذا اتخذوا قرارهم بقتلها

شهق ماريان شهقة قوية ثم غضب غضبا شديدا واحمر وجهه حتى أنه قام وأمسك بملابس كوشان حتى كاد أن يختنق الأخير لكن ماريان بعد لحظات تمالك أعصابه أخيرا ثم عاد إلى موضعه..

قال له كوشان مهدئا اياه:

-لا تقلق فلن يمس ابنتك أي سوء.. وأرى أن جلستنا تلك يجب أن تكون هادئة حتى نستطيع المحافظة على حياتها

اعتدل ماريان في جلسته وأخذ نفسا عميقا ثم قال:

-أكمل فأنا أسمعك

-قرررو وقتها أن عليهم قتل ابنتك وأنهم سيستغلون خروجها من القلعة

في الصباح كعادتها كل يوم وسيتسللون إلى المزرعة في ثياب المزارعين
ليقتلها أحدهم... اعترضت على قرارهم هذا وقلت لهم أنه ليس للأميرة
أي ذنب حتى تقوم بقتلها فلم ينصت أحد لى وأعماهم حب الإنتقام
-متى ذلك؟.. قل لى.. متى!

-كان ذلك القرار قبل الهجوم الذي حدث.. ولكنى أعتقد أنهم ربما يجعلون
بذلك انتقاما لما فعلته أنت أمس.. يبدو لى أنهم سيقومون بذلك غدا أو
بعد الغد

-اه.. فهمت

ثم أطلق الملك ضحكة ساخرة تعجب لها كل الحاضرين.. فنظروا إليه
يطلبون تفسيراً لهذا الفعل.. حتى أن كوشان نظر إليه باستغراب بالغ..
-أتعلم يا كوشان.. لقد أعجبتى ذكائك بالفعل..
-ماذا تقول.. لا أفهم ماذا تعني!

قام ماريان واقفا وأخذ يتحرك في الغرفة وهو يقول:

-تدعي يا كوشان أن هناك هجوما على ابنتى غدا أو بعد غد.. أنت تستغل
حبي لابنتى حتى أشغل بسلامتها ولا أفكر جيدا في مكرك ودهائك.. تريد
خداعى وأنت تعلم أننى سأسارع في حماية ابنتى وعدم خروجها من القلعة
وبهذا أظن أنا أننى حافظت على ابنتى من مخطط ليس له وجود.. وترى
أنت عفا من الدرجة الأولى لتصبح مواطنا رومانيا بعدها وتنجو من موت
محقق.. أليس كذلك؟!

-أو يصير كلامى حقيقيا وتخسر ابنتك.. وقتها لن يفيدك ذكائك القوى
هذا

ابتلع ماريان ريقه وهو ينظر في عيني كوشان.. كان يستحثهما للنطق
بالصدق.. كان يريد التأكد من صدق هذا المخطط، أو كذبه لكنه حسم
أمره في النهاية

-اذن يا كوشان.. سأصدقك وسأترك ابنتى تخرج كعادتها إلى المزرعة
وسأكثف الحراسة عليها من كل مكان بغير أن يظهر ذلك مكشوفاً للجنة
القادمين لقتلها.. وسألبس حراسى لباس المزارعين وأجعلهم بجوار
ابنتى.. وسنرى صدق حديثك أو نرى كذبه.. وقتها سأروى تلك الأرض
بدمائك التي تجرى في عروقك الآن!

-حسناً.. وعليك أن تبدأ من الغد
نظر إليه ماريان مستغرباً ثم قال:

-أتمنى أن تكون صادقاً يا كوشان.. سأكافئك بأكثر مما تتمنى

-وأنا لا أريد إلا سلامة الأميرة.. تلك الفتاة البريئة لا ينبغي لها أن تكون
محل انتقام.

قام ماريان من مكانه ثم طلب من الحراس ارجاع كوشان إلى سجنه وأمر ألا
يتم تقييده في محبسه وأن يوضع له الطعام والشراب وأمر بتغيير ملابسه
بملايس جديدة.. ابتسم كوشان لماريان معبراً عن امتنانه ثم انصرف مع
الحراس.

عاد ماريان إلى المبنى الآخر من القلعة ثم ذهب إلى غرفة فيورينا ليطمئن عليها فوجدها نائمة كملاك جميل، ودعها بنظرات قلقة ثم ذهب إلى غرفة الوصيفات فأيقظ ايفيليان من نومها لكي تفتش الأرض وتنام بجوار فيورينا إلى الصباح، استغربت ايفيليان من هذا الأمر لكنها نفذت ما قاله ماريان دون مناقشة.

ذهب ماريان إلى غرفته ثم وضع عنه ثيابه وسيفه وارتمى على فراشه يفكر فيما قاله كوشان وفيما سيخذه من اجراءات في الغد إلى أن غلبه التعب فغط في نوم عميق.

-لم تشرب قهوتك ولم تأكل شيئاً.. هل تخشى أن أضع لك مخدراً ما ثم أتلدذ بتقطيعك إلى شرائح أطعم بها وحشى الرابض في القبو أسفل منزلي هذا؟

أطلقت ضحكة خفيفة ثم قلت له:

-أنا شغوف بسماع قصتك تلك أكثر من أي شيء آخر

-لا بأس.. وأنا أكثر شغفاً منك باكمالها

-كلى آذان صاغية

اقترح الحملأوي أن نذهب بجوار مدفأة المكتب فقد صار الليل أكثر برودة عن ذى قبل.

كانت مدفأة عتيقة مشيدة من الطوب الحرارى وبها بقايا من الخشب

المحترق..

-أتعلم شيئاً.. إن أكثر ما يعجبني في هذه الفيلا هو مدفأة المكتب تلك، إنها قطعة فنية رائعة تشبه في طرازها ذاك الطراز القوطى القديم، لعلك تعلم أن تلك الأمور ملهمة لأمثالى حين أشرع في الكتابة.

أمسك الحملوي بقطع الخشب الموضوعة بجوار المدفأة وقذف بها جميعا في جوفها ثم أشعل النيران فيها فصار الخشب الجاف يتوهج تدريجيا إلى أن صار الدفء ينبعث من المدفأة ليخفف عنا وطأة البرد القارس!

-هل نكمل ما بدأناه؟

-بالتأكيد.. فأنا متشوق لمعرفة ما سيحدث في قصتك المثيرة كما أن الوقت يمر سريعا بتلك الطريقة

- اذن.. دعنى أكمل لك

ثم بدأ يروى ما لديه..

قبل أن تشرق الشمس بوقت قصير فزع ماريان من نومه وهو يلفظ اسم ابنته فيورينا، نهض من فراشه ثم توجه إلى غرفتها وفتح الباب، تنفس الصعداء حين رآها ممددة على فراشها في وداعة وسلام.. ألقى نظرة بجوارها على ايفيليان فوجدها هي الأخرى تغط في نوم عميق.

خرج ماريان وأغلق الباب خلفه.. نزل إلى ساحة القلعة فانتبه الجنود المرابطون في حراستهم وقبضوا على أسلحتهم أكثر وأكثر.. أمر ماريان

بجمع حامية القلعة ماعدا المرابطين على أبوابها وأسوارها وإحضارهم إلى الساحة.

بعد أن اجتمع الجنود وقادتهم أمرهم الملك بتوخى الحذر في هذه الأيام وألا يغمض لهم جفن أبدا.. وأمر بمضاعفة الحراسة على أسوار القلعة وخارجها حول المزارع المحيطة.. ثم صمت ماريان وأخذ يدقق النظر فيمن حوله.. ثم أخذ يشير إلى بعض الجنود واحدا بعد الآخر إلى أن تجمع لديه ثلاثون جنديا من الجنود الأشداء..

- إن مهمتكم بالغة الأهمية.. بعد شروق الشمس بقليل سترتدون ثوب المزارعين وتزلون حول القلعة وبينكم ابنتي ومعها بعض المزارعات.. سيحاول أحد الفجر التسلسل فيما بينكم ويحاول قتل الأميرة.. فلتبق أعينكم مفتحة إلى أقصى درجة.. اقتلوا كل من تجدوه غريبا بينكم.. وسنتولى نحن تغطيتكم من أعلى القلعة وستعمل مجموعة من الجنود على مراقبتكم من أعلى الأبراج وقتص أي شخص غريب يحاول الإقتراب.. أيضا سنتولى مجموعة من الجنود تأمين حدود المزرعة ولكن في الخفاء حتى يقع الجناة في المصيدة بنجاح.. دعونا نعلم صدق هذا السجين كوشان!

ثم توجه الملك إلى محبس كوشان ودخل عليه فوجده نائما إلا أنه انتبه حين أحس بحركة الملك وحراسه من حوله..

-لقد قلت أنهم ربما يهجمون اليوم أو غدا.. وزعت المهام على الجنود وسأترك ابنتي تنزل إلى المزرعة كعادتها وسنعلم صدق حديثك من زيفه

تثائب كوشان ثم فرك عينيه قليلا وقال:

-من الحماسة أن تنزل ابنتك إلى المزرعة في هذا اليوم!

انزعج ماريان وقال بلهجة غاضبة:

-أليس هذا رأيك؟!.. أم أنك تتراجع عما اتفقنا عليه!

تثائب كوشان مرة ثانية ثم قال:

-لا.. لم أترجع وإنما أرى أن نزول ابنتك في هذا اليوم شيئاً خطيراً.. أنا

أستغرب حقاً.. ألا تخش على ابنتك الحبيبة؟!

كاد ماريان أن يفقد عقله وهو ينصت إلى كلمات كوشان إلا أنه تمالك أعصابه بصعوبة وقال:

-أخشى عليها. ليس في هذا شك لذا فإننى أحطتها بحراسة شديدة يستحيل أن يمسه أحد بأى أذى!

-خطأ.. ليس من الحكمة إلقاء طفل صغير في عرض البحر لمجرد أنه موضوع على سطح قارب كبير!

ضحك ماريان وقال:

-أنت تتراجع اذن.. أيها الكاذب اللعين

نظر إليه كوشان بشئ من اللامبالاة وهو يقول:

-أحضر فتاة أخرى تشبه فيورينا وترتدى ملابسها واجعلها تنزل إلى المزرعة، هكذا ننفذ ما اتفقنا عليه دون تعريض الأميرة لأى خطر!

توهجت عينا الملك وقال:

-فكرة رائعة يا كوشان

إلا أنه صمت فجأة وكأنه انتبه لشيء ما..

-كيف تتطرق باسم ابنتي هكذا مجردا من الألقاب؟

-أعتذر لجلالتك عما بدر مني من سوء خلق وأدب.

راق لماريان ما تفوه به كوشان فابتسم له معربا عن قبوله لإعتذاره ثم شكره على فكرته الحكيمة بعدم تعريض فيورينا لهذا الخطر البالغ.

كان الصباح قد أقبل وارتفعت الشمس قليلا في السماء حين أغلق الحراس باب السجن خلف ماريان الذي صعد لإنتقاء فتاة تتوب عن ابنته في نزولها للمزرعة.

في طريقه إلى مبنى القلعة استقر رأيه على ايفيليان فقد كانت تشبه ابنته في القامة وإن كان جسدها أقل امتلاء من جسد ابنته.

وصل ماريان إلى غرفة ابنته ثم فتح الباب، وجد فيورينا على فراشها بينما فراش ايفيليان على الأرض كان خاليا، خرج ماريان غاضبا إلى غرفة الخادמות فلم يجد ايفيليان!

كانت بعض الخادמות قد استيقظن وبدأن يمارسن مهامهن اليومية وأما البعض الآخر فمازال يتلأأ على فراشه قبل أن يستيقظ ويمارس مهامه بدوره.

توجه ماريان إلى بعض الخدم وسألهن عن ايفيليان فلم تجبه إحداهن بشئ ذات أهمية سوى أنهن لم يرينها منذ أمس.

هذا صحيح، فهي قد باتت في غرفة فيورينا دون أن يعلم أحد من زميلاتها لأنهن كن في نوم عميق عندما طلبها ماريان لتنام بجوار ابنته.

عاد ماريان مرة أخرى إلى غرفة ابنته ثم اقترب من فراشها.. أحس بأمر غريب!

كان الضوء المتسلل إلى الغرفة من النوافذ المغلقة بسيطا ولكنه كافيا حتى يدرك أن النائمة على فراش ابنته لم تكن فيورينا.. وإنما هي ايفيليان!

صرخ الملك فقفزت ايفيليان من نومها فزعة حتى كادت أن ترتطم بالسقف وهي تتمتم بخوف ورعب بالغين:

-مولاي الملك؟! أعتذر إليك إن كنت تأخرت عن إعداد كأس الخمر الخاص بك ولكنني سـ..

-أين فيورينا؟

ارتجفت ايفيليان وبصوت شاحب قالت:

-نهضت من نومها كالعادة إلا أنها استيقظت مبكرا قليلا هذا اليوم وطلبت مني أن أستريح مكانها على الفراش بدلا من النوم على الأرض

-والى أين ذهبت؟

-إلى السطح.. هكذا تفعل كل يوم قبل أن تنزل إلى المزرعة

جحظت عينا ماريان وترك ايفيليان في خوفها وحيرتها ثم قفز على درجات السلم حتى وصل إلى أعلى القلعة.

نظر حوله فلم يجد لها أي أثر، انطلق إلى حيث تجلس في غرفتها المفضلة
فلم يجدها أيضا!

هبط ماريان مرة أخرى إلى الأسفل.. وصل إلى الساحة ثم سأل عن ابنته..
أخبره أحد الحراس أنها طلبت الخروج من القلعة وقد كان هذا أمرا غريبا
فهى لم تعتد الخروج مبكرا هكذا ولكننى طلبت منها أن تحضر موافقة
منك نظرا لما قلته لنا البارحة.

-حسنا.. فأين هي الآن؟

-قالت أنها ستبحث عنك

-والى أين توجّهت؟!

-ربما ذهبت تبحث عنك هنا

أشار الحارس إلى مدخل المبنى الآخر.. المبنى المقام على سجن القلعة!
هرول ماريان نحو باب المبنى وصرخ في حارس الباب ففتحه على الفور..
توقف ماريان مرة واحدة حين سمع صوتا يأتى من بعيد.. استدار ليجد
ابنته تلوح له وهى مقبلة عليه فى ساحة القلعة..

-أبى لقد بحثت عنك طويلا.. أين كنت؟!

اقترب منها ماريان بلهفة بالغة ثم ضمها إلى صدره وهو يقول:

-حمدا لله على سلامتك يا بنيتى

استغربت فيورينا من هذا الفعل بشدة فلم تكن تعلم سببا لهذا القلق

البالغ من أبيها... كانت تجهل ما يدور حولها في القلعة ولا تعرف شيئاً عن المخطط الذي أخبر به كوشان والذي يستهدف قتلها من غجر هويبا باكيو. كانت تنوى الخروج كعادتها إلى المزرعة إلا أنها فوجئت بمنع الحارس لها على غير العادة فسارعت بالبحث عن أبيها لتشكو له ما فعله الحارس.

-أبي عليك بمعاقبة حارس القلعة فقد منعتني الخروج من..

قاطعها ماريان:

-فيورينا.. هل لك في المكوث هذا اليوم بالقلعة فأنا أشواق لفطور شهى من صنع يديك الجميلتين

لمعت عين فيورينا وابتسمت لوالدها معربة عن حماسها الشديد لتلك الفكرة.

صعد الإثنان إلى القلعة.. توجهت فيورينا إلى غرفة الطعام وصاحت في الخادמות ليقفن بجوارها لتقديم المساعدة بينما ذهب ماريان إلى أعلى القلعة ليتابع جنوده الذين اتخذوا أماكنهم في حذر وخفاء.

أحست فيورينا بشئ غريب!

-أين ايفيليان؟

لم يكن أحد من الحاضرين يعلم بمكانها.. خرجت فيورينا تبحث عنها فلم تجد لها أثراً.. سمع ماريان صوتها القادم من الأسفل فأقبل عليها يخبرها أنه أرسلها إلى المزرعة لتتقضى له أمراً وعليها ألا تقلق فستعود في وقت قريب.

كان ماريان قد أرسل يطلب ايفيليان أعلى القلعة وحين حضرت إليه أخبرها بالمهمة التي اختارها لها.. وجعلها ترتدى ملابس الأميرة.. لم تتردد ايفيليان لحظة في ذلك عندما علمت أنها تصنع هذا الإنقاذ أميرتها وصديقتها الودودة.

في الوقت الذي كانت فيورينا منهمكة في إعداد الفطور لأبيها بمساعدة من وصيفاتها كانت وصيفتها وصديقتها المقربة ترتدى ملابسها وتقف بين المزارعين الذين يعملون في المزرعة.

كان النشاط يدب في كل مكان.. وكانت العربات الخشبية التي تجرها الخيول تلهث جيئة وذهابا بين صومعة الغلال الإسطوانية لتنتقل القمح منها وتذهب به إلى الطاحونة الهوائية التي يبلغ طولها عشرين مترا والمجاورة للصومعة لتقوم بطحن القمح وتحويله إلى دقيق.

على مسافة قريبة كان بعض المزارعين يقومون بتهيئة الحقول لزراعة القمح الشتوى ويستخدمون الأدوات البسيطة لحرث الحقول.

من فوق القلعة كان ماريان يراقب بقلق واهتمام كل ما يدور في المزرعة.. فقد كان لموقع القلعة فوق التل العالى ميزة كبيرة في كشف كل ما يدور من أسفل القلعة في المزارع المنبسطة، دارت أعين ماريان بحثا عن الفتاة المخلصة ايفيليان، كانت تمتطى روكسانا - حصان فيورينا الأسود - وتتبختر به كما أمرها ماريان.

أخذت تسير نحو الصومعة تارة ونحو الطاحونة تارة أخرى أو تركض به نحو المزارعين الذين يعملون في الحقول، تنظر في عيون من حولها.. تعلم أن

هذا العامل الذي يجر العربة الخشبية ما هو إلا فارس من فرسان الملك.. وأن هؤلاء المزارعين الذين انتشروا في الحقول يتغلغل بينهم حراس الملك ماريان الذين يراقبون أي شيء غريب من المتوقع أن يحدث بناء على ما أخبر به كوشان.

انتصف النهار ولم يحدث أي شيء.. أصاب ايفيليان التعب فأمر الملك أن تعود إلى القلعة وأن يرجع كل شيء في المزرعة كما كان من قبل.. فالذين سيحاولون التسلل إلى المزرعة وقتل فيورينا لن يعمدوا لفعل ذلك إلا صباحا فهذا هو الوقت الذي تخرج فيه فيورينا إلى المزرعة.

أخذ الملك يفكر ليلا على فراشه في أمر كوشان.. ترى هل يكون صادقا أم أنه عجربى محتال يستحق الإعدام في أقرب وقت.. تسلل النوم إلى عينيه وغط في نوم عميق!

في الصباح الباكر قامت فيورينا من نومها وأرادت الخروج كعادتها لتركض بحصانها الأسود.. فمنعها الملك من ذلك مدعيا أن القلعة تحتاج منها إلى إشراف على التنظيف والترتيب لأن سياستيان قد اقترب موعد حضوره.

أصاب فيورينا شيء من الإحباط والتعاسة إلا أنها طأطأت رأسها وأذعنت لطلب أبيها.

صعد الملك إلى قمة القلعة وخرجت ايفيليان على الحصان الأسود تجوب في المزرعة كما فعلت بالأمس، وأخذت العربات الخشبية تقوم بعملها وانتشر المزارعون في الحقول.

في حوالى الساعة التاسعة سمع الجميع صرخة عالية تصدر من ناحية

الطاحونة!

هرع أقرب الفرسان الذي كان يجر عربة خشبية إلى الطاحونة وتبعه العديد من الفرسان بينما ركضت ايفيليان نحو الصومعة لتختبئ بها.. صاح ماريان في جنوده ليذهبوا إلى الطاحونة ولكن قبل أن يصلوا إليها كان أول الفرسان الذين اقتحموها قد خرج منها ليعلن أن سبب الصرخة هي فتاة تعمل في الطاحونة وقع على قدمها اليمنى جِوال من القمح! خاب أمل ماريان وعاد الجميع إلى أماكنهم كما كانوا إلى أن انتصف النهار ولم يحدث شيء.

في اليوم الثالث اتخذ الجميع أماكنهم وكان ماريان قد قرر أن يكون هذا اليوم هو اليوم الأخير الذي يثبت فيه صدق المخطط الذي أعلن عنه كوشان من زيفه، فجلس بفارغ الصبر أعلى قلعته وأخذ يراقب الساحة من الأسفل. إلا أن شيئاً لم يحدث أيضاً في هذا اليوم، غضب ماريان وأحس بأن كوشان قد استخف به واحتال عليه، فأصدر أمراً بإحضار كوشان غداً في الصباح إلى ساحة القلعة مقيداً من يديه وقدميه لتنفيذ حكم الإعدام به.

في هذا الوقت كانت فيورينا تضع لمساتها الأنيقة في تنظيف حجرات القلعة بينما تقوم وصيفاتها بالجهد الأكبر من التنظيف والترتيب ونقل الأثاث وغيره.

وبينما هي تتقل بنفسها مع إحدى وصيفاتها بعض أواني الزهور الياينة لتضعها في أحد الأركان أخذت تفكر في صديقتها المقربة ايفيليان كيف تختفى عنها طوال هذه الأيام من الصباح الباكر وحتى الظهر، لقد

سألت أباها عنها فأخبرها أنه يحتاجها لبعض العمل في المزرعة لكنها حين سألت عنها إحدى وصفاتها أخبرتها أنها رأت ايفيليان وهي تمتطى سهوة جوادها الأسود روكسانا وتتبختر به في المزرعة دون أن تقوم بفعل أي شيء آخر!

لم تحزن فيورينا على هذا فهي لا تبخل على ايفيليان بأى شيء حتى ملابسها كانت تعيرها اياها ولكنها حزنت لأن ايفيليان صديقتها المقربة تتعد عنها في الوقت الذي تعاني فيه تلك الأيام بسبب القدوم المنتظر لسباستيان!

لذا حين عادت ايفيليان إلى القلعة واقتربت من فيورينا لتعرض عليها المساعدة في الإعتناء بها لم تنظر لها فيورينا ولم تعرها اهتماما كما تعودت من قبل، لاحظت ايفيليان هذا الجفاء من فيورينا وكانت تعلم المبرر لذلك لكنها لا تستطيع أن تخبر فيورينا بأى شيء مما تقوم به من التضحية بحياتها من أجل إنقاذ أميرتها وصديقتها الحميمة، فقد وعدت الملك ماريان بأنها لن تخبر ابنته بأى شيء مما يحدث حتى لا يصيبها القلق أو الخوف.

في الصباح الباكر خرج الملك إلى ساحة القلعة حيث يتكوم كوشان في وسطها مقيدا من يديه وقدميه ينتظر تنفيذ الإعدام بأمره، لم يلتفت إليه الملك بل طلب من جنوده وضع رأس كوشان داخل المقصلة!!

في تلك اللحظات كانت فيورينا تبكى في فراشها حزينة، تراكتت الهموم عليها من كل ناحية، فقدم سباستيان إلى القلعة يصنع عبئا ثقيلا عليها ويزيد من توترها وخوفها لأنها مقبلة على أمر كانت تتحاشاه دوما وهو الذهاب إلى (آراد) كما أنها لم تحب هذا الأخير لحظة واحدة في المرات

القليلة التي رأته فيها ولم تشعر نحوه بأى شيء مما تشعر به أي فتاة نحو فتاها الذي ترجوه زوجا لها.

كما أن ابتعاد صديقتها عنها في هذا الوقت جعلها تشعر أنها وحيدة تواجه مصيرها وحدها، إن أباهما قد خذلها حين وضعها في هذا المأزق وكان عليها أن ترفض هذا الأمر من بدايته على العشاء في تلك الليلة لكنها لم تستطع ذلك وعليها أن تتحمل نتيجة هذا الآن.

في ساحة القلعة تجمع كل العاملين فيها والمزارعون وأطفالهم وأخذ حراس الملك يصنعون بأيديهم حائلا قويا يمنع أولئك الحاضرين من الإقتراب من كوشان والبطش به وهم يرددون هتافات غاضبة تنذر بالويل على من يعدونه فردا من أشباح غابة هويا باكيو ويطالبون بالفتك به على الفور!

اقرب ماريان من كوشان، كان غاضبا يكاد ينفجر غيظا بينما يبدو كوشان مستكينا ينتظر مصيره المحتوم.

وُضعت رأس كوشان في داخل المقصلة ثم ارتفعت الشيفرة الحديدية الحادة إلى الأعلى تنتظر أمرا من ماريان حتى تهوى على رأس كوشان فتفصله عن جسده في لحظة خاطفة!

وقف الجندي على المقصلة ينتظر الأمر من ماريان بتنفيذ الإعدام والسماح للشيفرة الحادة بالسقوط، نظر إليه ماريان وقد ضاقت عيناه ثم قال:

-نفذ

كان الجميع من الحراس والجنود والمزارعين والوصيفات اللاتي ينظرن

من نوافذ القلعة في الساحة يترقبون أن تتدحرج رأس هذا السجين على الأرض..

هنا امتدت يد الحارس نحويد المقصلة ليسمح للشيفرة الحادة بالإنفلات.. إلا أن يده جمدت تماما ولم تتحرك عندما نظر الجميع دفعة واحدة نحو بوابة القلعة التي انفتحت على مصراعيها..

التفت الملك إلى البوابة فوجد مجموعة من فرسانه قادمين ومعهم روكسانا تتمدد عليه فتاة فاقدة للوعي!

هرول ماريان إليهم لينظر إلى تلك الفتاة، امتقع وجهه حين رأى وجه الفتاة الراقدة أمامه!

-فيورينا.. من فعل بها هذا!؟-

قالها بلهجة غاضبة قذفت الرعب في قلوب الحراس أمامه فقد كانت فيورينا غائبة عن الوعي وكان على جبينها خدش رفيع مضرج بالدماء ينحدر إلى خدها الأيسر بينما تمزقت ملابسها من ناحية كتفها الأيسر.

لم تتمالك فيورينا نفسها عندما كانت في الغرفة منذ قليل فنهضت مسرعة ترتدى ملابسها وتهبط على درجات السلم لتخرج من باب خلفى لا يمر من ساحة القلعة ثم ذهبت إلى الإسطبل لإحضار روكسانا وانتهزت غفلة حارس البوابة الذي انشغل بما يحدث في الساحة وخرجت من القلعة لتركض بحصانها في المزارع غاضبة عسى أن ترتاح قليلا.

-حمدا لله على سلامتها يا مولاي لقد كاد الفجر أن يلحقوا بها الأذى

الشديد

-ماذا حدث.. أخبروني من فعل هذا بانتي!!

تقدم حارس البوابة من ماريان وقال:

-سيدي الملك.. لقد كنت أقف على البوابة إلا أنني انشغلت بما يحدث في الساحة ولم ألتفت للأميرة وهي تعبر من خلفي بحصانها لتفتح البوابة وتقر مسرعة.. فلما انتبهت للصوت خرجت لأنظر فإذا هي الأميرة تركض بحصانها بعيدا.. فصرخت في مجموعة من الفرسان وركضنا خلفها نحاول الإقتراب منها.. لم أكن أعلم أن حصانها روكسانا هذا سريعا إلى هذا الحد

توقف الحارس ليبتلع ريقه فنهزه ماريان..

-وماذا بعد.. أكمل

ابتلع الحارس ريقه سريعا وقال:

-كدنا أن نقرب منها حين وصلت هي إلى الغابة لكننا فوجئنا بمجموعة من الفجر كانت تختبئ خلف الأشجار وانقضت على الأميرة.. لم تكن تعلم تلك المجموعة أننا قرييون من الأميرة.. فقد تفاجئوا بنا وقررروا الهرب على الفور.. لكن أحدهم كأنه لم يرض بأن يعودوا خائبين حاول انتزاع الأميرة من على فرسها ليأسرها معهم وهم هاربين، لكن الأميرة استبسلت في مقاومته وطعنته بخنجرها في ذراعه فلطمها على خدها وكاد أن يخرج سيفه ويفرسه في صدرها لولا أنه خاف أن يقع في قبضتنا فقد صرنا على بعد أمتار قليلة منه، كانت اللطمة كافية لتسقط الأميرة أرضا فاقدة للوعي!

شعر ماريان في تلك اللحظة بأن هناك من يهرول من خلفه.. نظر فإذا هي ايفيليان تركض نحوهم وهي غارقة في البكاء فتلقفها ماريان وضمها إلى صدره وأخذ يطمئننها على سلامة أميرتها وصديقتها الحميمة.

اقترب ماريان وايفيليان من فيورينا عندما أحسا بحركتها الخفيفة، فقد بدأت تستعيد وعيها.

طلب الملك من الوصيفات أن يحملن ابنته وأن يقمن برعايتها رعاية شديدة وأنه سيلحق بهم بعد لحظات.

توجه ماريان إلى المقصلة وأمر بتحرير كوشان منها ثم اقترب منه ووضع يده على كتفه..

-أعتذر إليك فقد أسأت الظن بك-

-لا عليك يا سيدي.. لقد كان الموت قريباً مني للغاية ولكن أكثر ما كان يقلقني أن تتهاون في حماية الأميرة وأن يلحق بها الأذى

-أشكرك يا كوشان على كل ما قدمته لنا وهذا أذا على استعداد تام لتنفيذ ما وعدتك به.. سأمنحك الحرية الكاملة وأن تصير مواطناً رومانيا لك كل الحقوق والإمتيازات التي يتمتع بها الرومان.. وأنا أدعوك للعمل في قلعتي تلك فأنا أحتاج لأمثالك من حولي

-هذا شرف لى يا سيدي وأنا من اليوم رهن اشارتك وطوع أمرك

صعد ماريان إلى القلعة وتوجه إلى غرفة ابنته ليطمئن على سلامتها فوجد إلى جوارها ايفيليان تمد نحوها بشيء من الطعام.

عندما نظر الملك إلى ابنته وجدها تعرض بوجهها عنه فعلم أن الذي دفعها للخروج هكذا من القلعة إنما هو غضبها وقلقها البالغ من قدوم سباستيان وأن عليه أن يشعرها بأنه إلى جانبها ولن يضغط عليها لإتخاذ قرار لا ترغب فيه.

- ايفيليان.. اتركينا الآن

خرجت ايفيليان وأغلقت الباب من خلفها.. بخطوات بطيئة اقترب ماريان من ابنته ثم امتدت أصابعه ليزيح شعرات رأسها عن هذا الخدش الذي أصاب جبينها.. أطلق تهيدة قبل أن يقول:

- هل تذكرين العام الماضي حين أقمنا مدة أسبوعين عند البحيرة كما تعودنا أن نفضل كل عام لنقوم برحلات الصيد والإكتشاف والمغامرة.. كان هناك أرنب برى لاح من بعيد قبل أن تغرب الشمس بلحظات قليلة وأردت أن تتعقبينه وتفوزين بصيده.. أخبرتك وقتها أن العديد من الأرانب البرية تنتظرك صباحا فلماذا تحاولين اللحاق بذلك الأرنب في هذا الوقت المتأخر الذي تصعب فيه الرؤية ويستحيل أن تحصلى عليه؟! فقلت لى أننا لم نأت إلى هنا لنحصل على الأرانب فلدينا منها الكثير وإنما جئنا لنستمع بمطاردتها، وقتها أدركت كم أصبحت ناضجة وأنه لا خوف عليك بعد الآن، وأنتى أبدا لن أسمح لنفسى أن أتدخل في اختياراتك التي تحدد مصير حياتك ومستقبلك، - فقط - سأبقى إلى جوارك لأشد من عزيمتك وأنت تحاولين تحقيق أحلامك.

انحدرت دموعان من عيني فيورينا لتتنزل على خدها فامتدت يد ماريان

لتمسحهما بحنو وعطف..

-لا تقلقى يا ابنتى.. فالقرار قرارك وحدك ولكن أطلب منك فقط أن تمنحى نفسك الفرصة كاملة لتتعرفى عليه في فترة زيارته القصيرة هنا، لا أريد منك أكثر من هذا

لم تنطق فيورينا بشيء وإنما اكتفت بإتسامة حانية يشوبها التعب والإرهاق.

دقت الساعة لتعلن عن الرابعة صباحا بينما أوشكت نار المدفأة أن تخبو لتعلن عن حاجتها لمزيد من الخشب.

نظر الحملأوي بجوار المدفأة يبحث عن خشب تناثر هنا أو هناك إلا أنه مط شفتيه قبل أن يقول:

- نحن بحاجة إلى الخشب فقد نفذ ما لدينا من مخزون ها هنا!

-و من أين سنأتى بالخشب؟!

صمت الحملأوي قليلا قبل أن يقول:

-سأجرى اتصالا بجارى العجوز الذي أتى منذ قليل لعلى أجد عنده ما يسد حاجتنا في هذا الصقيع.

أمسك الحملأوي هاتفه وقام بالإتصال على رقم جاره ثم وضع الهاتف على أذنه..

-يرن ولا أحد يجيب!

أخبرته أن يعيد الإتصال مرة أخرى فحاول مرة ثانية وثالثة ولكن بلا فائدة!
شئ طبيعي.. هذا العجوز إن لم يكن مصابا بالصمم فإنه حتما يغط في
نوم عميق!

-استعد.. سنذهب إليه

نذهب إليه؟!.. ماذا يقول هذا المعتوه.. إن هذا الحملوي يريد أن أخرج
معه الآن في هذا الوقت المتأخر من هذه الليلة العاصفة لنذهب إلى تلك
العمارة البعيدة لإحضار مزيدا من الخشب.. أي هراء هذا!

-أعتذر منك يا أستاذ صفوت لكنني أريد أن ألفت انتباهك إلى شيء ما..
الأ تر أن السير في هذا الوقت ربما يكون خطيرا؟! هذا إن وضعنا في
الحسبان تلك الظلمة الحالكة المنتشرة في الخارج وأيضا تلك العاصفة
التي لا أراها تهدأ للحظة واحدة.. دعني أصارحك بشئ آخر.. إنني في
الحقيقة لا أخشى من هذا كله قدر خشيتي من تلك الأصوات التي كانت
تصطدم بأذني طوال الوقت وأنا أنصت إلى قصتك!

-تقصد ماذا؟

-أقصد هذا الصوت الذي تسمعه الآن!

-تقصد هذا العواء؟

-بالطبع.. فلو كان هناك ثمة صوت آخر لتشبثت بسماعه متناسيا هذا
الصوت المخيف!

-لكنه لا يبدو لي شيئا مخيفا.. بل أراه شيئا ممتعا

-استمتاعك بدفء النيران ليس مبررا للقفز بها!

-ولكننا بحاجة إلى الخشب في هذا البرد القارس.. لا تقلق سنذهب بسيارتى سريعا ولن نأخذ وقتنا

ثم صمت الحملاوي قليلا قبل أن يقول:

-سأقول لك شيئا.. اجلس أنت ها هنا في الفيلا وسأذهب أنا لإحضار الخشب والعودة سريعا.. ما رأيك؟

ابتلعت ريقى بصعوبة بالغة ثم قلت له:

-أرى أن نذهب سويا فأنا أخشى عليك من السير وحدك في هذا الطريق الموحش!

ابتسم الحملاوي ابتسامة رضا ثم قال:

-حسنا هيا بنا

أغلق الحملاوي أضواء الفيلا تاركا مصباحا واحدا مضيئا بالخارج ثم فتح بابها الخشبي ودعانى للخروج أولا ثم خرج من بعدى وأغلق الباب خلفنا.

سرنا إلى باب الحديقة لنخرج منه متوجهين إلى سيارته.. ركب الحملاوي ثم فتح لى الباب فركبت بجواره.. أخذ يدير محرك سيارته إلا أنه كان يغط في نوم عميق!

ظل الحملاوي لمدة خمس دقائق يحاول ايقاظ المحرك إلا أنه لا يستجيب.. نظر إلى الحملاوي كأنه يعتذر منى عما ينوى قوله بعد قليل.. كنت أتوقع أن نعاود أدرأجنا إلى الفيلا إلا أن الحملاوي كان له رأى آخر..

-أعتذر منك يا أحمد.. علينا أن نذهب إلى مسكن جارى هذا سيرا على الأقدام!

كانت عاصفة شديدة تحل بنا تلك الليلة.. وكانت الأشجار من حولنا تكاد أن تتخلع من مكانها.. فجأة اشتعلت السماء بفعل البرق الذي أومض ليفسح المجال للرعد الذي دوى بعده بلحظات..

لم يكن أمامى إلا أن أستجيب لطلب الحملأوى.. فلا أنا أستطيع أن أجلس وحيدا بانتظاره في الفيلا ولا أستطيع أيضا أن أثنيه عن الذهاب إلى عمارة جاره لإحضار الخشب.. ثم أن السير في هذا المكان النائى بصحبة كاتب رعب يبدو ممتعا أو هكذا يجب أن يكون!

الطريق من الفيلا إلى بيت جاره يحوطه الظلام من كل مكان ولا عجب في ذلك، فبيت الحملأوى يفرد وحيدا خارج السرب في منطقة لا أنيس فيها ولا جليس.. أما عمارة جاره فيمكن اعتبارها أول الأبنية التي يبدأ من بعدها العمران.

كان الطريق طويلا إن لم أكن مخطئا في اعتقادى هذا.. كنت أنظر إلى الأضواء التي تأتي من بعيد والتي أخبرنى الحملأوى أنها أضواء بيت جاره العجوز فأصابنى القلق.. هذا الطريق الموحش لا يبشر بخير.

الطريق غير ممهّد إلا أن الحملأوى كان ممسكا بمصباح كبير أضاء لنا الطريق فكنا لا نأبه لتلك الأحجار المتناثرة والتي تعترض طريقنا ولم نأبه أيضا للعواء الذي كان يحيط بنا من كل جانب.. لكننى لا أخفيكم سرا، فقد تسلل الخوف إلى قلبى وامتلا رهبة حين انطفأ المصباح بعد أن أصابه

العطب بفعل الأمطار الغزيرة التي زادت ضراوتها!

كدت أن أخرج هاتقى لأضئ به الطريق إلا أنني أدركت أنني نسيتته في فيلا الحملاوى، تبخر استيائى من هذا الأمر حين أدركت أنه وإن كان معى فإننى لن أستطيع إخراجه في تلك الأمطار الغزيرة، أعتقد أن صفوت لم يخرج هاتفه لهذا السبب أيضا وعلينا الآن أن نكمل طريقنا في هذا الظلام الحالِك!

كان يتقدمنى بخطوات لأنه أعلم بالطريق، لم يكن الخوف باديا على الحملاوى.. فقد كان يسير ثابت الخطا يتوجه إلى قبلة واحدة في عزم واصرار لا يخيفه هذ العواء الذي اشتد وعلا من حولنا حتى أنني بدأت أشعر أننا لم نعد وحدنا بعد الآن!

وبينما نحن نسير اصطدمت قدمى اليسرى بحجر كبير لم أنتبه له فتأخرت قليلا عن الحملاوي الذي واصل سيره ولم يلق بالا لما حدث لى.. انحنيت لأتحسس قدمى فلم أجد بها بأسا فقممت لأكمل طريقى وألحق بالحملاوى الذي ابتعد عنى أكثر من عشرين مترا أكاد أرى خياله بصعوبة بالغة في تلك الظلمة الحالِكة.

ولكن فجأة.. حدث ما كنت أخشاه.. لقد اشتد العواء أكثر وأكثر وزادت حدته وشراسته عن ذى قبل.. أحسست بشئ قادم من خلفى.. استدرت بسرعة خاطفة فوجدته!

ذئب أسود ضخم الجثة تلمع أنيابه وسط الظلام.. كان يزمجر بطريقة غريبة ثم أخذ يلتف من حولى في دوائر أخذت تضيق بصورة منتظمة وكأنه

يدرك ما يفعله.

نظرت إلى الحملوي فلم أجد.. لقد اختفى تماما في وقت ظهور هذا الذئب.. أين ذهب هذا الوغد!

كنت ألمح أنياب الذئب الغريب الذي لم أر في حياتي ما يشبهه وكأنه قادم من الأساطير القديمة.. كانت الدوائر التي يلتف فيها من حولي تضيق أكثر وأكثر حتى أحسست أن ما يفصلني عنه نصف قطر مقداره متر ونصف.. كنت ثابتا لا أتحرك.. فأنا أعلم أن اللحظة التي سأخذ فيها قرارا بالهرب هي نفس اللحظة التي سيتخذ فيها هذا الذئب قراره بالهجوم.. كنت أنتظر أن يظهر الحملوي ولكن بلا فائدة.. صار الذئب قريبا مني أكثر من أي شيء مضى ولم يعد هناك مجالا للوقوف ساكنا هكذا.

هممت بالصراخ.. إلا أن شيئا غريبا قد حدث!!

ارتد الذئب ببطء شديد وتراجع إلى الخلف وهو يزوم بطريقة غريبة كأنه رأى شيئا أفزعته.. أكاد أجزم أن هذا الذئب قد رأى شيطانا!
تراجع الذئب أكثر وأكثر ثم رفع رأسه إلى الأعلى وهو يطلق عواء متقطعا، بعدها لاذ بالفرار.

في تلك اللحظة أحسست بشيء يقف من خلفي، تجمدت في مكاني مستسلما لما سيحدث، شعرت بيد توضع على كتفي وصوت مخيف يقول:

-أطلب منك أن تبقى دوما إلى جوارى ولا تتأخر عني مرة أخرى، لن يكون أمرا محببا حين أعود إلى الفيلا وحيدا من دونك!

سرت إلى جواره وأنا أتذكر ما مر منذ لحظات.. فهذا الذئب أوشك على الإلتحاض عليّ وتمزيقى تماما إلا أنه حين اقترب منى صار خائفا مدعورا ثم لاذ بالفرار.. لقد فعل ذلك في اللحظة التي ظهر فيها الحملأوي من خلفى دون أن أشعر بخطواته!

لحظة واحدة.. ذكرنى هذا الموقف بموقف آخر في فيلا الحملأوي حين كنت أتفحص اللوحة التي رسمت فيها عائلته، وقتها وجدته ظهر من خلفى فجأة ودون سابق انذار!.. من الواضح أن هذا الحملأوي يمتلك خفة في السير إلى الحد الذي لا تلامس فيه أقدامه الأرض.

صارت الأضواء أقرب ما يكون، وأوشكنا على الوصول إلى مسكن جاره المكون من خمس طوابق.

أشار الحملأوي إلى الطابق الرابع الذي كان في شرفته مصباح مضئ وأما الطوابق الأخرى فكانت كالجثث الهامدة في مقبرة الليل!

وصلنا إلى مدخل العمارة.. في هذا الوقت لم يكن هناك أي حركة تدل على وجود حياة في المنطقة.. كانت المساكن بالجوار تبدو كأنها أشباح فلا تستطيع أن تجزم هل هي مساكن مهجورة أم أن الوقت المتأخر للغاية وتلك العاصفة صنعا لدى هذا الإنطباع!

صعدنا درجات السلم.. كنت أتحسس موضع أقدامى خوفا من أن أتعرض لإصابة أخرى.. أما الحملأوي فكان واثق الخطوة يمشى ملكا ولا عجب في هذا فلا بد أنه تعود المجئى إلى مسكن جاره من قبل.

كان نصرأ عظيما حين صرت أمام باب الشقة في الطابق الرابع ولم أتعرض

لإصابة أخرى. كل شئ على ما يرام - على الأقل - حتى تلك اللحظة!
دق الحملأوي باب الشقة.. انتظرنا قليلا حتى نسمع صوتا ولكن لا أحد
يجيب.. نظر إلى الحملأوي ثم قال:

- أعتقد أنه نائم بالداخل أو أنه تعجل السفر إلى الإسكندرية وغادر مبكرا..
لقد كان أمرا حكيمأ حين أحضرت نسخة من مفتاح هذه الشقة كان قد
أعطاني إياها من قبل للإهتمام بشقته في حال غيابه عنها.
أخرج الحملأوي المفتاح من جيبه ثم دسه في الباب وأداره فانفتح..

فتح الحملأوي باب الشقة، كان الظلام سيد الموقف.. وضع أقدامه الأولى
بالداخل وحين أوشكت أن ألحق به وجدت شيئا أسود يتحرك.. لقد كان
يقترب منى بسرعة!

- خفافيش.. اللعنة!

هبطت على درجات السلم وأنا لا أدري ماذا أفعل وحين وصلت إلى الطابق
الثالث سمعت صوت الحملأوي وهو يقول ضاحكا:

- اقترب لا تخش شيئا... أحسب أنه خفافش عابر ضل طريقه... فتلك الشقة
مسكونة بالفعل.

أعلم أن الحملأوي يقصد بكلمة "مسكونة" هذه أن جاره يسكنها لكننى لا
أعلم لماذا أصابتنى التشعريرة بعد تلك الكلمة.. الشقق المسكونة ليس لها
سوى معنى واحد متعارف عليه.. معنى غير محبب على الإطلاق ولا بد أن
الحملأوي لا يقصده البتة!

عدت مرة أخرى إليه فوجدت الباب نصف مغلق فأزحته لأسمع هذا الصرير المخيف.. تقدمت بخطوات بسيطة فوجدت بعض الأشياء اللزجة التي التصقت بوجهي!

-تبا.. ما هذا!؟

فجأة أحسست بشئ يزحف على رقبتى من الخلف ويلتف حولها ليقفز في صدرى.. انتفضت سريعا ثم وضعت يدي عليه لأشعر بأقدامه الكثيرة ورأسه الدقيق..

-عنكبوت كبير!!

ضحك الحملأوي مرة أخرى وكأنتى مجرد طفل صغير رأى وحشا مخيفا في فيلم كارتون!!

هذا الوغد لا يعلم أننى أتوقع شقة طبيعية حيث لا وجود لخفافيش عابرة أو عناكب اتخذت من الشقة مبيتا مؤقتا.. ثم أين جاره هذا!؟.. وما طبيعة هذا العجوز الذي يجلس في مكان كريبه كهذا.. فلو أنها مقبرته لصارت أفضل حالا من تلك!

ضوء مصباح الصالة يهتز كأنه جان فهو يخفت ويضىء لكننى استطعت أن أميز محتويات الشقة، أثاث متهالك.. يبدو ذلك من خلال تلك الثقوب الكبيرة التي صنعتها الفئران في الملاءات البيضاء التي تغطيه.. ربما تعود هذا العجوز أن يغطى أثاث منزله قبل أن يغادر بيته.. هذا الأبله تذكر أن يحمى الأثاث من الأتربة ونسى أن يحمى منزله من العناكب والخفافيش والفئران!

أخذ الحملأوي يبحث عن الأخشاب اللازمة للمدفأة بينما كنت - أنا - مستغرقا في تأمل هذه المقبرة التي ولجت فيها!

كان للشقة ثلاث حجرات وصالة واسعة وحمام.. غرفة للمطبخ وغرفة للنوم وغرفة أخرى كانت موصدة بقفل كبير من الخارج.

و أما الصالة فكانت تعج بالآثاث القديم بالإضافة إلى مكتبة.. عدد الكتب المتساقط منها أرضا يفوق ما تراص على أرففها!

خرج الحملأوي من المطبخ بأيد فارغة!

-لم أجد شيئا.. لقد بحثت في كل مكان دون فائدة

كنت أخشى من تلك اللحظة التي تتبته فيها عين الحملأوي إلى المكان الوحيد الذي لم يبحث فيه حتى الآن.. فقد سئمت كل هذا الضغط النفسى الذي لحق بى حتى هذه اللحظة.. لم تعد لديّ قدرة تتحمل أن نفتح تلك الغرفة الموصدة في هذا الكهف الكريه.. فليس من الممتع أن نقوم بفتح غرفة أوصدها عجوز غامض يترك بيته هكذا.

كان الحملأوي يعطى الغرفة ظهره ويتوجه لى بالكلام.. أردت ألا أعطيه الفرصة لينظر خلفه.. اقترحت عليه أن نبحث عن الأخشاب عند أحد الجيران في المساكن الأخرى.. قطب الحملأوي جبينه وهو يفكر في كلامى ثم أعلن موافقته بهزة من رأسه وطلب أن نغادر الشقة.

أسرعت إلى الباب وقمت بفتحه ثم وضعت قدمى بالخارج والحملأوي من خلفى.. وما إن خرج الحملأوي حتى أغلقت باب الشقة تماما.

كان الحملأوي ساهما يفكر وعندما هبطنأ إلى الطابق الثالث فجأة أوقضى..

-لحظة.. لقد نسينأ شئأ

اللجنة!!

لحظى التعس تذكر الحملأوي تلك الغرفة الموصدة وطلب أن نعود مرة أخرى إلى الشقة!

بخطوات ثقيلة كنت أتبعه وقد بلغ الضيق منى مبلغه.. وصلنا إلى الطابق الرابع وأخرج الحملأوي مفتاحه وقام بفتح الباب مرة أخرى.. فى تلك المرة وضعت يدى على وجهى حتى لا تصطدم الخفافيش اللعينة به ثم رفعت حدائى عاليا لأهتك به خيوط العنكبوت وصانعه أيضا.. لكن ما من شئ ظهر كالمرة الأولى.. توجه الحملأوي نحو الغرفة الموصدة مباشرة..

-عجبا.. كيف نسيت البحث فى هذه الغرفة وأنا أعرفها جيدا!

رفعت حاجبى ثم أخذت أحك بيدي على ذقتى لأعطى لسؤالى القادم شئأ من الجديدة:

-عفوا.. وهل تعرف ما بداخل تلك الغرفة؟؟

-بالطبع

-إذن وما هو؟؟

- جث طازجة لا أكثر

ابتلعت ريقى وكدت أن أقتل هذا الحملأوي شنقا إلا أنتى أجلت هذا الأمر

إلى حين.. هذا الأبله يرى أن الجثث الطازجة شيئاً عادياً بحيث يكون في مقدورك أن تقول بعدها عبارة "لا أكثر" .. أي شئ أكثر من هذا!!

-لحظة.. هل قلت جثثا طازجة!؟

-نعم

-تقصد جثثا بلاستيكية طازجة.. فأنا أعرف عشقك للإيجاز.. لم ترد أن تبدو جملتك طويلة فحذف كلمة بلاستيكية.. لكنني أعتب عليك فهي كلمة مهمة ولا يمكن الإستغناء عنها حتى لا يقع السامع في حيرة من أمره
..و

-لا أقصد جثثا بلاستيكية

-ماذا!!!.. إذن تقصد جثثا خشبية!!

-ولا خشبية!؟

-قطنية!

-أحمد.. أنا لم أختصر شيئاً

-لماذا لا تختصر.. الإختصار شئ جميل أرى أنه مناسب جداً هذه المرة..
لابد وأن هناك حذف ما

-هذا العجوز يعمل حفاراً للقبور وهو يقوم بسرقة الجثث الطازجة وبيع أجزائها لطلاب الطب في جامعة الإسكندرية بعيداً حتى لا يعرض نفسه وسمعته للخطر هنا ويذهب إليهم ببضاعته كل فترة وقد سافر اليوم من أجل هذا الغرض

- إذن ما بداخل هذه الغرفة هو جثث طازجة؟

- نعم

- وليس هناك أي حذف؟

- هناك حذف وحيد

- حقا.. ياله من أمر سار.. وما هو؟!

- فى داخل الغرفة جثث طازجة كاملة

لم يعد لدى أدنى شك أنتى سأقتل هذا الرجل الذي يتلاعب بأعصابى طول الوقت!

أحضر الحملوي قطعة حديدية لت هشيم القفل الموضوع على الباب.. قلت له وهو يهوى بالقطعة الحديدية على القفل:

- وهل هناك جثث موجودة فى داخل الغرفة الآن أم أن العجوز أخذها معه إلى الإسكندرية؟؟

- لا أعلم.. فهذا ما سنكتشفه حالا.

أحدث باب الغرفة صريرا عاليا بينما فى تلك اللحظة كنت أقف خلف الحملوي أتلصص النظر إلى ما بداخل الغرفة المظلمة التي تسرب إليها شعاع من ضوء الصالة..

امتدت يد الحملوي لتضئ الغرفة..

بعض الأخشاب المتكسرة تتبعثر فى أرضيتها وإلى جوارها الكثير من

الملابس البالية.. أخذت أدقق النظر أكثر وأكثر حتى أعثر على الشيء الذي أخشاه.. فرأيت الحملأوي يشير إلى ركن من أركان الغرفة لم أكن لأراه جيدا وأنا واقف على الباب.. تقدمت خطوة إلى داخل الغرفة فنظرت عن يسارى حيث أشار الحملأوي فوجدتهما!

تابوتان عتيقان من الخشب تراصا جنبا إلى جنب في ركن الغرفة.. دفعنى الفضول لأقترب أكثر وأكثر فلمحت شيئا غريبا..

لقد كان التابوت الأول مغلقا بينما الثانى قد أزيح الغطاء قليلا من عليه! بخطوات متناقلة وقفت على رأس التابوت الثانى فلم أستطع أن أرى ما بداخله بدقة.. نظرت إلى الحملأوي فأذن لى..

بيد مرتعشة بدأت أزيح الغطاء الثقيل جانبا ببطء شديد وكأننى أخشى أن أوقظ من بداخله..

- التابوت فارغ!

- شىء غريب يا أحمد.. وماذا عن الآخر!

نظرت إلى التابوت المغلق وابتلعت ريقى وأنا أتجه إليه حتى أفتحه وأنظر إلى ما فيه.. امتدت يدى نحو غطائه الذي كان مقفلا بإحكام وحاولت فتحه إلا أننى تراجعمت في اللحظة الأخيرة وتركت تلك المهمة للحملأوى!

تقدم الحملأوي بخطا واثقة نحو التابوت وبدأ يزيح الغطاء عنه بقوة حتى أزاحه عن آخره.. اقتربت منه لأنظر إلى ما بداخل التابوت.. مددت رأسى وأنا أقف خلف الحملأوي فرأيته!

جثة ممددة لرجل عجوز يظهر على ملامحه الإنزعاج الشديد وكأنه يوشك أن يصحو من نومه غاضبا لأننا ألقنا منامه.. هذه الرجل لو كان مستقيا على فراش لحسبته يغط في نوم عميق بعد تناوله وجبة دسمة!

شئ غريب حقا.. هذه الشفاه التي لا تزال رطبة وهذه الوجه الذي تخالطه حمرة قليلة ليس بوجه الأموات.. دعك من ملامحه التي تشبه شخصا سيصحو من نومه على الفور ساخطا من أمر ما قد أزعجه وأقلق منامه.

ثم ما بال التابوت الآخر فارغا؟!.. من المؤكد أنه كانت فيه جثة أخرى أخذها العجوز معه إلى الإسكندرية وترك هذه الجثة ليوم آخر.

-هذه جثة طازجة جدا تبدو وكأنها لم تمت بعد

قالها الحملأوي وهو يعيد الغطاء مرة أخرى ليغلق التابوت.. ثم أمرنى أن أجمع معه الخشب الكافى لنعود إلى الفيلا مرة أخرى.

كنت أجمع الخشب وأنا أراقب التابوت المغلق وكأننى أخشى أن ينفتح من خلفى مرة واحدة.. لن أخفى عليكم فأنا أشعر في كل لحظة بأن هناك صوتا خفيضا يأتى من داخل التابوت.. صوت يشبه الأنين المكتوم!

فجأة.. انتفضت من مكانى حين سمعت صوتا عاليا يأتى من خلفى كان يشبه الإرتطام.. نظرت مرة واحدة إلى غطاء التابوت المقفل فوجدته مكانه فتفتست الصعداء ولكن ما سبب هذا الإرتطام؟!

خرج الحملأوي مسرعا إلى الصالة تاركا اياى وحدى في الغرفة فلهثت خلفه على الفور.. كان الإرتطام سببه تساقط المزيد من المجلدات الضخمة على أرضية الصالة بفعل الهواء الشديد المندفع من نافذة الصالة الزجاجية

التي انفتحت لسبب ما لا نعلمه!

فى تلك اللحظة وقعت عيني على صورة فوتوغرافية لرجل عجوز معلقة على حائط الصلاة.. يبدو أنه هو هذا العجوز صاحب الشقة إلا أنني حين دقت النظر في وجهه أكثر لاحظت أمرا غريبا.. لو أردت توخى الدقة فهو أمر مرعب بحق!

كان هذا الوجه يشبه وجه العجوز المتكوم فى التابوت.. أخذت أفرك عيني أكثر وأكثر فلاحظت أنه لا يشبهه كثيرا وإنما أنا من توهم هذا الشبه.. إلا أنني حين أطيل النظر إليه أشعر كأننى أنظر إلى العجوز فى التابوت.. أردت أن أدخل الغرفة مرة أخرى لأزيج الغطاء وأنظر إلى الجنة الراقدة فيه لكننى تراجعمت عن ذلك وأقنعت نفسى أن الوهم قد استبد بى وأن الشبه ليس له أى وجود إلا فى خيالى الواسع!

تقدم الحملوي نحو النافذة التي اندفع الهواء من خلالها وأغلقها جيدا ثم قال:

- يبدو أننا لن نستطيع الخروج من تلك الشقة فى هذا الوقت العصيب.. علينا أن ننتظر قليلا هنا حتى تهدأ العاصفة.

هنا!! بجوار تلك التوابيت.. هذا شيء جنونى.. هل أقتل هذا الحملوي ثم أخرج من هنا وأعود من حيث أتيت.. لا أعلم لماذا أوجل هذا الأمر حتى الآن!

نظرت إليه فإذا هو قد أحضر مقعدين سليمين من بين تلك المقاعد المتكسرة ثم عمل على تنظيف مكان فى وسط الصلاة حتى صار فارغا من

كل شيء ثم صنع كومة من الأخشاب الزائدة عن حاجتنا وأشعل فيها النار! كل هذا وأنا أنظر إليه مستغربا.. لم يتبق إلا أن يخرج قطعة من المطبخ ثم يتمم عليها بطلاسم وتعويدات قبل أن يلقيها في النار ليرقص حولها بعد ذلك!

طلب منى الجلوس على أحد المقاعد ثم جلس على المقعد الآخر.. قال وهو يلقي بقطع الخشب في كومة النار أمامه:

-في الشتاء تداعبنا الذكريات.. قطرات المطر تحمل لنا همس الماضين وقصص الغابرين.. وحين يشتد البرد لن تجد أفضل من أن تجمع ذكرياتك القديمة وتصنع منها كومة كبيرة لتشعل فيها النيران وتستمتع بدفء النسيان.

ثم أخذ يحملق في النار أمامه فكنت أرى السنة اللهب تتعكس في عينيه! في تلك اللحظة سمعت صوتا يأتي من الغرفة.. هذا الأنين المكتوم الذي شعرت به من قبل يأتي من ناحية التابوت!

نظرت إلى الحملاوي وقد أوشكت أن أنطق بالكلام فإذا هو يأمرني بالسكوت وهو يرهف بسمعه منصتا لهذا الصوت المنخفض!

-ليس شيئاً ذا أهمية.. لا بد أنه صوت غطاء التابوت المنفتح فهو يتدلى من فوقه وربما يسقط في أي وقت فلا تخش شيئاً.. والأن دعنى أكمل لك شيئاً من قصتنا ها هنا إلى أن تهدأ العاصفة

لم يكن أمامي ما أفعله كالعادة سوى الإمتثال لكلامه فحركت رأسي دلالة

على الموافقة.. فشرع الحملأوي يكمل حكايته..

فى عصر ذاك اليوم الموعود تجهزت القلعة لقدم الأمبر سباستيان واتخذ الحراس أماكنهم فى انضباط وثبات بينما أخذت الخادماى تعملن على تجهيز مائدة العشاء الفخمة التى سيجلس عليها سباستيان وأصدقائه ومرافقيه من النبلاء وستجلس فيورينا إلى جوار أبيها الذى طلب منها هذا ترحيبا بالأمبر القادم من أراد.

فى بهو عظيم من القلعة امتدت فى المساء مائدة طويلة تراصت عليها صنوف وألوان مختلفة من الطعام والشراب وانهمك الخدم بنقل أطباق حساء البطاطس والمامليفا والسارما وهو ملفوف من ورق العنب والكرنب والبنجر ابتكره العثمانيون وتأثرت به رومانيا فى هذا الوقت، وتوزعت الخراف المشوية محتفظة بكامل هيئتها ماعدا الرأس على المائدة الطويلة كما توزعت أيضا لحوم الطرائد الطازجة المُنْبلة بالتوابل الغريبة والخاصة التى لم يكن يسمح بها للعامة آنذاك، وتناثرت فى انتظام أكواب من نبيذ العنب الفاخر بينما قامت الوصيفات بترتيب المائدة الفخمة وتزيينها بالورود والشموع.

كانت الوصيفات تهرولن ما بين المطبخ وبهو الطعام ولم تكن إحداهن تعلم بأن هناك من يرمقهن بشئ من الإهتمام!

فى الحقيقة لم يكن كوشان الذى اعتلى قمة طاخونة الغلال وأخذ ينظر من خلال نافذة البهو المضيئة يقصد أولئك النسوة من الوصيفات وإنما كان

ينتظر أن يرى سيدتهن.. فيورينا، فقد كان يظن أن هذا الإحتفاء بقدم الأمير سباستيان إنما يحمل في طياته عرضا متوقعا لطلب يد الأميرة ولا بد لها من الجلوس معهم على مائدة العشاء لكنه لم يكن يعلم سببا لإهتمامه هذا.. فقد نال مؤخرا ما أراد.. لقد صار مواطنا رومانيا بإمتياز وحارسا للملك ماريان في قلعته.. عينه الملك مسئولا عن طاحونة الغلال القديمة وربما إن حالفه الحظ نال ثقة أكبر وصار مقربا من الملك وحارسا داخل قلعته لكنه لا يستطيع أن يخفى شيئا بينه وبين نفسه، هذا الشيء هو أن الأميرة فيورينا قد شغلت اهتمامه.. تلك الفتاة التي وقعت عيناه عليها في أول يوم يأتي فيه إلى هذه القلعة حين كان مقيدا يجره الحراس بعد أن وقع أسيرا لديهم.. يتذكر تلك النظرة التي رآها على وجه فيورينا.. كانت تنظر له بغرابة شديدة من نافذة غرفتها وكأنها تنظر إلى مخلوق من عالم آخر.. هل هي نظرة من يخشى شيئا ويخاف منه أم نظرة حائرة قلقة حين تنظر إلى شيء لا تعلم كنهه.. أم هي نظرة فضولية تريد أن تتغلغل في أعماق هذا الكائن الأسير.

كانت السماء صافية في هذه الليلة على الرغم من اقتراب الشتاء وكانت ثمة رياح خفيفة تداعب خصلات شعره الأشقر حين أخذ كوشان يدقق بنظره الحاد نحو النافذة التي يرى من خلالها الضيوف يمرون ويتخذون مقاعدهم.. بعد لحظات لم تعد هناك أي حركة تظهر من النافذة في إشارة إلى أن الجميع قد التزموا أماكنهم على المائدة وانهمكوا في عشايتهم.

التف حول المنضدة المستديرة سبعة أشخاص هم على الترتيب: ماريان تجلس على يساره فيورينا بينما جلس على يمينه "سيلفيو" أحد كبار

حاشيته ويده اليمنى قارب على السبعين وكان حكيما زاهدا.

على يسار فيورينا يجلس سباستيان.. وسيم ذو لحية خفيفة وشعر ناعم قصير يبلغ السابعة والعشرين من العمر.. ولى العهد والأمير المنتظر بعد أبيه، أحب فيورينا وتمناها زوجة له منذ أن رآها أثناء زيارتها الأخيرة إلى أراد ثم انقطعت عن المجيء بعد ذلك.. كان هذا قبل خمس سنوات.

على يسار سباستيان يجلس "بيانكا" الصديق المقرب لسباستيان والمخلص الأمين له والذي يؤيد تماما أفكاره ومبادئه.. في مثل سنه.. يسترسل شعره الأشقر الناعم ليغطي جبهته مما يمنحه جمالا طفوليا ساعد على ذلك أيضا ذقته الملساء.

و أما هذا النبيل الذي يميل إلى البدانة على نحو ما والذي يجلس على يسار بيانكا هو "مارك بول" .. مارك هذا من النبلاء المعدودين الذين بلغوا هذا الحجم الضخم من الثروة.. بلغ الخامسة والخمسين.. يحافظ على علاقات جيدة بولى العهد ويجدد ولائه له كلما سنحت الفرصة حتى يضمن الحفاظ على مصالحه حين يبلغ سباستيان الحكم.. فهو يمتلك الثروة بينما يمتلك سباستيان السلطة والنفوذ ومن هنا ندرك طبيعة القرب بينهما.. لا يطمح في السلطة.. - فقط - يحرص على أن تبقى مصالحه آمنة.

وأما هذا النحيف ذو اللحية الطويلة والشارب الكث والذي يجلس على يسار مارك بول وعن يمين سيليفو فهو رجل الدين المسيحي "فلانتين جروزا" .. كان العبوس والصرامة يتنافسان سويا في اعتلاء قسما وجهه طيلة الوقت، يمكن لنا أن نطلق عليه الوصى على سباستيان أو الخبير الذي

وضعه والد سباستيان ليعلم ابنه ويساعد على توجيهه ويتقل معه في سفره الطويل.. لا يتفق مع الأمير في كل أفكاره ولكنه يجد نفسه مدعنا لتقبل رأى سباستيان على مضض.

ينافق سباستيان ويكثر من مدحه لينال ثقته وقربه لكن سباستيان لا يشعر بالراحة الكاملة تجاهه ويرى فيه شخصا غير ودود وبخاصة حين يلحظ بعض السقطات التي تقع من فمه وتدل على حسد وغيره من سباستيان.

وأما باقى الوفد الذي اتى مع الأمير من قواده وحراسه فقد كان يتناول العشاء على مأدبة أخرى في الجزء الآخر من القلعة.

هكذا جلس السبعة يتناولون عشايتهم في صمت مهيب ينتظرون أن يمد لهم ماريان بخيط الكلام ليسجبه أحدهم واحدا تلو الآخر، بينما كانت فيورينا مرتبكة على نحو ما وتنتظر أن يبدأ أحدهم الحديث حتى ينشغلوا به عنها فقد كانت تشعر أن الأنظار تلاحقها بطريقة أو بأخرى.

- ما رأيكم بلحوم الطرائد الطازجة المُتبلة هذه؟.. لقد أحضر لى أحد التجار الذين يجوبون البلاد هذا النوع من التوابل فأدمنته وحرصت عليه

أبدى الجميع إعجابهم بمذاق الطعام الشهي بينما أضاف سباستيان إعجابه أيضا بهذا النبيذ الفاخر الذي لم يذق مثله من قبل.. ثم نظر إلى ابنة خالته فيورينا وقال:

-أخمن أن فيورينا ألقت عليه نظرة فتعتق

احمر وجه فيورينا خجلا وطأطأت برأسها نحو الطعام وانشغلت بتقطيع

اللحم بينما علا صوت الباقيين على المائدة بالضحك والغمز وكان أعلاهم صوتا هو بيانكا الذي ارتفع صوته بالضحك ثم توقف مرة واحدة حين أحس بالحرج.. فكانت تلك هي البداية لحديثهم على العشاء.

قال ماريان:

-أتعلمون.. إن تلك الأزهار المتناثرة على المائدة جمعتها لكم فيورينا بنفسها.. هكذا تفعل كل يوم

أطلق "مارك بول" همهمة تدل على إعجابه ثم قال:

-تنزل فيورينا بنفسها إلى الحديقة وتنتزع الأزهار منها!!.. أرى أن هذا شيء رائع

أضاف ماريان:

-وتتضى وقتها صباحا مع المزارعين.. بل وتقوم بمشاركتهم الأعمال الخفيفة أحيانا.. لا أنكر أنني أخشى عليها من هذا الفعل إلا أنها تصر على ذلك فما باليد حيلة!

مد "فلانتين" يده اليسرى نحو لحيته الطويلة وصار يهدبها على نحو رتيب وهو ينظر نحو فيورينا بعيون ضيقة حتى أن الأخيرة لاحظت ذلك فزاد توترها قليلا..

بكلمات صارمة كأنها تأتي من زمن غابر نطق فلانتين قائلاً:

-لا ينبغي لها ذلك

التفت له الجميع في استغراب واضح فقد كانت لهجته أقرب إلى الزجر فأحس بما ارتكبه من خطأ فتراجع قائلاً بصوت حاول أن يجعله أقل حدة:

-أخشى عليها أن تتعرض لسوء أو أن يصيبها هؤلاء العوام من المزارعين بخلل في أخلاقها وأفكارها.. هؤلاء كما تعلمون لا يمتلكون العقل لتمييز الأشياء وإلا فما فائدتنا نحن الذين نقوم بتوجيههم والدعاء لهم.

ارتفع وجه فيورينا لأول مرة حتى تنظر إلى المتحدث وكأنما لم يرق لها الكلام فطأطأت رأسها مرة أخرى.

قال مارك بول:

-معك حق يا فلانتين هؤلاء العوام لم يروا من الحقائق ما يجعلهم يدركون حقيقة الحياة وطبيعتها.. ترى أحدهم يتمدد تحت ظل شجرة ثم يفكر في أن يصبح ثرياً ويحلم بتلك الأشياء الرائعة التي سيصنعها إذا امتلك المال الوفير.. ترى إذا أصبح الناس جميعاً أثرياء فمن سيعمل أجيراً بعد ذلك!

-أليس من حق أي إنسان أن يحلم بحياة سعيدة ويسعى لتحقيق ذلك؟!

قالتها فيورينا فتظر لها الجميع في دهشة وعلامات الإستفهام على وجوههم.. فقال مارك:

-بلى.. من حق الجميع أن يحصلوا على السعادة.. ولكن ليس من الطبيعي أن نشترك في ذات النوع من السعادة.. فهناك ما يصلح لإسعادي ولا يصلح لإسعاد غيري بل قد يتسبب في شقائه

-هل تسعد بالمال؟

نظر إليها ثم تحول بنظره إلى الجالسين وأطلق ضحكة عالية ثم قال:

-نعم بكل تأكيد ليس هناك شك في ذلك

-وهل تعتقد أن المال لا يصلح لإسعاد الآخرين أيضا؟

ابتسم ماريان في خبث بينما تلجلج مارك قبل أن يقول:

-المال يسعد أي انسان لكن حاجتنا إليه تختلف باختلاف طبقتنا.. فالعامة يكفيها أن تجد مأكلا وملبسها ومسكنها وتعيش حياة آمنة هل هناك سعادة أكثر من ذلك!.. إن هذا الأجير الذي يكد نهارا ليحصل على قوت يومه يكافئ على هذا بأن ينعم بليل هادئة وسعيد حين يضع جسده المنهك على فراشه ولا يخاف من سرقة مخازن الحبوب أو السطو على خزائن الذهب الخاصة به.. إننا نوفر لهم العيش الكريم ونعمل على راحتهم وتوفير العمل لهم

-أنتم لا تصنعون شيئا سوى العبث بأقدارهم والتحكم في مصائرهم وكأنهم قطيع من الحيوانات المسخرة لخدمتكم وتعظيم ثرواتكم

-ولكننا نعطيهم أجورهم ولا نبخس أحدا حقه..

-تتحكمون في كل مصادر الدخل وأبواب التجارة فلا يجدون سوى أن يعملوا لديكم راضين بأبخس الأثمان قانعين بالفتات

كان سباستيان يرمق فيورينا في إعجاب شديد فقد كانت تمتلك قوة في حديثها أخفاها الخجل من قبل.

قال سباستيان وهو ينظر إليها مبتسما:

-فيورينا.. أرى أن مارك لم يستطع توضيح وجهة نظره جيدا.. فهو يقصد أن السعادة والإنسجام ينجمان عن توزيع الأدوار ومعرفة كل منا بدوره المنوط به وإتقانه والدأب عليه طيلة حياته، فالتاجر يتقن تجارته والمزارع يتقن زراعته وهكذا يصير الجميع سعداء

-و هل تعتقد أن الجميع سيكونون بنفس الدرجة من السعادة إذا تبادلوا الأدوار؟؟

-كيف ذلك؟!

-أتسأل فقط لو أن مارك كان يعمل أجيرا لدى أحد النبلاء ويحصل على أجره الذي يكفيه بالكاد لسد حاجته من الجوع والملبس هل كان سيصير سعيدا كما هو الآن؟!

ضحك سباستيان بينما ضاقت حدقتا مارك وكاد أن يرد لولا أن فلانيتين سبقه بالحديث:

-فيورينا.. الرب حدد وظيفة كل منا وقسّم الناس إلى منازل ودرجات على قدر عقولهم وحكمتهم، إن هذه الحياة ماهى إلا آلة تدور.. قدرّ الله أن يكون بعض الناس فيها ترسا ضئيلا والبعض الآخر مُولّدا عظيما، ولا يستقيم الأمر لو احتل أحد مكان أحد وإلا تعطلت الحياة.. لا يجب أن يتعدى أحدنا منزلته ليطمع في حطام الدنيا وزينتها وينظر إلى ما في يد غيره

أجابت فيورينا بجدة:

-إذا كان واجبا على الفقراء ألا ينظروا إلى حطام الدنيا وزينتها فلماذا

يغرق فيها الأمراء ورجال الدين المقربين منهم!

علت همهمة كبيرة بين الحاضرين تباينت فيها ردود أفعالهم ما بين منسجم لما قالته فيورينا كأبيها وسباستيان الذي استطاع ببساطة شديدة أن يبتلع تلك الآراء الجديدة على عقله وهو يتجرع كؤوس الهوى من وجه فيورينا، وما بين معارض ارتسم على وجهه الإمتعاض الشديد ك مارك بول..

قطع جروزا تلك الهمهمة قائلاً:

-نحن وكلاء على نعم الله في الأرض وهبنا اياها ولا ينبغي تركها للعوام فيسيئون استغلالها

-أتعلم من انتم؟.. انتم من تبيحون للأغنياء استغلال العامة وتسخيرهم باسم الدين.. أنتم تخدرون ضمائراً الأمراء حتى تغض أجفانهم ليلاً بدلا من التلظى بنار أفعالهم الحمقاء

ساد الصمت للحظات قبل أن يتحدث مارك بول ساخراً:

-اسمح لي مولاي الملك أن أحمل معي زجاجة من هذا الخمر العظيم فأنا لم أذق مثله في حياتي.. إننى لم أحتس منه سوى رشفة واحدة فصار يخيل لي أننا نتشاجر ها هنا من أجل حفنة من البشر لا يعرفون عن الحياة سوى الطعام ومضاجعة زوجاتهم ليلاً..

سارعت فيورينا تقول في غضب واضح:

-وماذا تفعلون أنتم سوى مضاجعة أمال الفقراء وجهدهم لإنجاب ثرواتكم الطائلة وأما أوقات فراغكم فتقضونها في إراقاة ما يكفى من الدماء

للمحافظة على العرش.

رفع مارك حاجبه عاليا ثم قال بسخرية:

-أرى أن فيورينا تأثرت كثيرا بقربها من المزارعين في حقولك يا جلالة الملك.. صار لديها الكثير من الحماس لهم

قال ماريان مبتسما:

-إن لفيورينا قلب طيب وفى أعماقها سلام ومحبة لهذا العالم بأكمله.. لا تحاول استئثاره غضبها يا مارك..

ضحك مارك وقال:

- أحسب أنني نجحت في ذلك...

قال فلانتين:

-أرى أنني شريك أساسى في هذا يا مارك.. أستطيع أن أؤكد لكم جميعا أن فيورينا تود قتلى الآن..

ضحكت فيورينا على الرغم منها وبدا أن المائدة دب فيها الدفء من جديد فمال سباستيان على فيورينا وقال:

-لم أكن أعلم أنك بهذه الشراسة في حديثك.. هكذا الوجوه الملائكية لا تستطيع أن تخمن ماذا تخفى وراءها

-إذن تغيرت نظرتك عنى؟!

-نعم

أبدت فيورينا انزعاجًا طفوليًّا قبل أن تسأله بلهجة غاضبة:

-واستبدلتها بماذا إذن؟

-بسحابة بيضاء نقية لا تمطر إلا ماء عذبا

أخفضت رأسها من الخجل ثم همست قائلة:

-لم أكن أعلم أنك بهذا اللطف.. لا أخفيك سرا فأنا أبغض (آراد) وأبغض

أقاربي هناك.. لا أحب نظرتهم للحياة وتعاطيهم معها.. أنا لم أفكر يوما

في العيش معهم لهذا السبب

-أصارحك بشيء؟

-تفضل

-أنا أيضا أخالفهم في كثير من الأمر.. هل ترين بيانكا هذا.. إنه صديقي

منذ الطفولة إلا أن أبي لا يحبه لأنه ينحدر من أصول أقل عراقية منا..

جادلت أبي كثيرا وتشاجرنا لأنني أريد الإحتفاظ به.. فما أصعب الحصول

على صديق مخلص في تلك الأيام

-حسنا فعلت.. فأنا أيضا لدى صديقة أحبها كثيرا تسمى ايفيليان إنها

وصيفة لدينا في القلعة وهي أقرب إليّ من أي شيء آخر بعد أبي.. إلا أننا

لسنا على وفاق الآن!

-وهل أستطيع أن أعرف السبب؟

-بالطبع.. فأنت السبب

ضحك سباستيان ثم قال بدهشة:

- وكيف هذا؟

ضحكت فيورينا وقالت:

- هذا أمر يطول شرحه.

- لا يهم.. فلدينا الكثير لنحدث فيه سويا في الأيام القادمة... أتعلمين شيئا.. إن التحدث إليك متعة عظيمة تشبه احتساء زجاجة كاملة من النبيذ الأحمر.

رفعت فيورينا حاجبها وحاولت أن تبدو جادة ثم قالت:

- وهل يفترض أن هذا جيد؟

- نعم.. بكل تأكيد... تلك النشوة التي تجعلك تحلق عاليا بلا أجنحة.. نشوة الحديث إلى شخص ممتع ينصت إليك باهتمام ويسعى لفهمك دون أن يترك مجالا للظنون السيئة أن تتلاعب بينكما

رمقهما ماريان وهما يتهامسان فالتمعت عيناه وبدا عليه شيء من الرضا والراحة ثم نادى في الخدم حتى يرفعوا المائدة.

استأذنت فيورينا في النهوض لتلحق بحجرتها فقد كانت تغفو مبكرا بعد أن تتصفح كتابا وتقرأ منه ما شاء لها أن تقرأ.. أتاح لها هذا أن يصبح لديها مخزونا رائعا من المعرفة والثقافة التي جعلتها تصبح فتاة مميزة تتمتع

بالذكاء واللباقة في الحديث.

حين أرادت النهوض اقترب سباستيان من أذنيها وهمس قائلاً:

-علمت أن لك حصانا رائعاً اسمه روكسانا وأريد أن أعرف هل سيصمد أمام حصانى الأبيض في سباق نحو الغابة أم لا

ابتسمت فيورينا وقالت:

-روكسانا لا يجاربه أحد

تهلل وجه سباستيان وقال:

-إذن نتقابل في ساحة القلعة صباحاً يا فتاتى الأنيقة.

اكتفت فيورينا بابتسامة ودودة ثم قامت إلى غرفتها.

انتقل السبعة إلى غرفة الإستقبال وجلسوا جميعاً يتبادلون أطراف الحديث إلا أنهم كانوا في حقيقة الأمر ستة فقد غاب عنهم سباستيان سارحاً بخياله يفكر في فيورينا التي أسرته بفضل حديثها وجرأتها.. لم يكن يحسب أنها تتمتع بتلك اللباقة والكياسة في حديثها.. من النادر أن تجد فتاة جميلة تتمتع بتلك اللباقة النادرة.. كان ينتظر أن ينفذ هذا الجمع ليعود إلى غرفته فيتفكر في فتاته ويتخيل كيف سيكون غده.

كان كوشان لايزال عاكفا على قمة الطاحونة يتأمل السماء إلا أن النعاس صار يطارده فصارت أجفانه توشك أن تنطبق تماماً لولا أنه لمح شيئاً ما جعله يفتح عينيه عن آخرهما!

بجوار غرفة الطعام عن اليسار هناك أكثر من غرفة إلا أن غرفة واحدة

أضاءت في تلك اللحظة.. تلك الغرفة التي نظر إليها كوشان في أول يوم له في هذه القلعة حين أتى مقيدا بعد أسره.. إنها غرفة فيورينا.

انتبه كوشان وطار النوم من عينيه.. يبدو أن فيورينا تركت المجلس وعادت إلى غرفتها للتو.. ثبت عينيه على النافذة الزجاجية التي غطاها ستار خفيف من الداخل.. أحس أن ثمة ظلال تقترب من الستار.. إنها فيورينا تفتح الستار وتمتد يدها لمعالجة النافذة وفتحها.. أخفى كوشان نفسه وهو يراقبها من قمة الطاحونة التي يمتد طولها عشرين مترا.. كانت تنظر إلى الأفق البعيد... تفكر في ليلتها تلك وكيف أن سباستيان هذا خالف توقعها شيئا ما ولم يكن منفرا كمثل أمه وأقاربه وإن كان يعتقد بعضا من أفكارهم الطبقيّة المقيّنة.. تفكر في عرضه بالمشاركة في سباق الصباح هذا.. تعلم أنها محاولة منه للتودد إليها أكثر ولكن هل هي على استعداد لقبول هذا الأمر!

كانت في حيرة من أمرها فقررت أن تلوذ بفراشها تاركة كل شيء إلى اليوم الجديد.

شاهدها كوشان وهي تغلق النافذة وتعيد الستار إلى مكانه بعد أن أزاحته من قبل.. هنا قرر كوشان أن ينزل إلى الأسفل ويلوذ بالنوم هو الآخر في غرفته الصغيرة داخل الطاحونة!

في الصباح الباكر وقف سباستيان في ساحة القلعة منتظرا قدوم فيورينا، ساورته الشكوك حول مجيئها إليه إلا أنه قرر أن ينتظر ويرى ما سيكون.

كانت بعض الخادماوات اللاتي يعملن خارج القلعة ويقمن بإطعام الحيوانات والطيور يعبرن من أمامه في الساحة ويتغامزن فيما بينهن طامعات في لفت أنظار الأمير الوسيم، لم يلق لهن بالا ثم قرر الخروج من القلعة بحصانه الأبيض وانتظار الأميرة بالخارج.

في هذا الوقت كان كوشان يشرف على العاملين بالطاحونة حيث كان يستقبل العربات المحملة بجوالات القمح القادمة من الصومعة ليقوم العاملون بعدها بطحنها وتحويلها إلى دقيق يتم تخزينه داخل القلعة ليستخدمه الملك في إطعام كل من فيها وحاميتها بحيث تصبح القلعة معتمدة على ذاتها في الغذاء وبخاصة إذا ما تم محاصرتها من الخارج وقت الحرب.

حانت التفاتة من كوشان نحو النافذة التي ظل يراقبها البارحة ليلا فوجدها واقفة تنظر ناحيته، اعتقد كوشان لوهلة أن الأميرة تنظر إليه فاستغرب هذا الأمر.. أتراها علمت بمراقبته لها البارحة أم أنها تنظر إلى الأفق البعيد كعادتها.. إلا أنه بعد لحظات أدرك أنها لا تنظر إليه وإنما تنظر إلى الشخص الذي يتجول ورائه بحصانه الأبيض.

إن فيورينا حين استيقظت من نومها وجدت أنها مترددة في قبول دعوة سياستيان ولم تتخذ قرارها حتى اللحظة.. إنها لا تعلم سبب تردها هذا ولكنها تعترف أمام نفسها أن سياستيان هذا يبدو لطيفا ولبقا في حديثه وأنه لا ضير من اصطحابه لها نحو الغابة فهذا سيعينها أكثر على اتخاذ قرارها بشأن الإرتباط به.. لكنها لا تزال مترددة ولا تعلم السبب!

نظر كوشان خلفه إلى هذا الأمير الذي يتجول بحصانه في المزرعة

للحظات ثم التفت عنه ليكمل عمله في الطاحونة.

تيقن سباستيان في نفسه أن الأميرة لن تلبى دعوته وصار يفكر في السبب الذي جعلها ترفض طلبه رغم أن أمله كان كبيرا في موافقتها على ذلك.. شعر بخيبة الأمل لأن حدسه أخطأ تلك المرة.. كان يفكر في هذا كله ولم يشعر أنه يقترب من الطاحونة.. طاحونة الغلال!

- أنت.. ما عمر هذه الطاحونة؟

كان كوشان في تلك اللحظة يساعد عاملا في وضع الجوال على كتفه فلما انتهى التفت إلى سباستيان وقال:

- لا أعلم.. ولكن دعنى أحدثك عن عمري أنا في العمل ها هنا.. أنا هنا منذ أيام قليلة

- وماذا تعمل ها هنا؟

- أشرف على الطاحونة

- عجباً فهذا منصب كبير.. أكبر من أن يحتله عامل جديد

- هذا صحيح ولكننى أسديت الملك معروفا فكافأنى بذلك

- وما هذا المعروف؟

- أعتذر إليك فأنا لا أحب التشدق بمعروف صنعته لأحدهم يوما ما

سكت سباستيان قليلا وهو يتفرس في وجه كوشان ثم قال بنبرة هادئة:

- لا عليك..

ابتسم كوشان وهو يرفع حاجبه ثم قال:

-لم هذا القلق على وجهك.. هل تنتظر أحدا؟!

تفاجيء سباستيان من سؤاله وبدا عليه الغضب وهو يقول:

-ولم تسأل هذا السؤال؟

-لا عليك فأنا لا أقصد مضايقتك وإنما أردت أن أفتح حديثا بيننا

تأمله سباستيان قليلا ثم قال بفتور:

-نعم فأنا أنتظر أحدهم

ابتسم كوشان بخبث وهو يقول:

-شخصا لطيفا.. أليس كذلك؟!

ثم لم يترك المجال لسباستيان الذي كاد يعبر عن غضبه من جملته الأخيرة إلا أن كوشان استطرد قائلاً:

-إنها مغامرة كبيرة حين تقابل شخصا لطيفا ثم تتركه يرحل على أمل أن

تتقابلا مرة أخرى، فأكثر اللقاءات الأولى لا تنجب موعداً آخر.. في المرة

القادمة حين تقابل شخصا لطيفا عليك باختطافه.

ابتسم سباستيان على الرغم منه وهو يتمتم قائلاً:

-حسناً.. في المرة القادمة ربما أفعل

نظر كوشان بعيداً وهو يقول:

- أو ربما لست بحاجة لذلك

نظر إليه سباستيان فأسرع كوشان قائلاً:

- يبدو أنه أن الأوان لتحظى بصباح دافئ يا عزيزي

استغرب سباستيان من ذلك وكاد أن يستفهمه فبادره كوشان بقوله:

- انظر خلفك ..

نظر سباستيان ورائه فوجد فيورينا تقترب بحصانها نحو الطاحونة..
فقد حسمت أمرها أخيراً وقررت أن تعطى نفسها الفرصة كاملة وأن
جولة قصيرة مع سباستيان نحو الغابة لن تضرها شيئاً فارتدت زيهما الذي
اعتادت أن ترتديه كلما قررت امتطاء حصانها والركض به نحو الغابة..
كانت تفضل أن ترتدى ملابساً أشبه بملابس الرجال ليمتحنها هذا خفة
وسهولة في الحركة فكانت ترتدى قميصاً أبيض متوسط الطول وفوقه
سترة حمراء تصل إلى الركبة وبنطالاً قصيراً أسود وجوريا أبيض سميكاً
يرتفع إلى ركبتها وحذاءً أسود قصيراً بينما على رأسها استقرت قبعة
جلدية بسيطة تختلف تماماً عن قبعات (الفونتانج) النسائية الطويلة التي
اشتهرت في عصرها.

عندما اقتربت فيورينا منهما ابتسمت إلى سباستيان ابتسامة هادئة وما أن
ألقت نظرة نحو هذا الفجرى الواقف على الأرض حتى رفعت حاجبها وهي
تتذكر متى رأت هذا الوجه..

-نسي الأمير سباستيان أن يقدمني إليك أيتها الأميرة.. أنا كوشان.. نعم..

يبدو وجهي مألوفاً لك.. فأنا من جاء إلى القلعة منذ أيام قليلة مقيداً في
الأصفاد الحديدية.. وقتها كنت تنظرين من نافذة حجرتك تلك على هذا
الأسير المجهول.. وأنا أيضاً من كان سيتم إعدامه في ساحة القصر لولا
مجيء الحراس إلى القلعة وهم يحملونك وأنت في حالة من الإعياء الشديد
- هل تقصد أنك كوشان الذي حكى لى والدى أنه كشف مخططاً يستهدف
قتلي؟!

رفع كوشان رأسه إلى الأعلى وارتفع حاجبه الأيسر وهو يمد يديه الإثنتين
ممسكاً بياقته الطويلة قائلاً بشيء من الزهو المصطنع:
- نعم.. هو أنا!

رفع سباستيان حاجبه وارتسمت على وجهه علامات الإستفهام دلالة على
أنه لا يفهم شيئاً مما قيل.. وأما فيورينا فقد بادرت بقولها:
- إذن أنت العجرجى الذي حاول إنقاذي من مؤامرة خطط لها ونفذها
أقرانك من أشباح الغابة!
- هم أقراني بالفعل، ولكن هذا ليس سبباً كافياً كي أتقبل فكرة أن تقتل
إنساناً بريئاً...

- ولماذا لم تعد إليهم في الغابة؟

- آن الأوان أن استقر بعيداً عن كل الدماء التي أراقتها تلك الغابة كما أن
وجودى بينهم لن يكون مرحباً به إذا نمى إلى علمهم أنني كشفت مخططهم
هذا، فلا شيء يضمن عدم وجود جاسوس لديهم في هذه القلعة!

-نعم.. هذا صحيح.. فلربما كان أنت..

ابتسم كوشان وقال:

-ربما.. فهذا احتمال وارد لكننى لو كنت في موضعك لاستبعدته تماما

-لماذا؟!

-لأن هويبا باكيو تسعى لقتلك أنت ولو كانت هناك خدمة أستطيع تقديمها
لأقرانى في تلك الغابة فإنها - أبدا- لن تكون كشف مخططهم لقتلك.. لذا
فأنا لا أستحق أن أصبح جاسوسهم في القلعة.. ربما يعتمدون على شخص
ثان.. ربما ثالث.. أو ربما أكثر!

صمتت فيورينا قليلا ثم قالت:

-أعتذر إليك فلم أكن أقصد الإساءة لشخصك وقد أعطاك أبى الحرية
الكاملة كما أنى أشكرك على إنقاذك لي.

ابتسم كوشان ثم نظر إليها بإبتسامة ماكرة وقال:

-ليس لى سوى أن أقبل اعتذارك سيدتى لكننى أطلب منك مسامحتى على
عدم قبول شكرى.. فأنا لا أقبل الشكر بالكلمات

قطبت فيورينا جبينها ثم ضاقت عيناها وهى تقول:

-وماذا تريد إذن؟!

مط شفثيه وهو يرفع حاجبه الأيسر:

-أعتقد أن دعوتى إلى السير معك سيكون كافيا

استغربت فيورينا بشدة.. إن هذا الفجرى معتد بنفسه للغاية كما أن جرأتها هذه ستجلب له المتاعب لاشك.. ألقّت نظرة على سياستيان فوجدته قد انزعج هو الآخر ولمحت يده التي قام بوضعها على غمده الذي يحمل فيه سيفه.. إنها تشعر أن الأمور ستخرج عن السيطرة لو أنها لم تتداركها.. صنعت ابتسامة خفيفة على وجهها وقالت:

-ربما يوماً آخر يا كوشان.. ينبغي عليك أن تكمل عملك الآن .

ثم استدارت بحصانها وسارت به خطوات قليلة سرعان ما لحقها سياستيان بعد أن رمق كوشان بنظرة حارقة استقبلها كوشان بابتسامة باردة ثم عاد ليكمل عمله.

كان صباح هذا اليوم غائماً توشك الأمطار أن تتحرر من سحبه لتهطل بغزارة لولا أنها أجلت هذا الأمر وكأنها تعطى سياستيان فرصته الكاملة كي يربح قلب فيورينا.

سار الإثنان بحصانيهما جنباً إلى جنب نحو الغابة في حراسة صارمة من الصمت، فسباستيان يفكر في الطريقة المثلى لبدء حديث جيد وأما فيورينا فهي ساهمة فيما حولها تجذب أنظارها تلك الأرانب البرية التي تتقافز فوق العشب من بعيد ثم تضر هاربة حين تلمحهما، وتارة تنظر فوقها إلى السحب الرمادية المترامية حول بعضها صانعة أشكالاً مبهجة بالنسبة إليها، وهي بالإضافة إلى كل هذا تملأ صدرها من هذا النسيم الذي أدمنته كل صباح.

شعر سياستيان أن فيورينا غارقة فيما حولها وأنه لا يشكل حيزاً كبيراً

بداخلها وأن عليه أن يزيد في هذا الحيز بكل ما أوتى من قوة.

-فيورينا.. أعلم جيداً ما ينبغي عليّ قوله ولكنى لا أعلم كيف!

-معذرة؟

أدركت فيورينا ما يرمى إليه سباستيان ولكنها لا تجد تعليقا مريحا لما قاله، إنها في حيرة من أمرها، تضطرب مشاعرها كلما تذكرت عائلته وأنها ستقيم في آخر مكان تتمنى العيش فيه، ولكنها لا تمتلك الجرأة على رفض سباستيان فهي لم تر منه شيئاً تبغضه إلى الآن كما أنها لازالت تعطى نفسها الفرصة أو بالأحرى تعطيه هو الفرصة لريح قلبها ونيل ثقتها.

انتزعها سباستيان من خواطرها وقال:

-ليس هينا أن تتقل الفتاة من رعاية أبيها إلى رعاية شخص آخر لا تعرف عنه الكثير.. يزداد الأمر سوءاً إذا ما كانت فتاة مدللة.. فتاة واثقة.. فتاة تقراً.. إن الفتاة التي تقراً كسيف فولاذي لا ينكسر.. أتعلمين الطريقة الوحيدة لكسر سيف فولاذي.. هو إحراقه.. أن يحترق حتى يلين..

-و بم يحترق؟

-بنار الحب.. الحب وحده!

-إذن أنت ترانى سيفاً من الفولاذ!!

-سيفاً صلباً يوشك أن ينغرس في قلبي..

-فلماذا إذن لا تضع قلبك بعيداً عن هذا السيف القاتل!

- لدى الأمل في أن يلين..

-أنت تود إحراقى إذن!

ثم أطلقت ضحكة خفيفة خيل إلى سباستيان أن ضحكتها هذه هي التي داعبت وجهه وشعره وليس هذا الهواء الذي هب عليه في تلك اللحظة..

-أنا أود فقط أن..

قاطعته فيورينا قائلة على عجل:

-ما رأيك أن نتسابق الآن.. هيا.. فأنا لم أترك لروكسانا العنان منذ أيام!

نظر إليها سباستيان بتحد واضح وقال:

-وإذا ربحت السباق؟

رفعت فيورينا حاجبها ومطت شفثيها ثم تصنعت الجدية وهى تقول:

-وقتها سأدعك تكمل جملتك السابقة

ثم ابتسمت في مكر وشدت لجام روكسانا وقالت:

-ألن نبدأ سباقنا هذا.. هيا.. إن روكسانا أكثر شغفا منى لتذوق انتصارا

لا بأس به هذا اليوم

-أخشى أن حصانى الأبيض هذا سيخيب أماله

-دعنا نرى..

ظل السباق محموما بينهما وكانت فيورينا أكثر حماسا من سباستيان

وتسعى للغلبة عليه في السباق بينما هو يشعر أنه يتسابق مع قلبها وليس شيئاً آخر.

كان روكسانا يتقدم على حصان سباستيان الأبيض.. وكانت صيحات فيورينا الحماسية تكاد تصل إلى الغابة التي تقترب أكثر وأكثر..

فجأة.. تذكرت فيورينا ما حدث لها منذ وقت قريب حين هجم عليها أفراد من غجر غابة هويا باكيو.. تتذكر كيف أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الأسر.. أفقدتها تلك الذكرى تركيزها لثوان معدودة كانت كضيلة لجعلها لا تبصر هذا المنحدر الذي تغطى حافته الأعشاب الطويلة.. صاح فيها سباستيان الذي انتبه للمنحدر في الوقت المناسب.. صاح فيها لتأخذ حذرهما إلا أن روكسانا كان قد اقترب كثيرا من الحافة وبات سقوط فيورينا من المنحدر وشيكا لولا أن سباستيان كان قد اتخذ قراره سريعا وأدار حصانه نحوها وأسرع به ثم وقف على حصانه ليقفز في اللحظة الأخيرة نحو فيورينا فيسقط معها أرضا قبل أن تنزلق مع روكسانا في المنحدر

سقط سباستيان وفيورينا وتدحرجا على الأرض فقام سباستيان سريعا إلى فيورينا التي انكشأت على وجهها فأدارها ببطء ثم أجلسها وأخذ ينظر إلى وجهها بلهفة بالغة فلم يجد إلا كدمة بسيطة احمرت لها جبهتها..

-فيورينا.. كيف تشعرين؟!

-لا تقلق.. أنا بخير..

ثم أخذت تنتظر حولها..

- أين روكسانا.. أين روكسانا؟!

حاولت النهوض سريعا لتذهب نحو المنحدر فساعدها سياستيان على الوقوف وما إن قامت حتى ظهر روكسانا قادمًا ببطء من المنحدر.

تنفست فيورينا الصعداء وفرحت لسلامته وتفحصته في لهفة فلم تجد سوى بعض الخدوش وجروح سطحية ستلتئم سريعا نظرًا لما يتمتع به روكسانا من قوة وصلابة.

استدارت إلى سياستيان ثم تقدمت بخطوات نحوه ورفعت وجهها إليه وقالت:

- أشكرك على ما بذلته من أجل سلامتي.. الرب وحده يعلم ما كان سيحدث لى لو أنك لم تصنع ذلك

- فيورينا.. إنني سأكون أكثر أهل الأرض بؤسًا لو أن شوكة أصابت قدميك.. فما بالك وأنا أراك توشكين على السقوط من هذا المنحدر!

- سياستيان.. لم كل هذا الحب؟!

- لأننى لم أدرك غايتى في الحياة قبل العثور عليك.. صار لكل شيء مذاق ساحر لم أعهده من قبل.. توردت الأشياء ودبت فيها المعانى الخلافة.. بالأمس كان الورد نباتا والنجوم بقعا لونية في السماء.. وأما اليوم صار الورد رسولا أنيقا يحمل في جعبته كلمات رقيقة ومعان عذبة لا يقدر لسانى على أن يفصح بها كما ينبغى.. وأما النجوم فصارت حوريات من نور ترافقنى كل ليلة وأنا أحلم بك

تهددت فيورينا وبان في عينيها الدمع وهى تقول:

-ولكنى لا أحب الذهاب إلى آراد.. أنا لا أحب العيش معهم يا سباستيان..
صدقنى لو أنتى خيرت بين الجحيم والعيش معهم لاخترت الجحيم راضية
اقترب منها سباستيان أكثر وقال:

-فيورينا.. اجعلى كلماتى تلك تستقر فى أعماقك إلى الأبد.. إننى لن أفكر
لحظة فى أن أضعك موضعا لا يروق لك.. لو أنتى أعلم أنك تتوقين للعيش
على القمر لعكفت طيلة حياتى أجتهد لتحقيق ذلك ولن أياس.. إننى من
اليوم فارسك المخلص.

أطلقت فيورينا تنهيدة من أعماقها ثم بدا على وجهها ابتسامة حانية وهى
تنظر إلى سباستيان ثم قالت:

-أرى أن نعود إلى القلعة فأنا أخشى على روكسانا وأريده أن ينال نصيبه من
الراحة حتى يتعافى سريعا
نظر إليها سباستيان فى حنو نظرة طويلة فاحمر وجه فيورينا وتشاغل
بمداعبة روكسانا بيديها والتخفيف من آلامه..

-لا بأس.. هيا بنا

ساعدها سباستيان على امتطاء حصانها ثم استدارا عائدين إلى القلعة.

تراااالك.. بوم!!

كان الصوت مفاجئاً يخترق سكون هذا الليل البهيم ، ثم تراقص لهب كومة
النار التى صنعها الحملأوي أمامنا وازداد فجأة فزعمت قليلا ونظرت إلى

الحملاوي الذي ظل هادئاً وكأن برود الليل قد تسلل إلى قلبه فلم يعد يفرع أو يرتجف!

كنت أعلم علم اليقين مصدر هذا الصوت.. إنه ارتطام.. شئ كان في موضعه وتمت ازاحته ليسقط أرضاً.. كما أن هذا الصوت أت من تلك الغرفة التي كنت أتجاسها منذ أن دخلنا إلى تلك الشقة، لذا فليس من الصعب أن أضمن ماهية الصوت فهذا العجوز المستلقى في تابوته ربما قرر أخيراً أنه بحاجة إلى أخذ جولة في الشقة.. أو أنه يرغب - بفضل كرمه الشديد - أن يتخلى عن موضعه ليمنح أحدنا مكانه!

في تلك اللحظة وقعت عيناى على صورة العجوز صاحب الشقة والمعلقة على الحائط في الصالة.. كم يشبه هذا الوجه وجه الكائن الراقد في التابوت.. لا يستطيع خيالى المدعور أن يمنحنى هذا التشابه الشديد بينهما فهل أنا واهم؟!.. هل أنا من اخترق هذا التشابه المفزع!!

بحروف متجمدة سألت الحملاوى:

-أليس هذا صوت ارتطام غطاء التابوت على الأرض

فنظر لى مبتسماً وقال:

-ربما.. فقد أخبرتك أن الغطاء ليس في موضعه تماماً وأنه آيل للسقوط

-أنا لا أقصد غطاء التابوت الفارغ

- فماذا تتصد إذن؟!

-أقصد ذلك التابوت الذي ترقد فيه الجثة بسلام لتبدو وكأنها تتمدد على

فراش وثير

ضحك الحملاي بشدة.. هذا العجوز الراقد في التابوت لو كان ميتا من خمسة آلاف سنة لاستيقظ على ضحكة الحملاي هذه!

صمت الحملاي فجأة ثم أرهف بسمعه قبل أن يقول بصوت منخفض:

-هل تعتقد حقا أن هذا الصوت يعود للتابوت الممتلىء؟!

لم أنتظر هذا السؤال القاتل من الحملاي وإنما كنت أتمنى أن أسمع منه نفيًا قاطعًا لهذا الشك الذي ساورنى بدلا من مضاعفته بسؤاله هذا!

-لا أعلم ولكننى أخشى ذلك

-إذن ما رأيك في أن نلقى نظرة عليه؟

قالها ثم قام واقفا ينتظر منى أن أقوم بدورى وأتبعه.

لم أتفاجأ من اقتراح الحملاي ولم أبد استغرابي، وإلا فوجودنا في تلك الشقة في هذه الساعة المتأخرة وبجوار تلك التوابيت هو ما يستحق الغرابة بحق!

بخطوات بطيئة سرنا في الصالة متجهين إلى الغرفة.. وكلما اقتربنا منها أحسست بصوت خافت ينبعث من داخلها وكلما اقتربنا أكثر زاد الصوت وضوحا.

على جدران الصالة من حولنا كانت الأشباح تتراقص في صمت.. تلك الظلال المخيفة التي صنعتها السنة كومة اللهب.

امتدت يد الحملاوي نحو مقبض الباب، هذه الظلال بارعة بحق.. تتقن الرقص وكأنها تتراقص من تلقاء نفسها!

فتح الحملاوي باب الغرفة وصار يزيحه إلى الداخل ببطء محدثا صريحا مفزعا، امتدت يده ناحية زر الكهرباء كي يضىء الغرفة بينما ظلمت أنا في حالة من الترقب.

انغمر الضوء في المكان فسارعت بالنظر يسارا حيث التابوتين موضوعين جنبا إلى جنب ولم يكن هناك شيء غريب إلا أن غطاء التابوت الفارغ سقط أرضا بكامله!

- ألم أقل لك!.. لا شيء سوى أن غطاء التابوت هذا وقع على الأرض وقد كان شيئا متوقعا

أومأت له برأسى وأطلقت همهمة من نوع (أوه كم أنك عبقرى حقا.. يا إلهي) فكان هذا راضيا بالقدر الكافى الذي جعله يبتسم في رضا.. لكننى في تلك اللحظة انتابنى شرود غريب..

فجأة قفزت إلى علقى فكرة غريبة.. سيطرت على رأسى تماما وكأنه استحواذ شيطانى فرفعت رأسى مرة واحدة إلى التابوت الفارغ وصرت أحملق فيه كثيرا حتى أن الحملاوي لاحظ هذا التغير المفاجيء الذي طرأ على وجهى..

- ما لك يا أحمد؟!

كانت هذه الجملة تشبه تلك الجمل التي يوقظون بها الأشخاص الواقعين

تحت تأثير التويم المغناطيسى فقد انتهت فجأة.. لاحظ الحملوي نظرى المتكرر ناحية التابوت الفارغ ثم نظرى نحوه هو.. فقد لاحظت شيئاً رهيباً ومفزعا لأقصى حد!

هذا التابوت الفارغ أكثر طولاً من التابوت الآخر.. كيف لم ألاحظ هذا من قبل.. إن هذه التوابيت مصنوعة بمقاس محدد لتستوعب ساكنيها بدقة وليست في الطول سواء.. هذا العجوز القصير الذي يرقد في التابوت ليس بحاجة لمقاس أكثر من هذا.. إنه يناسبه بدقة بالغة.. وأما هذا التابوت الفارغ فهو يناسب شخصاً آخر أكثر طولاً.. شخصاً يتشابه طولهُ مع طول شخص يقف بجوارى الآن في تلك الغرفة!!

اعترتنى رجفة حين وضع الحملوي يده على كتفى وقال:

- فيم تفكر؟!

- لا شيء.. هذا المكان يثير الرهبة بداخلى

ارتفع حاجبه وضاقت عيناه وهو يقول:

- أرجو أن يكون المكان هو ما أثار الرهبة بداخلك وليس شيئاً آخر!

- ماذا تقصد؟

نظر إلى طويلاً ثم قال:

- أياً كان ما تفكر فيه فهو شر ينبغى طرده من ذهنك لا ينبغى لتلك الأفكار أن تظل في عقلك.. إنها تقودك لإستنتاجات خاطئة تماماً.. لأنها لا تعدو كونها ظنون

-ولكن بعض الظنون تتأكد مع الوقت

-إذن كل ما يلزمك هو الوقت حتى تتأكد من زيفها ولكن ما أجمل أن
تكتشف - مبكرا - زيف ظنونك قبل أن تنزلق في الوحل أقدامك

-أخشى أن تكون قد انفرست!

قلتها بصوت خافت مما جعل الحملأوي يسألني عما قلته فأخبرته بأنني
إنما أوافق على كلامه!

شرع الحملأوي في الخروج من الغرفة ليعود إلى الصلاة فاستوقفته..

-هل ستترك هذا الغطاء ملقى على الأرض دون أن نعيده إلى موضعه؟

-لا تقلق سأعيده مكانه لاحقا.. والآن هيا بنا إلى الصلاة لنستمع بالدفء
حول النار ولأكمل لك ما بدأناه..

-حسنا هيا بنا..

ثم أخذ يروي قصته!

بعد أن نالت فيورينا قسطا وافرا من الراحة بعد عناء السباق الذي جرى
صباح هذا اليوم وبعد أن تناولت غداء شهيا أرادت أن تتنزه في الحقول
المجاورة للقلعة.. وافق ماريان على ذلك لكنه أمر عددا من الحراس
بمتابعتها وحذرهم من أن تكتشف أمرهم لأنها تتضايق من هذا الأمر ولا
تجد راحتها.

كانت ترتدى فستانا ذا تنورة واسعة من اللون الزيتوني ذا صدر مشدود ومحكم ومزركش بخيوط ذهبية خلاصة ورسومات بديعة لورود حمراء.. أحاط برقبتها عقد أبيض يخطف الأنظار.. أكمام واسعة وكاشفة لمرفقها.. تحلت أصابعها بخاتم رقيق صغير الحجم من الذهب الخالص يحتوى على حجر كريم من اللون الأخضر كانت تحب ارتدائه على الدوام ونادرا ما يفارق اصبعها.. فهذا الخاتم يعود لوالدتها احتفظ به ماريان ضمن مقتنيات زوجته الغالية ثم قام بإهدائه إلى ابنته حين كبرت فكانت فيورينا تعشق هذا الخاتم وتفضله على غيره من زينتها الثمينة.

قبل أن تخرج من بوابة القلعة ذهبت لتطمئن أولا على روكسانا فوجدته مسترخيا ينعم بوجبة دسمة موضوعة أمامه.. تركته لينعم بالراحة وقررت أن تغادر القلعة سيرا على أقدامها.

رأها سباستيان مصادفة في ساحة القلعة وهى تتوجه إلى البوابة فتوهج وجهه فرحا مسرورا برؤيتها فعرض عليها مرافقته إلا أنها اعتذرت له بلطف وأبدت رغبتها في الخروج وحدها.. شعر سباستيان بالإستياء قليلا إلا أنه احترم رغبتها في ذلك وابتسم متمنيا لها نزهة سعيدة.

أثناء سيرها في طرقات المزرعة الخضراء شاهدت عددا من المزارعين يتجمعون حول شيء ما.. يبدو أن هناك ما يحاولون انقاذه.. قابلتها إحدى العاملات في المزرعة فسألته فيورينا عن الأمر فأخبرتها الفتاة أن ثمة عربة خشبية انكسرت وهى محملة بجالات القمح وأنهم يحاولون إصلاحها قدمت الفتاة أمام فيورينا تقودها لمكان العربة حتى ترى بنفسها ما يحدث

وعندما رآها العاملون أفسحوا الطريق لها فوجدت نفسها أمام العربية مباشرة..

كانت حبات العرق تغطي جسده القوى وهو يرقد أسفل العربية يحاول رفع العجلة الخشبية التي انغrustت في الوحل ليتحاشى جر العربية لأن ذلك ربما يتسبب بحدوث عطب بالغ بها.

مد كوشان يده للفتى الذي كان واقفا بجواره يطلب منه معول حفر.. إلا أن الفتى كان قد تنحى جانبا حين رأى الأميرة واقفة بجواره..
صاح كوشان:

-يا هذا أين المعول؟!

فلم يرد عليه أحد.. فأخرج رأسه من أسفل العربية وهو يصيح غاضبا فوجد فيورينا واقفة أمامه.. نظر إليها قليلا ثم التفت إلى الفتى وصاح به:
-هل تعلم أن تقبيل الوحل أسفل هذه العربية ليس شيئا رائعا حتى أمضى طيلة نهاري هكذا.. أحضر المعول

قالها بقوة فأسرع الفتى بإحضار المعول حتى أنه أصاب بكتفه ذراع الأميرة التي تأوهت بشدة.. نظر إليها الفتى مذعورا وهو ينوى التوسل إليها لكي لا تأمر بمعاقبته.. فصاح فيه كوشان:

-احضر المعول أولا يا أحمق ثم فكر بعد ذلك في الاعتذار لسيدتك

استدار إليه الفتى الذي بات مذعورا لا يعرف من أمره شيئا ومد له بالمعول فتلطفه كوشان بقوة ثم قام واقفا وبدأ يزيح الوحل من أسفل العجلة.. كل

هذا وفيورينا غاضبة يكاد الشرر يتطاير من عينيها.. فتحت فمها ثم كادت تصرخ في كوشان إلا أن ضرباته القوية في الوحل جعلت بعضه يتطاير باتجاهها فاتسخت ملابسها الأنيقة إلا أن الأمر صار أكثر سوءا حين سقطت بعض القطرات في فمها!

أطلق الجميع آهة عالية ثم ارتدوا للوراء في خوف وترقب بينما فيورينا انحنت راكعة وأخذت تقذف ما في فمها نحو الأرض وهي في حالة يرثى لها.. أحس كوشان بأن شيئا غريبا يحدث من حوله فتوقف عما يفعل واستدار خلفه فإذا بغطاء معدنى يصيبه في رأسه فأحس بأنه يحلق عاليا قبل أن يسقط أرضا فاقد الوعى!

بعد لحظات قليلة أفاق كوشان من اغمائه البسيطة ليجد بعض العاملين يقفون من حوله ثم سمع صوتا عن يمينه يقول:

-إذن فقد أفاق هذا الوقح الغليظ الذي لا يراعى مقام أميرته.. كنت أعلم أن ضربتي لن تتسبب في أذى بالغ به.. فلست بحاجة لأن يعذبني ضميري من أجل صفيق مثله!

ثم استدارت فيورينا تنوي الرحيل..

استند كوشان على من كان بجواره ثم قام واقفا وأخذ يخطو باتجاه فيورينا التي ابتعدت عنهم بضعة أمتار.. لحق بها وصار على مقربة منها فقال:

-لقد كانت ضربة موجعة بحق

-أستطيع أن أهديك واحدة أخرى إن أردت!

تحسس كوشان أثر الضربة في ألم ثم قال:

- بل أريد أفضل من هذا

ظلت فيورينا صامتة.. فأكمل كوشان:

- هل أن الأوان لنيل مكافآتى السخية؟

نظرت إليه فيورينا بإستغراب بالغ ولم تعره اهتماما ومضت تكمل طريقها فبادرها بقوله:

- لا أحسبك من هذا النوع سيدتى

التفتت اليه في غضب واضح وقالت:

- أى نوع تتصد؟

- تلك الفتيات اللواتى يخلفن وعودهن

- كيف تتجراً وتتحدث معى بهذه الطريقة

- تعلمين أنى لا أقصد الإساءة إليك.. ولكنى أذكرك بوعدك

- أى وعد هذا؟!

حذق كوشان في عينها قليلا قبل أن يهمس قائلاً:

- أنت مدينة لى بشكر على إنقاذى لك وقد أخبرتك أنى لا أحب الشكر

بالكلمات وإنما دعوتى لك على التنزه سويا سيفى بالفرص

- دعنى أفهم منك شيئاً.. لماذا اخترت تلك المكافاة رغم انه كان

باستطاعتك أن تطلب أى شيء آخر.

-مثل ماذا؟

-كالمال على سبيل المثال

-أستطيع أن أحصل عليه بكل بساطة إذا ما ضاعفت وقت عملي أو ربما
يبتسم الحظ لى وأصير ثريا في يوم من الأيام فما حاجتى لطلب المال
منك اذن.

أخذت فيورينا ترمقه بنظرات حائرة ثم قالت:

-فما الذي يدعوك لأن تتجراً وتطلب مرافقتى؟!!

ابتسم لها كوشان وقال:

-ولكنى لا أرى جراًة في طلب مرافقتك.. أحببت ذلك فقلته لك.. ثم أن
الحياة قصيرة وقد تعلمت أن الطريق المستقيم هو أقصر الطرق لقطع
المسافات.

-وماذا ستفعل لو أن جبلا يعترض طريقك المستقيم هذا.

-سألتف من حوله.

-لم يعد طريقا مستقيما اذن!

-الطريق المستقيم هو الطريق الذي أصل به إلى ما أريد بسهولة وفى وقت
قصير

-أنا لا أقتنع بفلسفتك هذه!

-فى الحقيقة أنا الآخر لا أقتنع بها

-عجبا فلماذا تقولها؟؟

-أحببت أن يطول جدالى معك أكبر وقت ممكن لأستمع بالحديث إليك

-أتعلم أنك غريب حقا!

-أعلم هذا وأشعر به الان.. ولا أرى له مبررا مقنعا سوى أن وقوفك أمامى هكذا يفقدنى عقلى.. أنا لا أقصد مغازلتك فهذا الأمر يثير اشمئزازي أكثر من أي شيء آخر ولكن دعيني أصدقك القول.. هناك ثمة شيء لا أدرى كنهه يجعلنى شغوفاً بمحادثتك والتقرب منك

-التقرب منى.. كيف تتجرأ و..

-أطالبك بتحقيق وعدك لا أكثر وأعدك أنني لن أطلبك بأكثر من هذا.. فلست شغوفاً بشيء آخر

أخذت فيورينا تفكر في أمره ثم قررت أن ترفض طلبه وأن تعود للقلعة

-يا هذا.. أشكرك على كل شيء فعلته من أجلى ولن أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك.. أعتذر إليك

ثم همت بالإنصراف من أمامه.. فتمتم كوشان بكلمات مسموعة:

-فيورينا.. دعيني أنال شرف مرافقتك لمرة واحدة.. أقصد " سمو الأميرة" .. أعتذر إليك عن سهوى

-أنا لا أدرى سبب إصرارك!

- وأنا لا أرى سببا لأن ترديني خائبا على الرغم من بساطة ما أطلب

- ولكن كيف سأسير معك بعد أن قمت بتلطيف ملابسى أيها الاحمق!؟

ضحك كوشان عاليا ثم قال:

- يبدو أنتى سأنال مكافأتى أخيرا

نظرت إليه فيورينا طويلا ثم قالت:

- أتعلم يا كوشان.. لا أخفى عليك.. اصرارك هذا يروق لى.. ولكن يبدو أنك

من هذا النوع الذي لا يعرف أين يضع قدميه

- الحياة مقامرة.. إن لم تخاطر فأنت على خطر

- صحيح.. لكن هذا لا ينطبق على مشاعر الإنسان وعواطفه.. لأنك تستطيع

أن تسترجع كل شيء في هذه الحياة إلا روحك!

- وأنا على استعداد تام أن أهب روحى من أحب راضيا.. فما معنى الحياة

إذا لم يكن بجوارك من تحب

ابتسمت له فيورينا ثم قالت:

- كم أنت عنيد أيها الفتى.. أتمنى لك حظا طيبا

قالتها فيورينا ثم استدارت عائدة للقلعة.. أحس كوشان وقتها بالعجز فلم

يقدر على مناداتها.. بعد خطوات قليلة التفتت إليه فيورينا وقالت:

- ربما يحالفك الحظ مرة أخرى أيها المغامر العنيد

تهلل وجه كوشان وبرقت عيناه ثم قال:

- لعل ذلك يكون قريبا

هزت فيورينا كتفها الأيسر وهي تبتمس ثم انطلقت بخطى ثابتة نحو القلعة.
فى تلك اللحظات كان هناك من يرمقهما من بعيد.. إنه سباستيان الذي بدا
متضايقا من هذا العجى الذي تجاوز حده.. ساورته أفكار مقلقة سرعان
ما نبذا جانبا لظنه أن الأميرة أذى من أن تترك المجال ليقتمه عجى
لا وزن له.

على مأدبة العشاء جلست فيورينا بجوار أبيها الذي دعا سباستيان وحده
لمرافقتها، لاحظ سباستيان شرود فيورينا وأنها لا تأكل طعامها وإنما
تعبث به وتحركه دون أن ترفعه إلى فمها.. شعر لوهلة أن هذا ربما يكون
سببه هذا المتطفل كوشان، فأخفض رأسه إلى الأسفل وانهمك في تناول
طعامه.

لاحظ ماريان أيضا هذا الصمت المتبادل فأسرع في تناول طعامه وعزم
على النهوض ليترك لهما المجال لينعما بحديث لا يعكر صفوه حضوره
بينهما.

بعد أن قام ماريان واعتذر منهما رفع سباستيان رأسه عاليا ليرمق حبيبته
فى حزن وألم.. ثم أخفض رأسه مرة ثانية فأحست فيورينا بذلك فنظرت
إليه لتجد دمة تتحدر على خديه ثم تسقط على المائدة..

-سباستيان.. أتبكى؟

مسح سباستيان عينيه سريعا ثم قال:

-لا.. لست أبكى.. أعتقد أن هواء اليوم أصاب عيناى بشىء فصارتا

تدمعان.. سيزول ذلك قريبا

شعرت فيورينا بأنه يخفى شيئا ما لكنها لا تعلم كنهه.. فرمقته في استغراب ثم عادت تعبت بطعامها مرة أخرى.

كان سباستيان يفكر في طريقة ليفاتها فيما شاهده اليوم لكنه يرى أن الأمر لا يستحق حتى يجعلها تشاركه وساوسه وظنونه.. فليس لها أي ذنب في هذا.. لكن الألم يعتصر قلبه.. لم يكن يعلم أن الأمر سيصل به إلى هذا الحد.. ألتك الدرجة عكر صفوه هذا العجری وهو الأمير الذي تتمناه أي فتاة.. شعر بحماقته وتراجع عن مفاتحة فيورينا ثم قرر أن يفتح معها حديثا لطيفا إلا أنها فاجتته باستئذ انها لتذهب إلى غرفتها لشعورها بالإرهاق من هذا اليوم الطويل، ابتسم لها ثم ودعها وعاد إلى غرفته حائرا متوجعا!

حين أغلقت فيورينا على نفسها باب الغرفة بدت مشوشة غارقة في أفكار لا حصر لها.. فقد أحست أن عليها التوصل إلى قرار بشأن زواجها من سباستيان قبل انتهاء عطلته ومغادرته عائدا إلى آراد.. لا تعلم سببا لحيرتها تلك.. لا تجدد مبررا لتوقفها في الأمر وتأخرها عن اتخاذ القرار المناسب الذي تشعر أنه ليس إلا الموافقة على هذا الفتى الأنيق الذي يعاملها بلطف لا مثيل له.. تستغرب نفسها لماذا لا تتخذ هذا القرار على الفور.. لماذا تؤجل البت فيه إلى الآن.. لا تعلم!

أغمضت عينيهما ثم استسلمت لتغط في نوم عميق.

في تلك اللحظات كان سباستيان يتقلب على فراشه وكأنه ينام على الجمر.. بلغ به الغضب ذروته وتملكته أعتى مشاعر الكره والبغض لهذا

الفتى المتمجرف النائم في الطاحونة الآن.. فجأة..

قام واقفا ثم تحسس سيفه بجواره وقد احمرت عيناه!

استيقظت القلعة في الصباح على نباح مصرع رجل كان ينام في الطاحونة.. قتله أحدهم ليلا.. إن الذين شاهدوا جثة هذا الرجل يروون مشهدا مروعا! لم يكن مقتله عاديا وإنما هو انتقام مخيف.. فقد كانت أعضائه كلها منفصلة عن بعضها البعض.. أحشائه جميعا متناثرة بجوار الجثة.. إلا أن هنالك شيء غريب.. لقد اختفى قلبه!

انتشر خبر مقتل كوشان كالنار في الهشيم وأخذ المزارعون يتناقلون المشهد المروع لمقتله والتمثيل بجثته.. وصل الخبر إلى ماريان فتلقاه بأسى شديد بينما كان سباستيان غير مبالي بالأمر.. إلا أن فيورينا حين علمت بمقتله من صديقتها ايفيليان أصابتها الصدمة وقالت: "أوه.. هذا الفتى الطامح لم يكن يحلم أن تصير نهايته هكذا!"

ظن ماريان أن غابة هويا باكيو وراء هذا الأمر انتقاما من كوشان الذي فضح أمرهم وأفسد مخططهم، فأمر بالبحث عن الجاسوس الذي ينقل أخبار القلعة إليهم والذي من المؤكد أنه من يقف وراء مقتل كوشان.

تلقى كبير الحرس أوامر الملك ماريان ثم بدأ على الفور يفتش عن خيط لمرتكب الجريمة.. اكتشف أحد رجاله من الحرس الاختفاء المفاجيء لصانع النبيذ والذي يدعى (لاركو) واكتشف أيضا اختفاء حصانه الأسود.. فأسرع إلى قائده يخبره بهذا الأمر.

كان هذا هو بداية الخيط الذي التقطه كبير الحرس، وبعد قليل من التحقيقات تبين أن لاركو هذا اشتهر بفضوله الشديد وحبه لسماع الأخبار والبحث عنها.. كما أنه لم يكن ودودا وأعرب أكثر من مرة عن كرهه لعمله في القلعة!

انطلق كبير الحرس إلى الملك ماريان يخبره بهذه التفاصيل الجديدة فلم يكن أمام ماريان سوى أن يتيقن من أن لاركو هذا هو جاسوس هويا باكيو وإلا فما الذي يدفعه للقيام بتلك الفعلة الشنيعة!.. وأنه بعد أن فعل فعلته تلك لاذ بالفرار على حصانه الأسود.

أمر الملك بدفن الجثة وأعضائها المنفصلة ثم أمر أيضا بتشديد الحراسة على مداخل ومخارج القلعة وما حولها من الحقول خشية أن يقوم غجر هويا باكيو بتنفيذ مخطط آخر يستهدف هذه المرة شيئا أكثر قيمة.. فمن الواضح أنهم لن يهدأوا حتى يشقى غليلهم!

في تلك الليلة الباردة كانت ثمة عاصفة جليدية تزحف على الغابة القريبة من القلعة والتي استسلمت أوراقها لتتساقط صريعة على الأرض تدهسها الريح وتلقى بها يمنا ويسرى كقط يعيث بفرسته.. كان (بترو) يحاول إشعال النار في كومة الحطب أمامه بينما زميله الآخر (فلافيوس) يتأكد من أن بندقيته جاهزة للإنطلاق في أي وقت.

قال فلافيوس:

-منذ متى ونحن نحرس تلك الغابة اللعينة في هذا الشتاء القارس يا بترو!

أجابه بترو وهو يحك كفيه ببعضهما البعض ليحصل على مزيد من الدفء:

-إنها أوامر الملك ماريان.. فهو يخشى من هجوم مباغت على القلعة

-و من يجرؤ على مهاجمة القلعة؟!

-لا أحد من البشر يجرؤ على هذا!

نظر إليه فلافيوس مستغربا ثم قال:

-ماذا تقصد يا بترو؟

ضم بترو كفيه ووضعهما على فمه ثم بدأ ينفخ فيهما وهو يقول:

-ألم تسمع عن أشباح هويا باكيو؟!

فى تلك اللحظة علا صوت الريح فى الغابة وكأنه فحيح يصدر من الجحيم فارتعد فلافيوس وهو ينظر إلى بترو وبدأت أقدامه ترتجف.. بأنفاس متقطعة قال:

-بلى سمعت عنها ولكنى لا أصدق هذا الأمر، فتلك الأشباح لا وجود لها على الإطلاق.. أليس كذلك يا بترو!

بدا أن فلافيوس لا يملك الإقتناع التام بما يقول فأراد من بترو أن يصدق على كلامه، نظر بترو طويلا إليه متأملا وجهه الشاحب الذي أضاءته النيران، ثم غمغم قائلا:

-بلى يا رفيقى.. فأنا الآخر لا أعتقد أنهم أشباحا، فما هم إلا قتلة من الفجر..

ثم أردف قائلاً:

-قتلة متوحشون!!

قالها ثم أرهف بأذنيه فقد أحس بأنه سمع صوتا ما يأتي من بعيد.. نظر إليه فلافيوس وقد تملكه الرعب وبدأت أسنانه تصطك ثم هم أن يقول شيئاً إلا أن بترو أشار إليه أن يخرس!

ساد الصمت في المكان حتى حُيِّل إليهم أن الريح سكنت هي الأخرى..

ابتسم بترو وقال:

-لا شيء.. يبدو أن الذي سمعته ما هو إلا صفير الرياح أو أصوات الأوراق المتساقطة من أشجار الغابة.

التقط فلافيوس أنفاسه وشرع يضم ملابسه عليه أكثر وأكثر ثم قبض بكلتا يديه على بندقيته المحشوة.. بينما أخذ بترو يقلب يديه على النار.

-هل علمت بما حدث لهذا الفجرى التعس؟

نظر بترو إلى فلافيوس ثم أجابه قائلاً:

-هل تقصد كوشان!.. لقد قتله لاركو ثم فر هاربا، اوه.. كانت نهايته أليمة..

ولكن ما الذي يذكرك به الآن؟

ابتلع فلافيوس ريقه ثم قال:

-حين كنت طفلا أخبرتني أمي أن الذين لا يموتون بسلام لا يرقدون في

مقابرهم بسلام!

- ماذا تقصد؟

- لقد تمزقت جثته وانفصلت أطرافه عنها في وحشية مقيةة..

ثم صمت قليلا قبل أن يردف:

- بترو.. إننى أخشى أن يعود لينتقم!

- يعود!.. كيف يعود؟ ومن هؤلاء الذين سينتقم منهم؟!

ابتلع فلافيوس ريقه مرة ثانية ثم قال:

- كانت أُمى تقول أن أشباحهم الغاضبة تخرج من مرقدها عمياء.. إنها تنتقم من كل شيء وأى شيء!

- نعم.. وأظن أيضاً أنها أخبرتك بأن تنام مبكراً لئلا تراك تلك الأشباح وتنتقم منك أنت الآخر!

- هل تهزأ بى!!.. أخبرك ما قالته أُمى ولا أطلبك بتصديق ذلك

- لا تنزعج يا فلافيوس فأنا أمزح معك

سقطت البندقية من يدي فلافيوس وأحدثت صوتا على الأرض فارتفع وجهه بترو لينظر إليه ليجد وجهه شاحبا كالموتى..

- ما بك يا فلافيوس؟!

التقط فلافيوس نفسا غلبت عليه الحشجة ثم نطق بصعوبة بالغة:

- بترو.. أرى شبحا يمتطى حصانا أسود!

-هل تمزح يا فلافيوس.. أرى أن الخوف استبد بك فصرت تهزى وتردد الكثير من الخرافات هذه الليلة.

-أقسم أنى أرى وجه كوشان الآن.

حاول بترو أن يسخر من صديقه إلا أن وجه فلافيوس الممتنع لم يترك له مجالاً لذلك فحاول تهدئته وقال:

-لقد قُتِلَ كوشان يا صديقى هون عليك!!

برقت عينا فلافيوس وارتسمت على وجهه أعتى علامات الفزع وهو يقول:

-إنه خلفك يا بترو.. خلفك مباشرة!

لم يدر بترو سر تلك الرجفة التي أصابته إثر سماعه عبارة فلافيوس الأخيرة.. قرر أن يستدير ليرى ما شخص إليه بصر صديقه.. وعلى مسافة تقرب من عشرين متراً استطاع أن يراه!

حصان أسود يمتطيه فارس يغطى وجهه ويشهر سيفاً في الهواء.. كان يقف ساكناً ولا يتحرك.. تراجع بترو للخلف بجوار فلافيوس وأمسك سيفه وقال بصوت متقطع:

-لا تخف يا فلافيوس فهذا لاركو الذي قتل كوشان وفر هارباً.. سنمزق جثته سوياً لو لم يستسلم لنا

ارتجف فلافيوس أكثر وهو يقول:

-ليس لاركويا بترو.. أقسم لك أنه كوشان.. شبك كوشان!

-وكيف عرفت هذا يا فلافيوس وهو يغطى وجهه؟!

-فعلها قبل أن تلتفت أنت.. كان يكشف وجهه.. وجه كوشان أنا أعرفه.. هذا شبح كوشان يا بترو.. لقد عاد لينتقم!

فى تلك اللحظة بدأ الحصان الأسود يتحرك بطيئاً ناحيتهما.. فتراجع الإثنان إلى الخلف وبأيد مرتعشة مد فلافيوس يده إلى بندقيته وحاول تصويبها إلى هذا القادم نحوهما وأطلق رصاصته فطاشت بعيداً وأخطأت هدفها تماماً.. ارتفع الحصان فى الهواء وأخذ يصهل بشدة فحاول فلافيوس أن يجهز بندقيته لرصاصة أخرى إلا أنه أوقعها وهو يتراجع إلى الوراء فانزلقت بندقيته وصارت بعيدة عن يده.. اتسعت عيناه واستدار ثم طلب من بترو أن يلوذ بالفرار.. حاول بترو أن يثنيه عن الهرب إلا أن فلافيوس كان قد اختفى بين الأشجار.. نظر بترو إلى الشيء الذي يقترب منه وهو يحمل سيفاً صارماً يلمع فى الهواء.. قبض بترو على سيفه هو الآخر وعبأ الهواء فى صدره قبل أن يطلق صيحة غضب عالية وهو يهجم على هذا الشيء الذي يمتطى الحصان الأسود!

سمع فلافيوس الصيحة العالية فأدرك أنها صيحة بترو.. أحس بالندم الشديد لترك صديقه خلفه فى المواجهة وحده ولكن فى هذه اللحظات تلك الأفكار لن تجدى نفعاً وعليه أن يهرب من هذا المكان بكل ما أوتى من قوة.. صار يركض فى الغابة يحاول الوصول إلى أطرافها.. كان يعرف كل بقعة فى الغابة ويدرسها جيداً إلا أن تلك الليلة كانت العاصفة الثلجية تخفى كل شيء بالإضافة إلى الفزع البالغ الذي يعتريه وجعله يتخبط فى مسالك الغابة، أحس بأنه يوشك على بلوغ أطراف الغابة القريبة من القلعة.. صار

يركض لاهثا ولا ينظر خلفه.. تصل إلى مسامعه أصوات الأوراق المتساقطة
وصفير الريح المدوى فيزداد الفرع في داخله.. أحس بأنه بات قريبا من
النجاة.. لكنه يعلم أن أكثر أنواع الخطر ضراوة هو ما يأتيك وأنت تظن
السلامة.. سقط حذائه من قدمه فتوقف بصورة لا إرادية ليلتقطه مسرعا
فإذا به يلمح خيالا أسود من بعيد..

ترك حذائه وصار يركض أكثر من السابق وهو يوشك على الخروج من
الغابة.. أحس بحوافر الحصان الأسود وهى تدق على الجليد من خلفه..
يشعر كل ثانية أن صوتها يقترب منه أكثر وأكثر.. اصطدمت قدمه بغصن
يعترض طريقه وانجرحت جرحا بالغا فصرخ عاليا وهو يسقط على الأرض!

كانت فيورينا قلقة تتظر من خلال نافذة غرفتها إلى تلك الحشود الغفيرة
من الجنود التي تذهب وتجيء حول القلعة.. حانت منها التفاتة نحو
الطاحونة فرمقتها قليلا ثم أشاحت بوجهها عنها وأغلقت النافذة.. أخذت
تتحرك في غرفتها ولا تدر ماذا تفعل.. أخذت تتذكر ما مر من أحداث
في الساعات الماضية.. هذا الفتى الذي جاءت نهايته مأساوية.. إنها لا
تصدق أن يحدث له ذلك.. إنه لم يزعج أحدا حتى ينتقم منه بتلك الطريقة
البشعة.. تتذكر ابتساماته وعباراته الساخرة..

-أنا لا أقتنع بفلسفتك هذه!

-فى الحقيقة أنا الآخر لا أقتنع بها

-عجبا فلماذا تقولها؟؟

- أحببت أن يطول جدالى معك أكبر وقت ممكن لأستمع بالحديث إليك
تذكرت كلماته تلك فلم تتمالك أدمعها التي انحدرت على خديها وصار
هاتف يتردد بداخلها.. ماذا لو أننى لبيت طلبه لأصنع له ما يحب... ماذا
لو لم أكن قاسية عنيدة.. إذن لتحقق له ما يصبو إليه قبل أن يرحل!!
انتهت فجأة على صوت طرقات باب غرفتها فمسحت خديها سريعا ونادت:

-من بالباب؟

انتظرت قليلا لتسمع جوابا فلم يجبها أحد.. أرهفت بسمعتها لتلتقى أي
طرقات أخرى على الباب إلا أن الصمت كان سيد الموقف.. شعرت فيورينا
أنه ربما حُيل إليها أنها سمعت صوتا من أسفل القلعة وظننته طرقا على
الباب.. لم تكثر بالأمر وأخذت تراقب الشموع التي تتراقص أمامها فوق
اثنين من الشمعدان الذهبى موضوعين على منضدة خشبية عتيقة.

بعد لحظات تئاءبت وبدأ النوم يداعب عينيها.. اقتربت من الشمعدان الذي
يحمل فوقه ثلاثة من الشموع ونفخت في شموعه فإنطفأت ولكنها تركت
الشمعدان الآخر الذي يحمل شمعة واحدة مضيئا لتستأنس بضوءه قبل أن
تتجه إلى فراشها فقد كانت تريد قليلا من الراحة بعد كل ما مرت به من
أوقات عصبية.. تمددت على فراشها وكادت أن تغمض عينيها إلا أنها -
وللمرة الثانية - سمعت طرقا على الباب!

-من بالباب؟!

لا أحد يجب أيضا!!

استغربت فيورينا من هذا الأمر فنهضت من فراشها في تناقل وتوجهت نحو

الشمعدان لتحمله في يدها قبل أن تفتح الباب..

عندما فتحت الباب لم تر شيئاً.. أخرجت رأسها ببطء وحذر لتتظر يمنة ويسرى.. لا شيء أيضاً!!

أصابها الإندهاش فصاحت:

-من هنا؟!

ترددت كلماتها في الطرقة الحجرية الطويلة فأصابها هذا الصدى برجفة خفيفة لم تعتمد عليها من قبل.. ظنت أنها ربما من أثر ما تمر به تلك الأيام! كانت الطرقة مظلمة على غير العادة وانطفأت المشاعل المعلقة على جدرانها بغير سبب معلوم.. أخذت الشمعدان في يدها وقررت أن تذهب إلى آخر الطرقة لترى من يكون هذا المتطفل الذي تجرأ وطرق بابها في هذا الوقت المتأخر من الليل.

سارت حافية القدمين في الطرقة ولهيب الشمعة يتراقص في يدها فقد أحست بأن هناك نافذة ما لم تغلق جيداً تسلل من خلالها هذا الهواء البارد ليراقص شعرها الكستنائي الناعم.. كانت في منتصف الطرقة حين سمعت من خلفها صريراً حاداً أعقبه صوت ارتطام عنيف!

استدارت على عجل حتى كادت الشمعة أن تسقط من يدها لولا أنها تماسكت في اللحظة الأخيرة.. اكتشفت ماذا حدث.. لقد انغلق باب غرفتها فجأة دون سبب واضح.. فهل انفتحت نافذته من تلقاء نفسها!

كادت أن ترجع إلى غرفتها لولا أنها سمعت همسا يأتي من آخر الطرقة..

تراقص لهيب الشمعة أكثر وتطاير شعرها بفعل الهواء المندفع بشدة..
تمت بصوت منخفض وكأنها لا تريد له أن يخرج:

-من هناك؟!

في تلك اللحظة اتخذت فيورينا قرارها بالصراخ والاستغاثة فقد أحست
بأن أحدهم يقف في آخر الطرقة.. فتحت فمها عن آخره واطلقت صرخة
عالية قبل أن يصل إليها هذا الواقف في آخر الطرقة ليضع يده على فمها
ويمنعها من ذلك.

-فيورينا لا تخافى.. اهدأى

أسقطت فيورينا الشمعدان من يدها وهي تحاول التلمص منه وما ان
سمعت صوته واستجمعت قليلا من هدوئها أدركت أن هذا الواقف لم يكن
إلا سباستيان!!

-كيف تفعل ذلك.. لقد كدت أن تتسبب في موتى.. لن أغفر لك ما فعلته
أبدا

كان سباستيان يقبض على يديها محاولا تهدئتها وقال:

-فيورينا لقد أردت الإطمئنان عليك بعد أن علمت بما يحدث في القلعة
وحين طرقت الباب أحسست بأنك ربما تكونين نائمة فتراجعت ولكن حين
أطفأتى الشموع أصابنى القلق فطرقت الباب مرة أخرى لأطمئن بأنك
لاتزالين بخير ثم أسرعت بالإختباء كي لا أصيبك بالدهشة والاستغراب
من قدومى في تلك الساعة المتأخرة ولكن فضولك ساقك لكى تعرفى

من الطارق.. لقد فتحت نافذة الطريقة وأردت التسلل من خلالها لكنني اكتشفت أنها لا تطل على شيء أفضز إليه وإنما تطل على هوة سحيقة!.. اعتذر إليك يا فيورينا لم أستطع أن أكمل منامى دون أن أطمئن عليك.. فأنا فارسك الأبدى وسأظل ساهرا لحمايتك طوال العمر.

استسلمت فيورينا لأحضانه الآمنة وكأنها كانت تنتظر أن يضمها أحدهم لتلقى بين ذراعيه ما في جعبتها من دموع وآلام!

في تلك اللحظات استيقظ ماريان على صيحات كبير الحرس فارتدى زيه العسكري على عجل وهبط إلى الأسفل حيث كان كبير الحرس واقفا بانتظاره..

- ما بك؟

- مولاي عليك أن ترى هذا بنفسك

اندهش ماريان ولكنه تبع كبير الحرس إلى حيث يأخذه.. اقتربا من بوابة القلعة حيث تجمع بعض الجنود حول أحدهم يحاولون غوثه..

- أين كان يحرس هذا الجندي؟

- في الغابة يا مولاي.. لقد فقد زميله الآخر

بأنفاس متلاحقة صرخ فلافيوس:

- لقد فقدت صديقي بترو في الغابة قتله شبح كوشان.. أصيبت قدماي وهو يلاحقني لكنني استطعت أن أخرج من الغابة قبل أن يصل إلي.. إنه لم

يلاحقنى حين ولجت في داخل الحقول.. كان قد اختفى تماما.. أوه بترو

أين أنت يا بترو؟

صاح فيه ماريان:

-يا هذا اهدأ قليلا وارو لنا ما حدث

التقط فلافبوس أنفاسه وتماسك قليلا ثم بدأ يروى ما لديه..

أخذ الحملاوي يلقي الخشب الجاف في كومة النار لتتوهج النيران أكثر

وأكثر، أخشى أن تتضامن شقتنا هذه مع تلك الكومة ليصنعان كومة أخرى

أضخم وأشرس!

وقتها كنت أفكر مليا..

في الحقيقة لم أكن أعلم السبب الذي يجعل الحملاوي شغوفًا بأن يقضى

ليلته هذه في سرد تلك القصة على مسامعى.. كان بإمكانه قضاء الوقت في

مناقشات جادة أو طريفة حسبما يتفق له وبذلك الطريقة ستقضى الليلة

سريعا كما أراد.

دع عنك كوني لست مغرما بهذا النوع من الحكايات التي تروى بأساة

فتاة ترغب في الزواج من شخص ما ثم تتعرض للألام ومعاناة لا تغريني

بالتعاطف معها البتة!

هل لهذه القصة علاقة بما يحدث لنا الآن في هذه الليلة البائسة؟!.. هل هي

قصة حقيقية؟! ثم ما شأنى بهذا كله.. وما السبب الذي يجعل الحملاوي

متحمسا لحكايته تلك .. أليس غريبا أن يتحمس لسرد قصة في الوقت الذي يعانى فيه من لعنة قاتلة!!

كنت أتأمل السنة اللهب أمامى وكل تلك الأفكار تدور برأسى.. على كل حال لم يتبق إلا القليل على شروق الشمس وعلى أن أرتدى لباس الصبر لتجرى الأمور كما ينبغى لها.

انتزعتنى الحملأوي من أفكارى حين أخذ يواصل قصته..

أسفل القلعة وقريبا من بابها الحديدى الكبير كان ماريان واقفا بجوار كبير الحرس يتناقشان سويا فيما سمعاه من فلافيوس.

- هذا المخبول يزعم أنه رأى شبح كوشان فهل تصدق شيئا كهذا!؟

قالها ماريان وهو يرمق فلافيوس الذي ارتمى على الأرض وقد أصابه الإعياء الشديد..

- بالطبع لا يا مولأى.. ولكن لا أعلم سبب اصراره الشديد على هذا.. إنه أقسم بكل شيء يقسم الناس عليه على أنه رأى وجه كوشان

- رأيت ذلك كما أن طريفته في الحديث لا تدل على أن الجنون تملكه ولكن ألا ترى أن تلك الحادثة البشعة ربما أثرت عليه فأصأبته بشيء من الهلوسة جعلته يرى وجه كوشان في الغابة؟

- أى حادثة يا مولأى؟

-مقتل كوشان

-هذا وارد جدا

-إذن فماذا برأيك عساه يكون هذا الفارس الذي رأه في الغابة؟

-لاركويا مولاي.. من المؤكد أنه هو

-ولماذا يملك لاركويا في الغابة ولا يواصل هروبه؟

-لعله أراد أن يصنع جريمة أخرى قبل المغادرة

-أو ربما ينتظر رفاقه

-ماذا تقصد يا مولاي؟

-أقصد أن تتجهز حامية من مائة جندي الآن.. فسوف نهجم على الغابة

ونسعى لتأمين كل شيء من حولنا.. وهذا الفتى خذوه واعطوه شيئاً دافئاً

من طعام وشراب

-حسنا يا مولاي!

ضاقت عينا ماريان وهو يقول:

-الليلة سننقضى على كل ما يهدد أمن القلعة حتى وإن كانت الشياطين

نفسها!

تجهزت الحامية بأسلحتها وعتادها في التواللحظة وتأهب الجنود لخوض

معركتهم في الغابة.. كانت الشائعات تسرى بين عدد منهم عن وجود شبح

في الغابة يمتطى حصانا أسودا.. لم يصدق الكثيرون ذلك بينما لم يتردد

البعض في ابداء فزعه من الشائعة في حد ذاتها!

كانت المشاعر التي يحملها الجنود ترتفع في تلك الليلة الباردة لتتوهج بين الحقول والدروب الموصلة للغابة.. اطمئن ماريان إلى حماية مداخل القلعة ومخارجها وما حولها قبل أن ينطلق في مقدمة حاميته.. كان حماس ماريان وبأسه يلهبان حماسة جنوده على الدوام فقد صاح فيهم أن هذه الليلة هي ليلة الثأر مما حدث من قبل لهم في غابة هوبا باكيو... الليلة سيحرقون كل شيء على رؤوس أعدائهم.. صاح الجنود من خلفه فارتفعت صيحاتهم تشق عنان السماء.. حتى قفز الرعب إلى قلوب السباع والذئاب في البرية من حولهم فصارت الأعين تترقبهم من بعيد على وجل!

اقتربت الحامية من الغابة فأصدر ماريان أوامره بتقسيم الحامية ثلاثة أقسام.. قسم سيقتمح الغابة من جانبيها الأيمن والأيسر والقسم الثالث بقيادة ماريان سيقتمح الغابة من الأمام مباشرة.. وأمر الأقسام الثلاثة أن تظل متقاربة فيما بينها حتى تلتحم جميعا عند الإشتباك.

بدأت الغابة قريبة جدا وصار على الأقسام الثلاثة أن تتفصل كما أمر ماريان ،

استعد الجنود لتنفيذ هذا الأمر إلا أن ماريان همس إليهم ألا يحدثوا جلبة عندما أحس بأن شيئا يتحرك من خلف أشجار الغابة.. وقف الجميع في حالة من الترقب والقلق!

فجأة..

رأوا طيفا يخرج من خلف الأشجار بدأت ملامحه بصعوبة بالغة.. حصان

أسود يصهل بشدة ويمتطيه فارس يحمل بين يديه شيئاً يشبه الجثة!

تراجع الجنود إلى الوراء قليلاً بعد أن دب الفرع في قلوبهم.. وأما ماريان فقد وقف يتأمل من يكون هذا الطيف المريب.. صرخ في جنوده ليثبت أقدامهم ويقوى عزيمتهم فأطلق الجنود صيحات عالية سرعان ما ملأت قلوبهم قوة وثباتاً وعزموا على الهجوم على هذا الفارس الذي يحمل جسد بترولو! أنهم شاهدوا أمراً غريباً.. لقد ترجل الفارس تاركاً جسد بترو على حصانه وأقبل نحوهم!

كان يسير بخطا ثابتة يبدو طيفه ماثلاً أمامهم من خلف العاصفة الثلجية التي جعلت من الرؤية أمراً بالغ الصعوبة ولكن ملامحه بدأت تتضح شيئاً فشيئاً..

- هل أنتم رجال الملك ماريان؟

بدا لماريان أنه سمع هذا الصوت من قبل لكنه لم يزل مشوشاً عاجزاً عن تمييزه

- أجيونى هل أنتم جنود الملك ماريان؟!

نطق ماريان بصوت قوى:

- نعم وأنا الملك ماريان.. فمن أنت؟

- حمداً لله.. لقد أيقنت بهلاكى قبل هذه اللحظة

اقترب الفارس من ماريان فتوجس جنوده خيفة وشرعوا في تصويب أسلحتهم نحو هذا المجهول إلا أن ماريان أشار إليهم بالتراجع.. صار

الفارس على بعد خطوات من ماريان فألقى سلاحه على الأرض ورفع غطاء رأسه فظهر وجهه!

تعالت صرخات الجنود ممتزجة بالدهشة والإستغراب مما رأوه.. لقد كان الفارس المجهول هو كوشان!

تراجع بعض الجنود إلى الوراء ظنا منهم أن هذا الفارس ما هو إلا شبح كوشان الذي تمزقت أوصاله من قبل.. إلا أن ماريان اقترب منه وأخذ يحدق في عينيه!

لم يكن شبعا فالأشباح لا تمتلك هذا البريق الهادىء.. كان يبدو عليه التعب وكأنه قادم من سفر.. صاح فيه ماريان:

- أخبرنى ماذا حدث.. هيا.. قل لى أين كنت؟

نظر إليه كوشان وقد غلبته الحيرة ثم قال:

- أخبرونى أنتم لم كل هذا.. لقد تقاجأت منذ قليل باتيين من جنودك يهجمان على وأنا قادم على حصانى من طريق الغابة أحدهما لاذ بالفرار والآخر صوب سيفه نحوى فلم أجد بُدًا من ضربه بقبضة سيفى على مؤخرة رأسه فسقط فاقد الوعى وهو الآن ممدد على ظهر حصانى هذا!

تعجب ماريان من كلامه وسأله:

- وأين كنت؟!

- كنت في المدينة أشتري بعض الأغراض الخاصة بى كما أنى أحضرت بعض الأدوات اللازمة لإصلاح أعطاب أصابت الطاحونة مؤخرًا.. غادرت

البارحة بعد غروب الشمس بقليل وقد طلبت من لاركو أن يبيت على فراشى ليحرس الطاحونة في غيابى واستعرت منه حصانه الأسود هذا.. لا أظن ذاك اللعين أفسد شيئاً يجعلكم تخرجون إلى الغابة غاضبين في هذا الوقت المتأخر!!

همهم جميع الجنود وتبادلوا عبارات الدهشة التي وصلت إلى مسامع كوشان فاستعرب كثيراً من ذلك واستفهمهم عن الأمر فقال ماريان:

-لقد قُتل لاركو.. قتل شر قتلة!

-ماذا!!

-قتله أحدهم وهو في فراشك البارحة.. لقد مزق أطرافه وانتزع قلبه!

تأوه كوشان واعتراه الأسى والدهشة مما سمع..

-وماذا فعل لاركو حتى يلاقى مصيراً كهذا!!

-لا نعلم يا كوشان.. حقا لا نعلم

فكر كوشان قليلا وضافت عيناه ثم صاح:

-لعل القاتل كان يقصدنى أنا!

ارتفع حاجب ماريان وبرقت عيناه وبدأ قلبه يدق في عنف.. الأمر صار في غاية الوضوح الآن.. هناك من قصد قتل كوشان وتوجه إليه ليلاً في الطاحونة وقام بقتله والتمثيل بجثته ثم انتزع قلبه.. لعله لم ينتبه إلى أنه ليس كوشان وإنما لاركو المسكين، ربما ظلمة الليل هي السبب.. ولو كان كل هذا صحيحاً فهذا يشير إلى أمر في منتهى الخطر.. إن القاتل الذي

استطاع أن يتجول حول القلعة في ساعة متأخرة وتوجه إلى الطاحونة هو شخص يمكث في القلعة وما حولها.. وفى الوقت الذي يخرج فيه ماريان بجنوده ليواجهوا الخطر في الخارج يمكث هذا الخطر الآن هناك.. عند القلعة!

-فيورينا.. أما تزالين خائفة؟

أومأت برأسها دلالة على أنها لم تعد كذلك ثم أبعدت نفسها قليلا عنه قبل أن تقول:

-والآن علي أن أعود إلى غرفتي.

رفع سباستيان يده نحو خصلات شعرها التي تدلت على خديها وهو يبتسم قائلاً:

-وهل أستطيع أن أترك فتاتي في هذا الظلام وحدها!

نظرت إليه فيورينا وهى لا تدرى بمقصده شيئاً فأكمل سباستيان:

-سندهب سويا إلى غرفتي لنحضر المصباح ونعود وسأنتظر هنا في هذه الطرفة بينما تتامين -أنت- في الداخل حتى يعود الملك وحاميته

-سباستيان.. ليس هنالك داع لكل هذا التعب.. سأدبر كل شيء بنفسى وستكون الأمور على ما يرام.. أعدك بهذا!

-حبيبتي.. متى ستعلمين أنتى أستعذب تعبى من أجلك.. لا أستطيع أن أتركك وحيدة في تلك الظروف!

رمقته فيورينا بشيء من العطف وقالت:

-لا تخش شيئاً فلا أحد يستطيع أن يتسلل إلى القلعة كما أننى إذا احتجت شيئاً سأنادى على ايفيليان فهى تبيت على مقربة من غرفتى تلك قالتها ثم رمقته بابتسامة هادئة وهى تهتم بتوديعه ثم التفتت لتعود إلى غرفتها إلا أنها فوجئت بيديه وهما يعتصران ذراعيها بعنف! استغربت من قبضته تلك وحاولت إزاحتها عن ذراعيها إلا أن قبضته كانت قوية حتى أن فيورينا بدأت تتألم من أظافره الحادة التي تكاد أن تتغرس في ذراعيها!

فى تلك اللحظة سمعا خطوات أقدام تركض على السلم الحجرى.

كانت ايفيليان أول من سمع صرخة فيورينا فنهضت على الفور تبحث عن مصباحها الزيتى وقامت بإشعاله ثم ركضت من غرفتها بالطابق الأرضى لتلحق بصديقتها في غرفتها بالطابق الأعلى لتجدها واقفة في الطرفة وقد أمسك سباستيان بذراعيها..

-ايفيليان.. صديقتى العزيزة

أفلتت فيورينا ذراعيها من قبضته التي ارتخت قليلا حين رأى ايفيليان ثم ركضت فيورينا نحو ايفيليان وارتمت بين يدي صديقتها التي كانت قلقة للغاية بعد أن سمعت صراخها.

نظر سباستيان نحو فيورينا ثم تمتم بكلمات يعتذر بها عما بدر منه حين أمسكها بعنف معللا ذلك بأنه لم يكن في وعيه إلا أن فيورينا لم تلتفت إليه وبادرت صديقتها بهذا السؤال على الفور:

-ايڤليان.. هل تتامين معى هذه الليلة؟!

-بالطبع يا أميرتى.. كنت سأعرض عليك هذا بلا شك.. لقد خفت عليك كثيرا..

ثم انحنى لتلتقط الشمعدان الساقط على الأرض.

التفتت فيورينا إلى سباستيان وقالت:

-ها هي ايڤليان ستتضى ليلتها معى.. ليس هناك داع للقلق الآن!

أوما إليها سباستيان بموافقته على ذلك بينما بدا متضايقا وهو يرمق ايڤليان بنظرة حارقة والتي تملكها الدهشة من نظرتة تلك بينما لم تلاحظ ذلك فيورينا على الإطلاق.

غادر سباستيان الطريقة حين أغلقت فيورينا وايڤليان الباب عليهما.. وثبا على فراشهما في خفة وسعادة فقد استعادت فيورينا بهجتها دفعة واحدة بعد ما كانت تمر به من اضطراب وقلق.. وأحست ايڤليان بهذا في عينيها فكانت سعادتها بالغة بذلك.

نظرت ايڤليان إلى عيني فيورينا تتأمل برائتها ثم قالت:

-صديقتى الرائعة.. أعتذر إليك عن كل ما جرى في الأيام الفائتة.. لم يكن ابتعادى عنك إهمالا وإنما انشغال باستقبال الأمير سباستيان ووفده كما أنتى أردت أن أترك لك المجال لاختبار مشاعرك تجاهه بلا تأثير منى ربما يعوقك عن اتخاذ قرارك الصحيح.

ثم أطلقت غمزة من عينيها وقالت:

-وأرى أن الأمور تسير نحو شيء مبهج أستطيع التنبؤ به من الآن.

ضحكت فيورينا حتى انفجرت أساريرها ولكنها لم تلبث إلا قليلا حتى
تراجعت ضحكتها هذه لتترك في موضعها ابتسامة هادئة سرعان ما
انسحبت هي الأخرى تاركة المجال لوجوم علا وجهها!

استغربت ايفليان من ذلك..

-ما بك يا فيورينا؟!

-لا أعلم حقا.. هذا الفتى سياستيان ليس به عيب واحد

-فما الذي يقلقك اذن؟

-هذا بالضبط ما يقلقني!

-أنا لا أفهم شيئا

-إذا كان سياستيان ليس به عيب واحد فلماذا أبدو مشوشة تجاهه إلى هذا
الحد!

-لعلك لم تنال الوقت الكافي لتعرفينه بعد.. ربما تحتاجين مزيدا من
الوقت.. لا يستطيع أحد أن يمنح قلبه وقتا محددًا ليعشق فيه إنسانا آخر..
فالحب لا يشتعل حين نريد له ذلك وإنما يتوهج في لحظة يختارها هو
بنفسه.. والظروف المناسبة هي ما تجعلنا نقتنص هذا التوهج في لحظته
لنصنع منه احتفالا سعيدا يدوم مدى الحياة.

ابتسمت فيورينا وأطلقت آهة من أعماقها وهي تقول:

- ما أجمل أن يكون لك صديق كلماته تشبه هذا الدفء الذي يسرى في عروقتك حين تلوذ إلى فراشك في ليلة باردة..

- فيورينا.. أتقولين شعرا؟

ضحكت فيورينا ثم همت بقول شيء قبل أن يسمع الإثنان طرقا على الباب!! نظرت فيورينا إلى ايفيليان وقد أصابها القلق قليلا من تلك الطرقات... فابتسمت لها ايفيليان ودعتها ألا تقلق، وقالت لها "ربما جاءت احدى الخادومات لتطمئن على وجودى هنا فقد قمت من نومى وغادرت فراشى فزعة وربما لاحظت إحداهن هذا الأمر".

تكومت فيورينا في فراشها وهى تراقب ايفيليان تخطو نحو الباب لتقوم بفتحه.. وقبل أن تفتح الباب صاحت بها فيورينا لتزيد من وهج المصباح الخافت.. نفذت ايفيليان رغبتها فتوهج المصباح وتراقص ضوءه في الغرفة.

امتدت يد ايفيليان نحو مقبض الباب الخشبى وعالجته حتى انفتح شيئا ما.. نظرت ايفيليان إلى الطرفة فوجدت طيفا يشبه شخصا في آخرها.. كان الطيف يبتعد فصاحت به ايفيليان:

- من أنت؟

توقف الطيف عن المسير ثم استدار فجأة.. سرت قشعريرة في جسد فيورينا التي تكومت في فراشها أكثر وأكثر وهى تراقب ايفيليان التي لم تزل واقفة عند الباب تنظر إلى هذا الطيف الذي أحست بأنه صار يقترب!

-أقول لك من أنت؟

قالتها بقوة هذه المرة.. صرخت فيورينا في صديقتها لتغلق الباب بالمزلاج فالتفتت لها ايفيليان مطمئنة اياها لكن فيورينا أحست بأن هناك خيالا أسود صار يقترب من الباب خلف ايفيليان فصار وجهها شاحبا كالموتى وهى تشير إلى ايفيليان لتتنظر خلفها!

-أوه.. لقد كدت أموت فرعًا يا ألكساندرا.. ما الذي أحضرك إلى هنا؟

-جئت للإطمئنان عليك وعلى أميرتى فيورينا بعد أن تأخرت عودتك إلى غرفتنا فقد سمعت صرختها ورأيتك تهضين إليها..

-لا عليك أنا بخير ولكنى سأبيت هنا مع الأميرة حتى الصباح.. ارجعى ولا تخشى شيئًا.

أومأت إليها الكساندرا بالموافقة ثم التفتت لترحل إلا أنها استدارت مرة واحدة لتدخل رأسها في الغرفة:

-من الرائع أن يكون لك عاشقا مثله يا أميرتى!

أزاحتها ايفيليان عن الباب وهى تنهرها لكلامها هذا، بينما تعجبت فيورينا من قولها فطلبت منها أن تفسر ما تقول.. فأزاحت ألكساندرا يد ايفيليان التى تدفعها خارجا لتقول:

-لقد رأيت الأمير سياستيان في الطرقة هذه قبل أن تفتح ايفيليان الباب لى... ولكنه حين رأنى تبخر تماما فلولا أنى تأملت وجهه من قبل في ساحة القلعة لما تبينت هيئته.

ثم أطلقت غمزة من عينيها صوب الأميرة التي امتقع وجهها وأحست برعشة لا تعلم سببها.

ودعت ايفيليان صديقتها الكساندرا على عجل وأمرتها بالعودة إلى فراشها ثم أغلقت الباب من خلفها وبدأت تخطو إلى الفراش إلا أنها ولسبب لا تعرفه أحست بأن عليها أن تعود لتغلق الباب بالمزلاج!

عادت الحامية إلى القلعة فأنسل منها كوشان ليذهب إلى الطاحونة وينظف ما فيها من أثار الليلة الفائتة وليخلد إلى النوم بعد ما مر به من أحداث شاقة فطلب ماريان من أحد جنوده أن يحرس الطاحونة فأعلن كوشان عن عدم حاجته لذلك وأنه يستطيع الإعتناء بنفسه جيدا.

دخل ماريان القلعة وهو يسأل عن سياستيان في لهفة وطلب من حراسه أن يعثروا على مكانه ويبلغوه بأن الملك يطلبه.

صعد أحد الحراس إلى غرفته وطرق الباب ثلاثا فلم يرد عليه أحد.. حاول فتح الباب إلا أنه كان موصدا.. تراجع قليلا ثم فكر في العودة مرة أخرى إلى الأسفل لولا أنه شعر بكف توضع على كتفه من الخلف وصوت يقول:

-ماذا تفعل هنا وماذا تريد؟

التفت الحارس سريعا ليجد سياستيان واقفا أمامه وعلى وجهه أمارات الدهشة فأخبره الحارس أن الملك ماريان يطلبه الآن!

هبط سياستيان بعد نزول الحارس بقليل ليصل إلى البهو الواسع في الأسفل والذي وقف فيه ماريان مع كبار حرسه وعندما اقترب سياستيان منه قال:

- سباستيان.. إلى أين كنت ذاهبا ليلة أمس في ساعة متأخرة؟
- تفاجيء سباستيان من سؤاله فأخذ يحملق فيه قليلا وكأنه يتذكر ثم قال:
- لقد أصابني الأرق فلم أحتمل مكوثي في الغرفة فنهضت لأتمشى قليلا في الساحة.. ولكن لماذا تسأل يا سيدي؟
- لقد رأك أحد الجنود وأنت تسير في الساحة متوجها نحو بوابة القلعة
- و ما الخطب في ذلك؟
- فقط أريد أن أعرف منك لو أنك لاحظت شيئا غريبا يدور من حولك..
- فتلك الليلة هي التي قتل فيها لاركو!
- من لاركو هذا؟
- أحسب أنك لا تعلم الأخبار الجديدة.. إن الفتى الذي قُتل في الطاحونة لم يكن كوشان وإنما كان مزارعا يدعى لاركو كان ينام مكانه وربما أراد القاتل الفتك بكوشان ولكنه لم يتبين الفرق بينهما ففضى على لاركو.
- تفاجأ سباستيان قليلا ثم غمغم قائلاً:
- عجبا.. لكنى لم ألاحظ شيئا مريباً وقتها.. كان كل شيء على ما يرام
- فكر ماريان قليلا وهو يتأمل وجه سباستيان الذي بدا مضطربا على نحو ما ثم بعد ذلك سمح له بأن يعود لغرفته لينال نصيبه من النوم واستدار إلى حراسه وحاشيته فأمرهم جميعا بالمضى إلى أماكنهم لينال كل واحد منهم قسطا من الراحة وانطلق هو إلى غرفة ابنته.. فيورينا.

فى هذه الأثناء أوقد كوشان مصباحه العليل الذى بدأ كوجه عجوز شاحب فأضاء - على استحياء - غرفته الحجرية البسيطة التى تمثل حيزا بسيطا من الطاحونة التى تحتوى على فراشه الممزق وطاولة خشبية سميكة كان يجلس عليها فى أوقات فراغه ليمارس هواياته ويقرأ فى بعض الكتب التى تحكى عن أصوله وأساطير العجر التى يتلذذ بمعرفتها.. ثم أخذ ينظف آثار الدماء التى بقيت على الأرض بعد أن أزال الحرس أعضاء لاركو ودفنوها بجوار جثته!

تلقف كوشان حقيبته ووضعها على الطاولة ثم شرع يفرغها مما بداخلها ليرتب حاجياته التى أحضرها من المدينة.. كانت بعض الأدوات التى يحتاج إليها فى الطاحونة بالإضافة إلى أغراض أخرى تلقفها فى يديه بعناية واهتمام ثم وضعها أمامه على الطاولة وهو ينظر إليها.

وكأنما غلبه التعب بعد حرب ضروس بينهما فاستسلم له على الفور وأغلق باب غرفته ثم توجه إلى فراشه تاركا كل شيء للصباح.

صعد ماريان إلى غرفة فيورينا وسار بخطوات هادئة فى الطرقة إلى أن وصل إلى غرفتها فطرق الباب فلم يجبه أحد، حاول فتح الباب إلا أنه وجده موصدا من الداخل، صاح بصوت عال فإذا به يسمع صوتا من الداخل يستقهم عن الطارق، استطاع ماريان أن يميز صوت ايفيليان فأجابها بأنه الملك ماريان ففتحت الباب سريعا وأخبرته أن الأميرة نائمة الآن وأنها ستبيت معها إلى الصباح.

ألقى ماريان نظرة على ابنته النائمة ثم شكر ايفيليان على صنيعها هذا

وتركهما عائداً إلى غرفته.

فى ساعة مبكرة نهضت ايضيليان من نومها على مهل خشية أن توقظ صديقتها التي يبدو من قسمات وجهها وأنفاسها الهادئة أنها تغط في نوم عميق، أحكمت الغطاء من فوقها بعد أن أحست ببرودة طقس هذا اليوم الذي يبشر بقرب قدوم الشتاء في ثوبه الجليدى اللامع.

أزاحت ايضيليان ستار الغرفة قليلا وأغلقت الباب من خلفها تاركة فيورينا تكمل نومها الهانئ ثم ذهبت إلى رفيقاتها من الوصيفات والعاملات ليبدأن يوماً جديداً في خدمة القلعة.

فى العاشرة صباحاً تسلل شعاع خاطف إلى الغرفة عبر نافذتها فوقع على عيني فيورينا المغمضتين فانفتحت عينيها في بضع، تشاءبت أكثر من مرة قبل أن تفكر في النهوض من فراشها الدافئ، بخطوات كأنها سكرى سارت نحو النافذة، فركت عينيها قبل أن تمد يدها نحو النافذة لتفتحها وتتفس هواء الصباح المنعش.

حين فتحت النافذة أحست بتيار من الهواء البارد يصفع وجهها ويبعثر خصلات شعرها فتراجعت على الفور وقامت بإرتداء شيء ثقيل على ثوب نومها الخفيف، ثم عادت تنظر من النافذة مرة أخرى.

أحست بحاجتها للسير خارج القلعة بصحبة روكسانا لتعبىء المزيد من الهواء المنعش في صدرها ولتقطف بعض الأزهار ذات الرائحة الفواحة، ارتدت في سرعة نحو خزانة ملابسها وانتقت منها ملابسها البسيطة التي

تعشقها حين تقصد جولة على ظهر حصانها روكسانا، قميصها الأبيض وفوقه سترتها الحمراء وبنطالها الأسود القصير وجوربها الأبيض الذي يصل إلى ركبتها وحذاءها الأسود ثم ارتدت قبعة بسيطة من الجلد الأسود، وبعد دقائق قليلة كانت تقفز فوق درجات سلم القلعة لتهبط إلى الساحة فتلتقط - في مرح - ثمرة تفاح من سلة تحملها إحدى العاملات في القلعة ثم توجهت إلى روكسانا لتقفز فوقه مغادرة من باب القلعة.

حين اقتربت فيورينا من الطاحونة تعجبت من توقف العمل بها ولكنها أدركت أنه ربما لم يحل شخص آخر محل كوشان الذي قضى نحبه قتيلا وأن العمل ربما يعود إليها في الأيام القليلة القادمة.

تتذكر حين قابلته أول مرة هنا حين كان يقف مع سباستيان فأطلقت تهيدة لا تعلم سببها ثم كادت أن تجتاز الطاحونة لولا أنها سمعت طرقا قادما من الداخل!

استغربت قليلا ثم ساقها الفضول لتعرف من بالداخل.

-من هنا؟

توقف الطرقة داخل الطاحونة للحظات ثم عاد يعلو مرة أخرى

-ألا تسمعنى.. من هنا؟!

قالتها فيورينا وهي تنزل من فرسها لتخطو بخطوات قليلة نحو الباب الذي وجدته مواربا، دفعته بيدها ثم دلفت منه إلى الداخل.

كان الطرقة قد توقف مرة أخرى كالسابق لكن بلا جواب، اندهشت فيورينا

وأخذت تبحث عن مصدر الصوت فلم تجد أحداً بالداخل، لفت أنظارها باب غرفة خشبي صغير اعتقدت أنه ربما يكون بداخلها هذا الشخص الذي يطرق، كان للمكان رائحة مقرزة وكأن الهواء لا يجد سبيله إلى هذه الطاحونة وكلما اقتربت من الغرفة اشتدت الرائحة وزادت حدتها.. وضعت فيورينا يدها على أنفها في امتعاض وهي تقترب من الباب.. كانت واقفة أمامه حين امتدت يدها لتفتحه.

فجأة تذكرت أنه منذ يومين بداخل تلك الغرفة وقعت جريمة قتل بشعة والتي راح ضحيتها شاب غجری قطعت أطرافه وتم التمثيل بجثته في انتقام واضح، أصابها رجفة مفاجئة ثم استدارت تنوى الخروج من الطاحونة على عجل.. أسرعت في خطواتها نحو باب الطاحونة ولكنها قبل أن تصل إليه جاءها صوت من الأعلى:

– أهلا بك في منزلي المتواضع يا سمو الأميرة فيورينا

تسمرت فيورينا في مكانها وكأنها تحولت لتمثال من الشمع، إنها تعلم هذا الصوت جيدا.. صوت شاب قُتل منذ يومين!!

دارت الدنيا بها ثم سقطت على الأرض!

حين أفاق فيورينا وجدت نفسها ممددة على فراش مهترى في غرفة صغيرة وضيقة بجوارها إناء به ماء، تذكرت تدريجيا ما حدث لها وتردد في أذنيها هذه الكلمات التي سمعتها قبل أن تفقد وعيها.. كادت أن تصرخ لطلب المساعدة لولا أنها أحست بخطوات تقترب من الغرفة فابتلعت

صرخاتها وانتظرت لتري من القادم.

هنا دلف إلى الغرفة كوشان وعلى وجهه ابتسامة هادئة محاولاً أن يبيث
الطمأنينة في قلب فيورينا المضطربة والتي ارتدت إلى الوراء لتلتصق
بجائط الطاحونة

-لا تخافى.. فأنا كوشان

التقطت فيورينا أنفاسها ثم ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة وهى تقول:

-كيف هذا.. لقد انتشر خبر مقتلِكَ منذ يومين؟!

اتسعت ابتسامة كوشان وغمغم قائلاً:

-يالللخسارة.. الآن - فقط - فهمت ردة فعلك، كنت أحسب أن الفرحة
جعلتك تفقدين وعيك حين اكتشفتى أننى لازلت حيا أرزق، لكن الحقيقة
مخيبة للأمال.. فهل أبدو مخيفاً إلى هذا الحد!.. على كل حال فلم أكن أنا
الضحية التي قُتِلت وإنما شخص آخر يدعى لاركو.. ويبدو أن القاتل كان
يطلبنى أنا ولا أعلم السبب

تبدلت ملامح فيورينا من الخوف إلى الحنق الشديد وقالت:

-يبدو أننى آخر من يعلم!

-لقد اكتشف الجميع هذا الأمر في الليلة الماضية فقط حين قرروا مهاجمة
تلك الغابة القريبة من هنا.. كنت عائداً من كلوج ليلاً فتفاجأت بكل هؤلاء
في انتظارى.. لم أكن أعلم أن القلعة كلها ستفتقدنى إلى هذا الحد

-ليس إلى هذا الحد يا عزيزى

ضحك كوشان ثم اقترب منها قليلا وهمس قائلاً:

-ولا أنت؟!

رمقته فيورينا بلا مبالاة ثم قالت:

-يبدو أن القاتل انتزع منك كل شيء ولكنه ترك لك حس الدعابة لتقتلنا به!

علا صوت كوشان بالضحك وهو يبتعد عنها قليلا ليحضر إناء الماء ويقربه منها لكنها عافته فوضعه جانبا ثم قال:

-ألا تزالين مصدقة بأننى من قُتِلْتُ في تلك الليلة!.. أوه.. إذن فأنا شبح هذا الفتى العجوى كوشان

ابتسمت فيورينا في سخرية وقالت:

-لا أعتقد هذا.. فالأشباح لا تبدو مملة إلى هذا الحد

-لكننى لست مملا!

نظرت إليه فيورينا للحظة والإبتسامة على وجهها فاعتبرها كوشان امتناناً حقيقياً منها بنجاته وبقائه سالما، ثم ألقت نظرة على المنضدة التي تحمل فوقها عددا من المجلدات القديمة وبعض المتعلقة الغريبة التي تتناثر عليها، نهضت من على الفراش فأحست بدوار خفيف، عرض عليها كوشان مساعدتها في النهوض فمنعته من ذلك.

قبل أن تغادر الغرفة الضيقة امتدت يدها لتحمل مجلدا قديما كان يظهر فوق الكتب الأخرى وبجواره حقيبة كوشان الجلدية، حين امتدت يدها نحو الكتاب أسرع كوشان لالتقاط الحقيبة وإبعادها ليضعها في ركن من أركان

الغرفة، وأما الكتاب فكان بلا عنوان فنظرت فيورينا إلى كوشان لتستوضح منه مضمونه فأخبرها أنه يحوى تاريخ شعبه عبر القرون وأنه كتاب نادر توارثه أجداده جيلا بعد جيل، أرادت أن تقلب في أوراقه لتقرأ شيئا منه إلا أنها وضعت يدها على جبينها حين أحست بدوار يهز رأسها مرة أخرى، انطلقت صوب باب الطاحونة فأسرع إليه كوشان ليفتحه لها فوجده أمامه! تلقى كوشان صفة على وجهه وكاد أن يتلقى ضربة أخرى في فكه لولا أنه تراجع إلى الورا متحاشيا هجوم سباستيان المفاجيء، أشهر سباستيان سيفه إلا أن فيورينا نطقت على الفور:

-سباستيان ماذا تفعل؟

كان وجه سباستيان محمرا بل وكاد يتطاير الشرر من عينيه لكنه تمالك غضبه بعد كلماتها تلك وقال:

-ماذا يفعل بك هذا الوغد؟!

-لا تقلق يا سباستيان.. لقد مررت من هنا فسمعت طرقا بالداخل وحين دلفت لأعرف ما الأمر رأيت كوشان ولم أكن أعلم أنه لا زال حيا فأصابني دوار شديد فقدت على أثره الوعي فقام هو بمداواتي حتى أفقت

ثم اقتربت منه فيورينا وأمسكت يده اليمنى ودعته للخروج من الطاحونة.

فى الخارج أخذ سباستيان يتفحص فيورينا ليطمئن عليها بينما وقف كوشان على الباب يتحسس أثر الصفة ثم قال:

-وأنا.. ألن تطمئن على حالى بعد صفعتك هذه؟.. أعتقد أن كلمة اعتذار

واحدة ستبدو كافية لى

اغتاظ سباستيان لكنه حاول أن يبدو هادئاً حين ضغطت فيورينا على يده
ثم تقدم منه خطوة وقال:

- أشكرك على ما فعلته من أجل فيورينا وأتمنى لك حظاً طيباً كحظك في
الليلة السابقة!

رفع كوشان حاجبه عالياً وهو ينظر إلى سباستيان بأعين ضيقة محاولاً أن
يفهم جملته الأخيرة ثم ابتسم بشكل مفاجئ حين علم مقصده وقال:

- الحظ حليفي دوماً أيها الأمير فهو يجلب لى أعلى الأشياء.. حتى وإن بدا
أنها صارت ملكاً لشخص آخر...

قالها بخبث وهو يطيل النظر إلى فيورينا فتوهج وجه سباستيان واحمر
احمراراً شديداً ثم نطق بقوة:

- ماذا تقصد؟

- الليلة التي تقصدها.. لقد ظن قاتلى أن حياتى صارت ملكاً له بينما وقف
الحظ بجانبى كعادته وأنقذنى من موت محقق.. يبدو أن عقلك قفز إلى
معنى آخر. تدخلت فيورينا لتخفف من حدة الموقف وقالت:

- وما أدراك أن الحظ وقف بجانبك لأنه يبدو لى أنك مت في تلك الليلة
وهذا الواقف أماننا ما هو إلا شبح كوشان

رفع كوشان يديه عالياً وحاول بطريقة بهلوانية أن يبدو مخيفاً فضحكت
فيورينا عالياً إلا أن النظرة الجامدة لسباستيان الذي لم يستوعب مزحتها

جعلتها تبتلع ضحكها فصارت تشبه الطفل الذي يمنع نفسه من الضحك أمام أبيه ويخشى أن تنفث منه في أي لحظة.

جذب سباستيان يد فيورينا يطلب منها العودة معه إلى القلعة فاستجابت فيورينا وذهبت تمسك بلجام روكسانا في الوقت الذي اقترب فيه سباستيان من كوشان وقال له بصوت خافت:

-أتعلم يا هذا.. إن أشد الناس بؤسا هم الفقراء إذا ما كانوا أذكاء.. الذكاء لعنة إذا لم يكن باليد حيلة.

اندهش كوشان من قوله وكاد أن يرد عليه لولا أن سباستيان استدار حين سمع فيورينا وهي تتأدى عليه.. ابتعدا الإثنان قليلا فصاح كوشان:

-هل تعلم من قتل لاركوكو؟!

سمعها سباستيان إلا أنه واصل سيره ولم يلتفت فاستطرد كوشان:

- يقولون أنك كنت تتجول حول القلعة ليلتها!

قالها بسخرية فاستدار له سباستيان على الفور ترسم على وجهه علامات الاستفهام والدهشة، والتفتت فيورينا التي استغربت من لهجة كوشان في سؤاله..

بهدوء اقترب سباستيان منه وتحدث بصوت لا يصل إلى مسامع فيورينا:

-أنا لا أعرف ما الذي ترمي إليه من سؤالك هذا ولكنى أرى أنك بت تقترب أكثر من حثك

-و أنا أيضا أستطيع أن أرى من ذا الذي يدفعنى من الخلف نحوه!

اقترب سباستيان من أذنه وهمس قائلاً:

-أرى أنك لست ساذجا لتتخيل أننى سأدعك لحظة واحدة تلوث عقل فيورينا أو تمسها بأى سوء.. سأفضل رأسك هذا عن جسدك قبل أن تفكر في ذلك

تراجع كوشان خطوة واحدة إلى الوراء وهو ينظر إلى سباستيان ثم رمقه بنظرة ساخرة وهو يقول بصوت سمعته فيورينا:

-البطولة الحقيقية ليست في اتخاذ القرارات وإنما في تحمل عواقبها!.. ثم من قال لك أننى أنوى بها الأذى.. سأصارك بشيء.. إننى صرت أخشى على الأميرة منك

-إذن من الأفضل لك أن تحتفظ بمشاعرك لنفسك لأنها باتت تزعجنى

-ألا تعجبك طريقتى في التعبير عن مشاعرى الخاصة.. هل يزعجك الأمر..

إذن عليك أن تتعلم شيئاً.. إن أمى حملت بى تسعة أشهر ثم قذفتنى إلى هذا العالم لأسباب ليس من بينها ارضاء مزاجك الخاص!

ثم اقترب كوشان من أذنيه وهمس قائلاً:

-ربما تروق لها حقاً.. أو ربما خياراتها سيئة للغاية وأنت أفضل ما لديها حتى الآن!

استشاط سباستيان غضبا ثم سدّد قبضته نحو كوشان إلا أن كوشان تقادها
بخفة فأخرج سباستيان سيفه وسط صيحات فيورينا التي تأمره بالتوقف إلا
أنه كان قد فقد عقله تماما ثم أشهر سيفه وهوى به على رأس كوشان!

لم يجد كوشان بدا من أن يتعامل مع هجوم سباستيان بهجوم مضاد
فانحنى جانبا في سرعة ثم ركله في ظهره فوق سباستيان في كومة من
الطين المبلل!

استدار كوشان ثم توجه نحو باب الطاحونة في هدوء في الوقت الذي كان
سباستيان يجاهد لإزالة الطين عن وجهه وهو ينوي عودة الهجوم على الفتى
الفجري إلا أن فيورينا أمرته بالتوقف عن هذا العبث والعودة إلى القلعة.

كانت أضواء الشموع تتراقص في غرفة الطعام والدفء الهارب من نيران
المدفأة الحجرية يقاوم شراسة البرودة التي تزيد يوما بعد يوم حين أراد
ماريان أن يستدعى سباستيان لتناول الطعام معهما هو وابنته على العشاء،
إلا أنها طلبت منه ألا يفعل وبررت له ذلك بأنها تريد عشاءا خاصا بهما
لأنها تفضل أن تكون على راحتها وليتبادلا أطراف الحديث والمزاح سويا
كعادتهما دون وجود شخص ثالث.. إلا أنه في حقيقة الأمر كانت فيورينا
تشعر بأن رغبتها في وجود سباستيان بجوارها بدأت في الضعف وأن فتورا
مفاجئا أصاب مشاعرها تجاهه.. إن ما حدث اليوم أمامها جعلها مشوشة
أكثر من ذي قبل، إنها لا تحب الرجل الذي يفقد أعصابه سريعا من أجل

امرأة حتى وإن كانت هي تلك المرأة، لطالما تظن أن ثقة الرجل بنفسه تمنعه من الوقوع في الحماقات الطفولية حتى وإن كانت باسم الحب، وأن الغيرة إذا لم تكون صادرة من عاقل فهي نار تحرق لا تبقى ولا تذر.

-أبي.. من لاركو هذا؟

توقف ماريان عن مضغ طعامه ثم نظر إلى ابنته في دهشة وقال:

-لعلك علمتِ بما حدث.. فمن أخبرك؟

-القلعة كلها تعلم بالأمر قبل أن أعلم أنا

-حسنا.. لاركو هذا هو صانع النبيذ والمكلف به في القلعة وقد تغيب بعد حادثة القتل الشنيعة فظننا أنه من قتل كوشان إلا أن العكس هو ما حدث تماما فقد قتل لاركو عندما كان ينام في فراش كوشان، وكان مقتله رهيبا أثار الفزع في قلوب الجميع فكان لزاما علينا أن نعمل على تأمين القلعة وما حولها خشية أن يحدث أمر آخر أكثر خطورة!

-ومن قتل لاركو إذن!

تنهد ماريان وهو يقول:

-لا أحد يعلم يا ابنتي إلى الآن لكننا على وشك أن نعلم القاتل وسيلقى جزاءه القاسي.

صمتت فيورينا قليلا قبل أن تقول:

-ولكني سمعت شيئا وأحب أن أعلم حقيقته منك.

-وما هو؟

-سمعت أن سباستيان كان يسير حول القلعة في تلك الليلة..

تفاجأ ماريان من كلامها ثم أخذ يفكر قليلا وقال:

-نعم هذا حدث وهو أمر مريب حقا لكنه لا يقودنا لشيء على الإطلاق، فلو أننا بالغنا في التفكير وأخذنا الشطط بعيدا وقلنا أن سباستيان له يد في حادثة القتل تلك فما الدافع لذلك؟!، ليس هناك من دافع يجعل سباستيان يقتل لاركو هذا

ابتلعت فيورينا ريقها وقالت:

-فهل كان القاتل ينوى قتل لاركو أم...!

قاطعها ماريان والإبتسامة تملو وجهه:

-حتى إذا افترضنا ما يدور في عقلك يا فيورينا.. يبقى الأمر كما هو.. ما الدافع الذي يجعل سباستيان يسعى لقتل كوشان؟!.. رأيتي؟!.. ليس هناك دافع واضح لهذا

تملكتها رجة عابرة بعد كلمات أبيها الأخيرة فهي الوحيدة التي تعلم ما حدث في الأيام الفائتة..

-أبى أريد أن أصارك بشيء

-وما هو يا ابنتي؟

كانت تراقب ضوء الشمع وهو يتراقص أمامها فاستجمعت قواها وهمت

بالحديث لولا أنها سمعت صوته في تلك اللحظة!

-لقد قررتُ أن أدعو نفسي على الطعام معكما فهل أبدو ضيفا ثقيلا؟!

ضحك ماريان من قول سباستيان ثم أجابه:

-كنت أنوى دعوتك على العشاء لولا أن فيورينا كانت تريد الإنفراد بي.. لا تحسب أنها ستشتاق إليك أكثر منى

ضحك سباستيان وهو يجذب مقعدا ليجلس عليه بجوار فيورينا التي بدت مرتبكة من دخوله المفاجيء وأشاحت بوجهها عنه!

تأمل سباستيان وجهها ثم قال:

-يبدو أننى جئت في وقت خاطيء فلربما كانت فيورينا تريد قول شيء لك ولا تريد منى معرفته.. فهل أستأذن منكما؟

نظرت فيورينا إلى أبيها لتمنعه من قول شيء إلا أنه لم ينتبه لها وقال:

-كيف علمت بأنها كانت تنوى قول شيء.. فهذا بالفعل هو ما حدث!

نظر إليها سباستيان وقال بإبتسامة مصطنعة:

-وما الذي كانت تريد قوله يا ترى؟!

-لا شيء!!

نطقت بها فيورينا فساد الصمت للحظات اعتمدت فيها الحرج وجه سباستيان بينما أحس ماريان بذلك فقال محاولا إزالة الحرج عنه:

-يبدو أنه ليس شيئا ذا أهمية يا سباستيان ولكنى أعدك أن أقوله لك حين

أعلمه على الفور في مقابل رحلة صيد نقوم بها في أراد... هل تريد كأساً من النبيذ لتحسيه قبل أن تتناول طعامك؟

-لا ضير في ذلك

نادى ماريان ليحضروا كأساً من النبيذ المعتق، فحضرت ايفيليان على الفور تحمل الكأس في يدها ووضعته أمام سباستيان الذي رمقها بفتور فاضطربت ايفيليان قليلاً قبل أن تستدير وتستأذن في الإنصراف فطلبت منها فيورينا قبل أن ترحل أن تحضر الليلة إلى غرفتها لتبيت معها فأومأت ايفيليان برأسها دلالة على الموافقة ثم غادرت.

بعد قليل وعلى نحو مفاجئ استأذنت فيورينا في الإنصراف معللة ذلك بألم أصاب معدتها فحاول سباستيان مساعدتها في الوقوف إلا أنها لم تمد يدها له واكتفت بكلمة شكر قالتها على مضض قبل أن تغادر الغرفة.

تبادل ماريان وسباستيان نظرات الحرج قبل أن يستأذن الأخير في الإنصراف بدوره. رمق ماريان وجه سباستيان حين انصرف، لقد توقع أن يبدو غاضباً حزينا إلا أنه أحس أنه رأى ابتسامة ماكرة تلوح على وجهه فاستغرب نظرتة هذه لكنه لم يأبه لذلك وقام هو الآخر ليلوذ بفرأشه.

في هذه الأثناء هبت عاصفة قوية من حول القلعة حتى كادت الأشجار العالية التي تحيط بها أن تتخلع من مكانها وفزعت الطيور الليلية فصارت تحلق في سماء القلعة كأنها سكرى ولها صوت كأنه الصراخ!.. خفتت الأضواء تدريجياً حتى بدت القلعة جثة هامدة وخفتت الأضواء تماماً من أكواخ المزارعين المتناثرة حول القلعة واختبأ الجميع في الفراش بعد أن

أحكموا إغلاق النوافذ والأبواب عليهم.

وصلت فيورينا إلى غرفتها وأغلقت الباب من خلفها إلا أنها لم تغلقه بالمزلاج حتى إذا ما جاءت ايفيليان لا تضطر للنهوض من فراشها لتفتح لها. امتدت يدها لشمعة صغيرة مشتعلة وأمسكتها لتشعل بها الشمعة الكبيرة المثبتة على الشمعدان الذهبي وحين اشتعلت الشمعة الكبيرة توهجت على غير العادة حتى أن فيورينا ارتدت إلى الوراء مرة واحدة من الفزع، أطفأت الشمعة الصغيرة ووضعتها جانبا ثم قامت بتغيير ملابسها، بعد هذا التقطت كتابا لتقرأه وهي تحمل الشمعدان وتقربه من الفراش حتى يتسنى لها القراءة على ضوءه. تمددت على فراشها في انتظار وصيفتها التي تنهى بعض الأعمال البسيطة في الأسفل وانهمكت في القراءة.

فى الأسفل كانت ايفيليان في غرفتها تجهز حاجياتها للمبيت مع فيورينا وتنتهى ما عليها من أعمال بسيطة ستشرع في اكمالها غدا في الصباح، بجوارها كانت الكساندرا ترقد على فراشها وتصدر حشرجة مزعجة اعتادت ايفيليان على سماعها كلما كان نوم زميلتها عميقا، لكنها تلك المرة خالجه شعور غريب فأحست بالرهبة من هذا الصوت الأجش الذي يشعرك أن ثمة وحش قادم من أعماقها!

حين كانت ترتدى ملابس نومها أحست بوهج المصباح الزيتي يعلو ويخفت بلا سبب، ساورها الشك حول نافذة الغرفة فتوجهت إليها، أزاحت الستائر السميقة من عليها فوجدت النافذة مغلقة بإحكام، أعادت الستار كما كان ثم وقفت قليلا تتأمل لهيب المصباح الذي أخذ يتراقص بغرابة ويلقى بظلال رهيبة على جدران الغرفة.

أحست ايفيليان أنها تباعق قليلا في مخاوفها هذه فتناستها وهي تطفئ المصباح قبل أن تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها.

لم يكن هناك داع لأن تأخذ المصباح معها بعد أن زاد الخدم من المشاعل التي تضىء السلم والطرقة في الطابق الثانى بعدما أمرتهم فيورينا بذلك، فقد كان كل شيء واضحا عندما كانت تسير في بهو القلعة الواسع متوجهة إلى السلم الحجري لكنها ولسبب لا تعلمه أحست بأنها لم تكن وحدها!

وضعت أولى أقدامها على السلم الطويل وهي تصفى جيدا لما حولها، كان السلم يتخذ شكلا دائريا وهو يصعد للأعلى وكانت المشاعل تتراص على جوانبه بصورة منتظمة بحيث لا يكون بإمكانك وأنت تصعد على السلم الدائرى أن ترى إلا مشعلا واحدا وحين تتجاوزه وأنت تلتف مع السلم ترى المشعل الذي يليه، وهكذا حتى تصل إلى الطرقة الطويلة التي تصل إلى غرفة الأميرة.

وقفت ايفيليان قليلا في منتصف السلم لتلتقط أنفاسها أو أنها كانت تريد أن ترهف بسمعها أكثر لتلتقط الصوت الذي سمعته للتو، صوت أقدام جاءت من خلفها لا تدرى حقيقتها، وبالطبع فإنها من مكانها لا تستطيع أن ترى شيئا سوى مترا ونصف من خلفها ومترا ونصف من أمامها، هذا هو مجال الرؤية المتاح لها في هذا السلم الدائرى الذي يتلوى حول نفسه كالثعبان، فهل تتراجع إلى الوراء لتبحث عن مصدر هذا الصوت؟!

قررت أن تكمل طريقها إلى الأعلى فقامت بالإسراع في صعودها تدريجيا إلا أنها كانت حريصة على ألا تتسبب في صخب يعلن عن مكانها!

أحست بأنها تقترب أكثر وأكثر من الطرقة وكلما اقتربت أحست بأن الصوت الذي يتتبعها يزداد وضوحاً أكثر، التفتت ورائها فلم تجد شيئاً، شرعت في القفز على السلم فلم تعد تعباً بأن تحدث صخباً أو غيره، كانت تريد أن تصل إلى الطرقة في أسرع وقت..

-من على السلم؟

توقفت ايفيليان فجأة وهى تنصت للسائل.. "تبا انه براكو!"

همست بها ايفيليان ثم أجابته:

-أنت براكو أليس كذلك؟

جاءها الصوت من الأسفل مرة أخرى:

-نعم.. فمن انت؟

-أنا ايفيليان صاعدة إلى غرفة الاميرة.. لا تقلق يا براكو وعد إلى نومك

سمعت أقدام الخادم وهى تبتعد قبل أن تواصل صعودها.

بعد خطوات قليلة وعلى نحو مفاجئ انطفأ المشعل الذي تجاوزته للتو، انطفأ من تلقاء نفسه، أحست ايفيليان بخطوات أقدام تصعد السلم من خلفها إلا أنها لم تتجراً لتتظر ورائها فلهثت على السلم وقد بدا لها أن الطرقة على وشك أن تظهر، في هذه اللحظة انطفأ المشعل الآخر الذي تجاوزته أيضاً.. صار كل مشعل تتجاوزه ينطفئ من تلقاء ذاته، كانت أقدامها ترتجف وهى تقفز على درجات السلم حتى كادت أن تنزلق وتسقط

لولا أنها في اللحظة الأخيرة تشبثت في الحديدية التي يركز عليها المشعل المعلق على الجدار الذي وصلت إليه الآن.

استطاعت ايفيليان أن تصل إلى نهاية السلم الدائري ووضعت أولى أقدامها في الطريقة، استدارت خلفها وأخذت تنظر إلى السلم.. إنها لم تعرف كنه هذا الشخص الذي يتتبعها، شعرت بالفضول لأن تعود مرة أخرى وتصيح فيه لتعلم من هو إلا أنها كانت مترددة في هذا الأمر، هنا قررت ألا تتأخر عن صديقتها أكثر من هذا فالتفتت وهي تتوى التوجه إلى باب الغرفة، شرعت في السير وبعد خطوات قليلة أحست بشيء يقف في آخر الطريقة!

كان شيئاً مظلماً لم تستطع المشاعل أن تبلغه بضوئها، اتسعت عينا ايفيليان حين بدأ هذا الشيء المظلم في التحرك من مكانه، كان يتضح أكثر وأكثر، أطلقت ايفيليان صرخة مكتومة من فرط الفزع الذي استولى عليها، لقد عرفته على الفور.. أرادت أن تفر نحو غرفة فيورينا إلا أنه كان قد وصل إليها.. تراجعت بأقدامها إلى الوراء قليلاً لكنها أحست به يستعد للركض نحوها فاتخذت قرارها سريعا بالركض نحو السلم مرة ثانية!!

كانت تقفز على السلالم حتى أنها كانت تتجاوز الإثنتين من درجات السلم والثلاثة مرة واحدة، وصلت إلى المنتصف ثم توقفت لتصغى إلى من يطاردها فلم تسمع شيئاً، هل توقف عن مطاردتها واكتفى بإفزعها؟!، كانت تنظر إلى الأعلى وهي تلتقط أنفاسها الهائجة وتنتظر أن تراه في أي لحظة.

هنا.. أحست ايفيليان بشيء غريب.. لقد عاد الصوت القادم من الأسفل

مرة أخرى.. الصوت الذي سمعته منذ قليل، وكان الظلام يسود كل شيء! تملكها الذعر وهى تتخبط من حولها كأنما أصابها مس من الشيطان، ترتجف بشدة وهى تتراجع لتلتصق بالجدار، إن بصيصا من الضوء الخافت الذي تسلل من الطرقة بالأعلى لم يتح لها أن ترى بجوارها تلك اليد التي امتدت نحو عنقها وهى تحمل حبلا خشنا، أحست ايفيليان وقتها بأنفاس باردة تلامس عنقها الجميلة، همت بالصراخ إلا أن اليد القوية كانت أسبق إلى عنقها لتحكم الحبل الخشن من حوله قبل أن يشده بعنف!!

لم تزل فيورينا عاكفة على القراءة وهى تتمدد على فراشها، وعلى نحو مباغت تذكرت ايفيليان، فقد أمضت حوالى الساعة في انتظارها فما الذي أخرها كل هذا الوقت!

انهمكت مرة أخرى فيما تقرأه فقد كان كتابا يتحدث عن الفجر وأصولهم وبعض القصص والأساطير التي تناقلوها جيلا بعد جيل، استطاعت أن تجلبه من كوشان في المساء بعد أن بعثت إليه بإحدى وصيفاتها تخبره أنها بحاجة إلى الكتاب الذي رآته في حجرته، فقد أثار فضولها لكنها حين أمسكت به هناك لم تكن في حال يسمح لها بتقليب أوراقه ومعرفة ما بداخله. لا تعلم لِمَ جذبها هذا الكتاب لكنها أحست بأنها تميل لمعرفة الكثير عن هذه الشعوب المطاردة على مر السنين، أو لعل كوشان وغرابته في حديثه وسلوكه جعلها تريد أن تعرف عنهم أكثر.

شرع النوم يداعب عينيها فصار جفناها كأنما وُضِعَ عليهما حجرتين

كبيرين، ظلت تقاوم النوم في انتظار قدوم وصيفتها إلا أنها أوشكت على السقوط في بئر السحيق.

انتهت فيورينا حين أحست بأصوات أقدام في الخارج، أرهفت بسمعتها فلم تسمع شيئاً، عاد النوم يداعبها من جديد، هذا الخدر اللذيذ الذي يصيب أعضائك فلا تشعر بها ويصبح تحريك يديك أو رجلك يشبه تحريك جبل كبير!

في تلك اللحظة أحست فيورينا أنها وقعت تحت سطوة النوم وأنها شرعت في حلم غريب، إنها ترى غرفتها وقد تراقص ضوء الشمعة بها.. تسمع صرير باب الغرفة الموارب ينفتح أكثر وأكثر، تبا ما هذا.. إن هذا الوجه يبدو مألوفاً لديها لكنها لا تستطيع تمييزه، إنه وسيم للغاية.. أوه ما أجمله.. يشبه شخصاً تعرفه لكنها عادة الأحلام التي لا تعطيك الوضوح الكافي لكل ما تراه، يقترب أكثر من فراشها.. تستطيع الآن أن تدرك من هو.. تملكها الفزع فأفاقت على الفور!

بحثت بعينيها في الغرفة وهي تلتقط أنفاسها، لم يكن هناك سواها، وصل إلى مسامعها ضجيج يعلو صوته بالخارج، ارتدت ملابسها والتقطت الشمعدان وتوجهت إلى الباب ففتحته ثم أخرجت رأسها لتعرف ما يحدث. الطرفة مظلمة لكن ثمة أضواء تأتي من ناحية السلم وتتزايد على نحو قوى، تعالت الصيحات فأحست فيورينا أن حدثاً جليلاً وقع، سارت مباشرة نحو السلم فسمعت صوت أقدام قوية تتجه نحوها من الأسفل، ارتدت إلى الوراء حين ساورها الخوف من القادم، تراجعت بظهرها لكنها توقفت حين رآته.

- هل أنت بخير مولاتي الأميرة؟؟

كان حارسا من حراس القلعة، استغربت فيورينا من سؤاله فبادرته قائلة:

-ماذا حدث؟؟

ظهر من خلفه حراس آخرون إلا أنهم توقفوا حين رأوا الأميرة سالمة.. نظرت فيورينا إلى الحارس وكررت عليه سؤالها مرة أخرى، تلجلج الحارس قبل أن يقول:

-ثمة حادث مؤسف وقع منذ لحظات!

ثم صمت قليلا فنظرت إليه فيورينا تطلب منه أن يكمل كلامه فاستطرد قائلاً:

-أحدهم قتل ايفيليان ونحن نبحث عنه الآن.

سقط الشمعدان من يدها وهى تطلق شهقة عالية قبل أن تسقط فاقدة للوعي!

توجه الملك ماريان الذي أفاق حين علم الخبر مباشرة إلى غرفة ابنته وحين علم بما حدث لها صرخ في الحارس ينهره عن ذكره هذا الخبر المؤلم لابنته، أمر الوصيفات برعايتها ثم ذهب إلى منتصف السلم حيث جثة ايفيليان!

كانت الجثة ممددة على درجات السلم الحجري ولم يكن هناك سوى بعض الدماء حول ذراعها، أشار أحد الحراس نحو ذراعى ايفيليان وهو ينظر إلى الملك ماريان، فأمسك ماريان بمشعل واقترب من الجثة ونظر إلى

حيث ذراعها فشقق شهقة عاليا وهو يتراجع إلى الوراء..

-ياللمسكينة!.. من فعل بها هذا!

تقدم منه كبير الحرس وقال:

-مولاي هناك من يريد التحدث إليك،،

نظر ماريان إلى براكو الذي اقترب منه ينتظر الإذن بالحديث فأمره ماريان بأن يتكلم..

-مولاي.. لقد كنت ذاهبا إلى الحمام منذ قليل وعند عودتي إلى مكان نومي سمعت صوت أقدام تصعد السلم فتتبع الصوت ثم سألته عن ماهيته فسمعت صوت ايفيليان تخبرني أنها صاعدة إلى الأميرة في غرفتها، فاطمأنت وعدت إلى غرفتي لكنني حين أوشكت على النوم أحسست بأصوات أقدام في البهو بالخارج، نهضت على الفور وأخذت مصباحي وبأقدام بطيئة سرت نحو السلم لكي أدرك كنه صاحب الصوت الذي لا أؤمن أن يكون صوت أقدام ايفيليان التي من المفترض أنها صعدت بالفعل، وحين اقتربت من السلم أحسست بأن أحدهم يلوذ هاربا لكنني لا أعلم أي طريقة سلكها من طرقات القلعة، صرخت في حراس القلعة الذين صعدهم بعضهم إلى السلم ليجدوا ايفيليان المسكينة.. لا أعلم من هذا الذي لا يمتلك في قلبه شيئا من الرحمة ليقتل تلك البريئة التي لم تؤذ ذبابة واحدة.. لماذا يخنقها بل لماذا يقطع يدها!!

قاطع ماريان صراخ براكو وبكائه وهو ينادى على كبير الحرس:

- هل وجدتم الأيدي المقطوعة؟!

- لم نجدها يا مولاي يبدو أنه احتفظ بهما

صمت ماريان قليلا وهو يفكر ثم قال:

- هل تعتقد أن هناك علاقة بين الحادثتين؟!

- يبدو ذلك.. فلقد اختفى القلب في الحادثة السابقة وها هي الأيدي تختفى كذلك

وضع ماريان يده على جبينه ثم مسح بهما وجهه وهو يمعن التفكير في الأمر قبل أن يسمع الإثنان صوت براكو مرة أخرى وهو يصرخ قائلاً:

- أوه.. لقد نسيت شيئاً!

استدار الإثنان إليه فأكمل قائلاً:

- لقد رأيته.. رأيته حين كنت ذاهبا إلى الحمام أول مرة وهو يصعد إلى السلم، كانت الأضواء خافتة إلا أنني تبينته على الفور

أمسك ماريان بملابسه وهو يستحثه على الإدلاء بما لديه:

- من تقصد؟!

تلعثم براكو قبل أن يقول:

- الأمير يا مولاي.. الأمير سباستيان!

الخامسة صباحا..

هدأت العاصفة في الخارج وصار الوقت مناسباً للخروج من هذا المكان المريب، إن الهروب من تلك الشقة يبدو أمراً منطقيًا جدًا إلا في حالة واحدة.. إذا كنا سنعود مرة أخرى إلى الفيلا التي هي أكثر فزعًا لا ريب!

اقتربنا أكثر من شروق الشمس، الشروق الذي ينهى ليلتنا ويضع حداً للمعاناة التي نمر بها الآن، لم تكن هناك حجة لدى الحملوي للبقاء أكثر من هذا في تلك الشقة البغيضة، فقصته التي يصر على روايتها يمكنه أن يكملها في أي مكان آخر أو حتى لا يكملها على الإطلاق، إن أكثر ما يثير استغرابي من هذا كله هو كيف لشخص يظن أن لعنة قاتلة تطارده يتسلى بأن يروي قصة ليقطع بها الوقت!!

إلا أنني لا أجد مهرباً من الإنتظار حتى يتم الأمر كما ينبغي له وأعود من حيث أتيت.

كان الحملوي يتأمل كومة النار التي صارت تخبو لتوشك على الإنطفاء تماماً حين رفع وجهه فجأة وكأنه تذكر شيئاً ما، نهض الحملوي سريعاً من مكانه واستأذن لدخول الحمام وأخبرني أن أكون مستعداً بعد أن ينتهي لنرحل على الفور!

لا أعلم ماذا حدث، أو ما الذي يخشى الحملوي من حدوثه لكنني تأهبت للخروج.

نظرت إلى الأخشاب التي أحضرها الحملوي من غرفة التوابيت هذه ثم أخذت أبحث من حولى عن كيس بلاستيكي كبير لنحملهم فيه فلم أجد، نظرت نحو المطبخ ثم توجهت إليه فلعلنى أجد هناك شيئاً نحمل الأخشاب فيه.

مررت من أمام الحمام الذي ذهب الحملوي إليه إلا أننى وجدته مظلماً، فهل اعتاد الحملوي على دخول الحمام بلا إضاءة أم أن مصباحه لا يعمل؟!

مددت يدي نحو زر الكهرباء الخاص بالحمام وكدت أن أضغط عليه لولا أننى خفت أن ينزعج الحملوي فأردت أن أتركه لحاله.

دخلت المطبخ فأخذت أبحث عن زر الكهرباء به فلم أعره عليه، كان مظلماً ولن أستطيع أن أجد ما أريد في هذا الظلام الدامس، وقفت قليلاً فأحسست أن عيني بدأت تعتاد المكان، وأن بصيص الضوء المتسلل من الصالة صار عوناً لى على البحث، لاحظت كثيراً من الأشياء القديمة والأواني الفارغة ذات الرائحة الكريهة فأزحت بعضها جانبا فإذا به يقع على الأرض محدثاً رنيناً مفرعاً!

تحسست شيئاً خشبياً معلقاً على الحائط فإذا هو خزانة خشبية للأطباق والملاعق وما شابه ذلك، فتحتها ثم قررت أن أمد يدي بداخلها لأبحث عن أكياس قديمة أو شيئاً يصلح لحمل الأخشاب، وضعت يدي ببطء شديد وأنا أحرك أصابعي أتحسس ما بداخلها، تحسست أصابعي شيئاً يرقد بالداخل.. كان ليناً وصغيراً، أخذت أتمرر أصابعي من فوقه فإذا بى أشعر بشيء غريب.. إن هذا الملمس الناعم يذكرنى بشيء ما، مررتُ أصابعي

عليه حتى أصل إلى آخره لأعرف كنهه ثم حدث ما كنت أتوقعه..

كان في آخره شيء رفيع وطويل.. لقد كان فأراً!

قمت بإخراجه لأجده ساكناً بلا حراك، يبدو أنه مات على الفور لأنه كان دافئاً من أثر الدماء التي كانت تجرى في عروقه قبل أن تتوقف تماماً، وضعته جانبا ثم أكملت بحتى مرة أخرى، لا أعلم السبب الذي يجعل الحملأوي يمكث في الحمام إلى هذا الوقت وهو الذي دعانى للإستعداد للخروج من الشقة على الفور!

مرت ثوان معدودة من البحث تسمرت بعدها في مكانى دفعة واحدة!!

فقد استطاعت أذنى في هذه الساعة الهادئة والمتأخرة من الليل أن تلتقط صوتا في الخارج!

مقبض باب يتحرك ويعلو بعده صوت صرير مخيف!

بدأت أسمع صوت أقدام في الصالة، رجعت إلى الوراء حيث زاوية من المطبخ فتكومت فيها لأنظر ماذا يحدث.. أين أنت أيها الحملأوى.. اللعنة!

هل خرج الحملأوي من الحمام دون أن أشعر بذلك؟! وإن لم يكن الحملأوي

صاحب هذه الأقدام فمن غيره وليس في الشقة سوانا وتلك التوايب...!

تجمد الدم في عروقى حين تذكرت جثة العجوز التي في التابوت، تلك الجثة التي تبدو كأن صاحبها نائم وليس بميت!

تحركت قليلا من مكانى لكى أختلس النظر إلى الصالة، سرت في الممر الضيق الذي يقود إليها.. عبرت من أمام الحمام الذي دخله الحملأوي منذ

قليل ويبدو أنه لازال بداخله، وضعت أذنى على باب الحمام لأسمع صوتا بالداخل إلا أننى لم أسمع شيئا، كان هادئا كأن أحدا ليس فيه!

بخطوات بطيئة وحذرة أكملت طريقى نحو الصلاة سائرا على أطراف أصابعى، توقفت فجأة حين أحسست بحركة تأتي من الورا.. نظرت خلفى فلم أجد شيئا فخمنت أن يكون الصوت أتى من داخل الحمام فأكملت طريقى.

أسندت ظهري إلى جدار يخفى عن الصلاة ثم انحنيت إلى الأسفل لأمد برأسى وأنظر لأعلم من هناك.. ضوء الصلاة لازال يهتز ويتخبط كأنما أصابه مس من الشيطان، مددت رأسى بحذر شديد وأنا أحاول جاهدا ألا تتكشف.

استطعت أن أرى الصلاة، ليس هناك شيء غريب.. مددت رأسى أكثر فاستعت عيناى عن آخرهما حين لمحت شيئا مفرعا لأقصى حد..

لقد كان باب غرفة التوابيت مواربا!

أرجعت رأسى على الفور وأنا أستجمع أنفاسى.. لا أعرف ماذا أفعل، قررت أن أذهب وأفتح باب الحمام لأصيح بالحملأوى وأخبره بما يحدث إلا أننى سمعت صريرا حادا يأتى من ناحية الغرفة!

مددت رأسى مرة أخرى ببطء وحذر وما أن وقعت عيناى على باب الغرفة الموارب وجدته قد انفتح ثم رأيت شبعا عجوزا يخرج من خلاله!

ارتددت إلى الورا على الفور وهربت إلى المطبخ ثم تكومت في زاوية منه

واختبأت فيها وأنا أكتم أنفاسي.

أصوات أقدام ثقيلة تقترب من المطبخ.. تبا لقد صار الأمر وشيكا، أرى خياله الذي ولج إلى المطبخ يتقدم صاحبه، لا أعرف ماذا أفعل!

-أعرف أنك هنا فلا داعي للإختباء!

قالها بصوت ساخر ثم أكمل قائلاً:

-ألم أقل لك أن تستعد لنخرج من هنا ونعود إلى الفيلا على الفور.. فماذا تفعل في المطبخ؟!

عجبا فهذا صوت الحملأوى.. إذن فقد خرج من الحمام أخيرا، رأيته وهو يدخل المطبخ فقامت من موضعي وهمست له بأننى رأيت شبح العجوز يخرج من الغرفة.

نهزنى الحملأوى على صوتى الخافت وطلب منى أن أعلى من صوتى قليلا حتى يسمعنى بصورة جيدة إلا أننى اقتربت من أذنه وقلت له:

-العجوز قام من تابوته!♦

ضحك الحملأوى بصوت عال فوضعت يدي على فمه بسرعة إلا أنه تراجع مستكرا ما فعلته وأبدى دهشته مما أقول ثم أمرنى أن أتبعه إلى باب الشقة، ثم بدأ يخطو خارج المطبخ.

تبعته وأنا أحاول أن أثنيه عن المضى قدما نحو الصالة إلا أنه لم ينصت لى، ألقىت نظرة على الغرفة ثم أشرت إليه أن ينظر إليها هو الآخر..

-عجبا.. لماذا فتحت باب الغرفة يا احمد؟

أجبتة بصوت خفيض:

- هذا ما كنت أريد أن أخبرك به

- تخبرنى بماذا؟

ابتلعت ريقى وأنا أهمس له:

- لقد رأيت العجوز يسير على قدميه هنا في هذه الصالة

- العجوز الذي كان في التابوت؟!؟

قالها باستنكار شديد ثم رفع حاجبه وهو يحدق في مستغربا مما أقول ثم تركنى متوجها إلى الغرفة.. فسرت خلفه على الفور.

دخلنا إلى الغرفة فأضاءها الحملاوي ثم توجه إلى التابوت الذي كانت ترقد فيه جثة العجوز.. كان التابوت مغلقا كما كان من قبل فنظر لى الحملاوي وقال:

- رأيت.. كل شيء كما هو فما الذي دعاك لكى تختلق ما زعمته منذ قليل؟؟

كان التابوت مغلقا بإحكام كما كان من قبل ولم يكن هناك أي شيء غريب بالفعل لكننى لم أكن مجنونا لأختلق شيئا كهذا!

- افتح التابوت

قلتها للحملاوي الذي نفخ بعض الهواء وهو يقول في ضجر:

- لماذا تريد إضاعة ما تبقى لنا من الوقت فأنا أريد العودة إلى الفيلا قبل شروق الشمس.. وأنت معي بالطبع.

إلا أنه حين وجدنى مصرّاً على ذلك مدّ يده نحو الغطاء وبدأ يزيحه من مكانه، فكانت المفاجأة..

لقد اختفت الجثة!!

نظر الحملأوي نحوى بعيون قلقة ثم همس قائلاً:

-أين ذهبت الجثة؟!

لم أكن أعلم ماذا أقول له فظللت صامتاً، ابتلع الحملأوي ريقه ثم قال:

-علينا مغادرة هذا المكان على الفور.. هيا بنا

وقفت مذهولاً للحظات بجوار التابوت الذي صار شاغراً بعد أن كان ممتلئاً منذ قليل، ثم أفقت من ذهولى وأنا أنوى اللحاق بصفوت الحملأوي الذي ينتظر عند باب الغرفة.

فجأة..

انطفأت الأضواء فى الشقة وعم الظلام الدامس من حولى وأنا أقف بجوار التوابيت الفارغة من أصحابها، مددت يدى لأتحسس موضع الحملأوي عند الباب فلم أجده، لماذا يختفى هذا الحملأوي كلما حلت كارثة؟!!

كان صوت أقدام يأتى من الصالة، أقدام بطيئة تسير ثم تتوقف!

هل أصبح مناديا الحملأوي أم أنزوى فى ركن من الغرفة أترقب ما يحدث؟.. فى تلك اللحظة سمعت صراخا يأتى من الصالة.. إنه صراخ الحملأوي!

لهت خارج الغرفة نحو الصوت وأنا أصبح به:

-أين أنت؟

لم أجد جوابا.. وقتها تبهت إلى أن هناك ثمة هواء يندفع إلى الشقة من مصدر لا أعلمه، هناك باب أو نافذة تم فتحها في الشقة، بخطوات حذرة على أطراف أصابعي توجهت إلى باب غرفة النوم فوجدته مواربا، أزحته بيدي قليلا فأحدث صريرا مخيفا، استدرت خلفي على الفور حين أحسست بشيء يتحرك.. لم أجد شيئا، نظرت من خلال الباب إلى الداخل فتملكني الفزع حين وجدت الباب المطل على الشرفة مفتوحا وهناك من يقف على الجدار وكأنه ينوى السقوط.. تبا إنه الحملاوى.. هرعت إليه ثم صحت به:

-ماذا تفعل؟

التفت إلى وقال:

-لاحظت أن التيار الكهربائي انقطع عن شقتنا وحدها فهأنذا أحاول إصلاحه

كانت الأمطار غزيرة والرعد والبرق على أشده.. ماذا يفعل هذا المجنون؟.. إنه إن لم يهو إلى الأسفل من فوق هذا الجدار فإن البرق سيصعقه لا ريب!!

-عجبا.. ولماذا تصلح الكهرباء في هذه اللحظات ونحن ننوى مغادرتها على الفور؟

وكانما كان غائبا عن وعيه فقال:

-لا أعلم ولكنني أحسست أنه من الواجب أن أصلح عطلا أصاب شقة هذا العجوز قبل أن يغادر مسكنه، أتعلم شيئا؟! أستغرب كثيرا أن أصعد هنا في هذا الموضع الخطير، كيف لم أفكر في خطورة لمس أسلاك كهربائية في هذا المطر والبرق الخاطف!

ثم ألقى صفوت نظرة إلى الشارع بالأسفل فأطلق شهقة عالية وكأنه لم ينتبه له من قبل فقرر الهبوط على الفور من فوق الجدار..

على نحو مفاجيء انزلت قدمه اليسرى وكاد أن يسقط من الشرفة بالأسفل لكنني أسرعت إليه وأمسكته من ملابسه وشددته نحوي على أرضية الشرفة، تأوه قليلا وأنا أساعده على الوقوف، وحين اعتدل واقفا طلبت منه أن نرحل الآن.

تذكرت اللعنة التي أصابت الحملاوي كما ادعى فهل تراها هي التي صنعت به ذلك؟!

أراد الحملاوي أن يغلق باب الشرفة فشدته بعنف نحو باب الغرفة فبدا مندهشا مما فعلت لكنني لم أمهله وانطلقنا صوب باب الشقة لنلوذ بالفرار، فتحت الباب وخرجنا منه ثم أغلقته من خلفي، وحين اقتربنا من مدخل المبنى بالأسفل وجدت الحملاوي يصيح بي لنعود!..

تبا.. لقد نسينا الأخشاب في الأعلى بالفعل!

كانت الأخشاب في الصالة فأمرت الحملاوي أن يكمل هبوطه إلى مدخل المبنى ثم أخذت منه مفتاح الشقة لأصعد وأحضر الأخشاب بسرعة وألحق به.

وصلتُ إلى باب الشقة ثم وضعت المفتاح في الباب وأدرته حتى انفتح، التقت أنفاسي وأنا أخطو في الظلام إلى الداخل، لم أترك عيني تقع على الغرفة التي تستقر فيها التوابيت الفارغة بل عمدت إلى موضع الأخشاب وحملتُها في يدي على الفور ثم عدت مسرعا صوب الباب.. حين اقتربت منه تعثرت أقدامي في شيء على الأرض لا أدري ما هو، فسقطت الأخشاب من يدي وتناثرت من حولي، كدت اهرب من المكان لولا أنني تماكنت نفسي وشرعت في جمع الأخشاب وأنا أتحسس مكانها، لم أبال بعدد الأخشاب التي استطعت جمعها وإنما حملتها مرة ثانية وتوجهت إلى الباب وقمت بفتحه ، سمعت صريرا يأتي من الداخل أعقبه صوت باب ينغلق، أزحت باب الشقة جانبا ثم قمت بالخروج منه والقفز على السلالم إلى الأسفل حتى وصلت إلى الحملوي الذي كان ينتفض في الشارع كعصفور بلله القطر!

سرنا في طريقنا عائدین إلى الفيلا ، حالفنا الحظ فتوقف المطر ليحافظ على سلامة الأخشاب العارية حتى تبقى جافة صالحة للإستخدام، وحين وصلنا إلى الفيلا سرنا في الطرقة نحو بابها الخشبي العتيق.. أصابتنا الدهشة حين وجدنا الباب مفتوحا!!

-هل تركنا الباب مفتوحا خلفنا؟

قالها الحملوي بدهشة شديدة..

-لا.. فقد أغلقناه خلفنا بإحكام

نظر الحملوي نحو مزلاج الباب فوجده لم ينكسر..

-عجبا، فهذا الباب لم يفتح إلا بمفتاحه المخصص له، وهذا المفتاح لا

يملكه أحد غيرى سوى...

فجأة.. أحسست بأن هناك خيالاً أسودً يقترب من الداخل.. من داخل الفيلا!

تراجعت إلى الوراء وحين انتبه الحملأوي لذلك لم يكمل كلامه وتراجع هو الآخر، اقترب هذا الخيال أكثر وأكثر حتى صار واضحا..

لقد كان مفزعا لأقصى حد.. إنه شبح العجوز الراقد في التابوت!

صاح الحملأوي عاليا وهو يكمل جملته الأخيرة:

-سوى هذا العجوز

اقترب العجوز فسلم عليه صفوت وهو يسأله:

-ما الذي أتى بك الآن.. ألم تكن مسافرا إلى الإسكندرية؟

أطلق العجوز عطسة تناثر على أثرها بعض الرذاذ من أنفه فأخرج منديلا أبيض من القماش ومسح به أنفه وفمه، ثم نظر إلى محمقا تارة وينظر إلى الحملأوي تارة أخرى فأخبره الحملأوي أن يتكلم ولا يخشى شيئا، فقال:

-لقد اتصلوا بى فى الطريق بعد أن ابتعدت عن المقطم بمسافة قليلة وأرادوا أن أحضر لهم الجثة الثانية فعدت إلى الشقة وحملتها إلى الأسفل فى السيارة لكننى لم أجد كيسا بلاستيكا فى الشقة فقد نفذت جميعا فجئت إليك هنا وأردت أن أستعير منك واحدا لأضع الجثة فيه.. لكننى ناديت عليك كثيرا فلم أجدك كما أن شبكة الهاتف معطلة تماما فلم أستطع الإتصال بك.. فأخرجت المفتاح الذى أعطيتنى إياه وولجت داخل الفيلا

أبحث بنفسى حتى وجدت واحدا.

ثم أشار بكيس أسود كبير في يده..

الآن صارت الأمور واضحة تماما، فلم تكن الجثة هي التي تسير في الشقة وإنما العجوز هذا هو من عاد إلى الشقة ليأخذ الجثة ويخرج بها تاركا موضعها فارغا وهو الأمر الذي أثار الفزع في نفسى فحسبتها هي من تتحرك في الصالة، دقت في ملامح العجوز أمامى فوجدت أن الشبه بينه وبين الجثة بعيد جدا.. الظلام هو ما خيّل لى أنهما يشبهان بعضهما، ولكن في حقيقة الأمر ليس هنالك تشابه سوى انهما عجوزان قصيران!

أدار العجوز سيارته بعد أن أدخل الجثة في الكيس الأسود وربط عليها ثم وضعها في داخل السيارة وانطلق بعيدا.

مرة أخرى صرت في فيلا الحملاوي أسير نحو غرفة المكتب وأنا أتبعه، قبل أن أدخل الغرفة استأذنته للذهاب إلى الحمام فطلب منى أن يوصلنى إلا أننى أخبرته ألا حاجة لذلك وطلبت منه أن يصفه لى، بعد أن أشار إلى مكانه أخبرنى بأنه في انتظارى بداخل غرفة المكتب.

بعد قليل دخلت عليه في الغرفة ثم جلست على الكنبه الجلدية السوداء بينما أخذ هو يشعل النار في المدفأة بعد أن قذف الأخشاب في أحشائها، عاد الدفء يسرى في المكان من جديد فنظرت إلى الحملاوي لأجده مبتسما تلمع أسنانه على ضوء النيران ثم طلب منى الحضور والجلوس على المقعد الذي بجواره أمام المدفأة، جلست بجواره فالتفت ببطء شديد نحوى وهو يقول:

-و الآن هيا أكمل لك قصتى

ثم اتسعت ابسامته أكثر وأكثر!

دب الفرع والرعب في أرجاء القلعة وتهامس المزارعون والخدم فيما بينهم يروون ما حدث لإيفيليان ومن قبلها لاركو صانع النييد، بينما لم يجرؤ أحدهم أن ينطق باسم الشخص الذي دارت من حوله الشبهات، لم يكن أحد يعلم السر خلف مقتل هذين الإثنين اللذين لا يربط بينهما أي شيء اللهم إلا أنهما يعملان في القلعة.

إلا أن ما أثار الفرع بينهم أكثر هو اختفاء شيء من أعضاء الضحيتين بعد قتلها، لم يستطع أحد تفسير هذا الأمر أيضا، ربما أراد القاتل أن يمعن في إهانة الضحية أو ربما أراد شيئا أكبر من هذا وهو أن يهين الملك نفسه، لكن الشيء الثابت والحقيقى هو الخوف الذي تغلغل في نفوس كل من في القلعة وما حولها لشعورهم بأن القاتل يحيا بين ظهرانيهم ويتجول من حولهم.

مضى يومان على الحادثة صارت فيورينا فيهما أكثر ميلا للوحدة فقد كانت تقضى أغلب يومها في غرفتها ولا تخرج إلا لتناول الطعام مع أبيها إن أصر هو على ذلك، وكان ماريان يعلم ما أصاب ابنته فلم تكن إيفيليان مجرد وصيفة لها وإنما صديقة مقربة، تركها ماريان لحالها حتى يلتئم الجرح الذي سببته الحادثة وحتى تعود لسابق عهدها وعنفوانها الذي كانت تتميز به.

عكفت فيورينا على القراءة في غرفتها وكثرت ساعات نومها إلا أنه لم يكن نوما هائثا كما اعتادت من قبل وإنما كان قلقا مضطربا لحزنها على ايفيليان كما أن هناك سببا آخر جعل نومها مضطربا، فقد كانت تطاردها أحلام غريبة تصيبها بالفزع في أغلب المرات!

تتذكر حلما ظل يراودها طيلة اليومين الماضيين في نومها ليلا ونهارا، ترى نفسها تسير في ممر حجري مظلم ويدها شعلة تتوهج في الظلام، كانت تسمع ضحكات تأتي من أول الممر الذي تسير فيه، لا تعلم ما الذي جاء بها إلى هنا أو إلى أين تمضى، حين تعلق الضحكات كانت فيورينا تدرك أن الحلم قد اقترب من نهايته وأن ظلا أسود يبدأ في الظهور من أول الممر قادمة نحوها لكنها لا تمهل نفسها للوقوف حتى تراه بل تستدير لتلثث هربا منه، وحين تلوذ بالفرار تصل إلى آخر الممر فتجده مسدودا بصخرة عملاقة.. تطلق صرخة مكتومة وعندها تفيق من النوم!

وأما عن علاقتها بسباستيان فإنها قد انقطعت، حاول الأخير مرارا أن يصل إليها في غرفتها لكنها كانت ترفض هذا وتطلب أن تظل وحدها دون أن يزعجها أحد، علمت فيورينا في اليوم الثالث الذي مر بعد حادثة قتل صديقتها أنه قد عزم أمره على الرحيل من القلعة ليلا والعودة إلى بلاده، أحست بأن قراره هذا نتيجة فشله في التقرب منها أو أنه أحس بعد الحادثة الأخيرة بأنه لم يعد شخصا مرغوبا به من الملك بعد تزايد الشكوك حوله لظهوره قبل وقت الجريمة في الحادثتين بوقت قليل!

لم تبال فيورينا بأمره كثيرا وإنما تملكها الأسى لفقد صديقتها وأمضت

أغلب وقتها تتذكر أوقاتها السعيدة معها ثم تغمض عينيها وهي تطلق تنهيدة حارة تحاول أن تطرد معها نار الفقد الذي تتلظى به.

تناولت الكتاب الذي استعارته من كوشان وشرعت في قراءته، أسرعرت في تقليب صفحاته فكانت لا تكاد تقرأ شيئاً وكان هذا علامة على مللها وقلة شغفها بمطالعتة فأغلقتة تماماً ثم قامت واقفة وهي تنوى شيئاً ما طراً على عقلها.

توجهت نحو خزانة ملابسها ووقفت أمامها تفكر فيما سترتديه، كانت تخرج ملابساً ثم تعيدها مرة أخرى لتلتقط غيرها، كررت هذه الفعلة أكثر من مرة، استغربت فيورينا من حيرتها هذه وهي التي تعودت أن ترتدى ما تراه دون أن تحار في ذلك، أغلقت الخزانة ثم تراجعت إلى فراشها مرة أخرى لتتكوم في زاوية منه تتأمل أرجاء الغرفة.

التقطت نفساً عميقاً وهي تحسم أمرها وهبت من فوق الفراش ثم عادت إلى الخزانة لتتناول فستاناً ذهبياً يتثنى كموج بحر هائج، وصار بفضل التجاوب التي تتخلل سطحه يشبه خطوط الكتبان الرملية الصافية حين تتعامد عليها الشمس.

نادت فيورينا إحدى وصيفاتها لتساعدها في ارتدائه، وقتها تذكرت ايفيليان فانحدرت على خدها دمعة حارة.. حضرت الكساندرا وبدأت تربط (الكورسيه) حول خصرها وتشده جيداً، ثم ارتدت فيورينا فستانها اللامع تاركة الكساندرا تلف حول رقبتها عقداً من اللؤلؤ الأبيض فأضفى البهجة على الأميرة حتى صارت كأنها الشمس تسير على قدمين.

لم ترتد القبعة بل وضعت تاجا رقيقا من الذهب الأبيض على شعرها الذي لفته خلف رأسها بصورة محكمة وأنيقة بمساعدة من الكساندرا، في أحد أدراج خزانها جذبت علبة خشبية أنيقة مطرزة بالذهب واللؤلؤ ثم فتحتها وأخرجت منها قارورة صغيرة زرقاء كالمحيط كانت ترقد على قماشة من الحرير الأحمر، مدت يدها نحو غطاء القارورة وأزالته.. ثم طلبت من الكساندرا أن تحضر قطعة قطن فجلبتها لها على الفور، سكبت فيورينا قليلا من العطر على قطعة القطن فانبعثت الرائحة في المكان حتى صار كأنه الفردوس، مسحت بها رقبتها وأعلى صدرها وذراعيها وأسفله ثم قامت واقفة تنظر في المرآة.

لا تدرى فيورينا سر رغبتها المفاجئة في أن تبدو فاتنة هكذا كسابق عهدها قبل الأحداث الأخيرة، لعلها قررت أن تتسى كل ما حدث وأن تدع الفتاة الرقيقة التي بداخلها تحصل على بهجتها أخيرا.

ودعتها الكساندرا بعبارات الثناء والمديح وهي ترى أميرتها تغادر الغرفة لكنها تفاجأت بها حين عادت لتصطحب معها كتابا قديما، أثار هذا الأمر استغرابها لكن سرعان ما تبدد هذا الاستغراب بعد أن عادت لتتعمك في أعمالها المنزلية.

توجهت الكساندرا إلى المطبخ وحين صارت في الداخل أثار انتباهها اختفاء كأس من كؤوس الخمر الذي ظهر مكانه خاليا ومن أسفله تراصت الكؤوس الأخرى في موضعها دون أن تختفى أو يصيبها شيء، نادى على إحدى الخاديمات القريبات منها وصاحت بها:

-هل طلب مولاي الملك كأسا من الخمر؟!

التفتت الفتاة وأجابت:

-نعم.. فقد شرب مولاي الملك كأس الخمر الذي اعتاد أن يشربه كل صباح
ثم خرج ولم يحضر حتى الآن

استغربت الكساندرا ثم ما لبثت أن تحولت ملامحها إلى الغضب:

-نعم أعلم هذا وقد كان كأس موضوعا في مكانه هنا قبل الظهيرة ولكنه
اختفى الآن.. فأين ذهب إذن!!

لم يكن كأسا عاديا وإلا لما انزعجت الكساندرا كل هذا الإنزعاج وإنما كان
كأسا ذهبيا مرصعا بالألماس والأحجار النفيسة ذا قيمة كبيرة.. كأسا لا
يحق لأحد أن يتناول فيه شيئا سوى شخص واحد، إنه كأس الملك ماريان
الذي يتناول فيه شرابه!

امتطت فيورينا حصانها روكسانا وصارت تسير به على مهل متخذة طريقا
ملتفا لتنعيم بالسير بين الأشجار العالية المحيطة بالقلعة والتي تلو فوق
أسوارها الشاهقة، وما ان وصلت إلى ساحات المزارع المنبسطة حتى
صارت توزع ابتساماتها الهادئة على المزارعين الذين يتهجون لرؤيتها
دوما، وكان بعضهم يرفع طفله الصغير وهو يحمل زهرة أنيقة فيقدمها
للأميرة التي تتناولها برفق وتهديه مقابل ذلك قبلة رقيقة على جبينه.

توجهت فيورينا إلى الطاحونة فرأته يجلس بجوارها وهو يتكئ بذراعه

الأيمن على كومة من القش ويرتدى ثوبا من الكتان مشقوقا من الصدر على الرغم من برودة الطقس، حين رآها كوشان تفاجئ قليلا قبل أن يبتسم ابتسامة واسعة وهو يتأمل بهجتها وجمالها ثم اعتدل في جلسته، نزلت فيورينا عن حصانها ثم توجهت بأقدام ثابتة نحوه فقام كوشان واقفا..

- أعجبك الكتاب إذن؟

- بالفعل وهذا ما جاء بي إليك لأتناقش معك قليلا حوله.. في الحقيقة لم اكمل قراءته ولكنني صرت أكثر شغفا أن أسمع قصة هؤلاء القوم من غجري يرويها بلسانه.. أعلم حقا ماذا يحدث لكم تلك الأيام وإننى -حقا- لا أستطيع أن أخفى حزنى وألمى

- الشفقة إذن هي التي جاءت بك إلى هنا

- لا.. ليس الأمر كذلك وإنما أردت أن أفهم من انتم!

تأملها كوشان قليلا بوجه ليس له ملامح ثم استدار ينوى الدخول إلى الطاحونة فقالت فيورينا:

-كوشان.. لا أقصد اهانتك حقا أو اهانة بنى جنسك وإنما أردت أن أفهمكم.. أريد أن أعرف السر الذي يجعلكم شعبا مطاردا في الأرض وبلا وطن.

التفت إليها فرأت دمعة تنحدر من عينيه أسرع إليها بيده لاختفائها وهو يقول:

-تريدون أن تعرفي من نحن إذن؟!.. حسنا.. نحن شعب هام على وجهه في الأرض يكتشف الطرقات ويجتاز المدن، ليس له موطن ولا أرض يحارب من

أجلها، فقط يحارب من أجل البقاء.. من أجل لقمة العيش حتى وإن كانت في أقصى الأرض، لا نختلط بالشعوب التي نمر عليها بل نختار الإنزواء بعيدا عنهم لنحفظ لهم حياتهم ونحفظ لنا تراثنا الذي اكتسبناه على مر الأعوام، ويبدو أن هذا الإنزواء هو ما يجلب علينا الويلات، فالناس لا يتقبلون أن تعيش حياتك دون أن يحشروا أنوفهم فيها، لطالما واجهتنا العديد من الأنوف في كل مكان وزمان، هذا قدرنا وسيظل كذلك.

-ولكنى سمعت أنكم تمارسون السحر والسرقة لكسب العيش؟!

-هذا هو الخطأ القاتل الذي اعتدت أن أسمعه، وهل أنتم لا تمارسون السحر.. ألا يمارس بعضكم السرقة؟.. بل ما هو أكثر من ذلك.. ألا تمارسون القتل؟!.. منذ عشرين سنة تم قتل مائة من الأباء والأمهات وأطفالهم في غابة هويا باكيو فهل كان الفجر هم من قتلوهم؟

-أعلم تلك القصة وحزنت حين سمعتها كثيرا و..

-وماذا يفعل الحزن؟.. بل ماذا فعل ماريان؟.. ليته لم يفعل شيئا وإنما ذهب ليقتل بقيتهم ممن يطالبون بدمائهم وينفذون العدالة بأيديهم!

-أتفهم مشاعرك الغاضبة ولكنى لا أسمح لك أن تتجاوز الأدب وأنت تتحدث عن..

-أرأيتى كم أننا شعب يعيش على هامش الحياة!.. التحدث بأدب عن الملك أغلى من أرواح الفجر الأبرياء

رفعت فيورينا حاجبها لتبدو غاضبة الا انها لم تفلح في ذلك وكادت ملامحها أن تتبدل فيظهر ما في قلبها من تأييد لحديثه فالتفتت عنه وهى

تأمل المكان من حوله ثم تصنعت الجدية وهى تقول:

- ما هذا الشيء الذي كان بجوارك حين كنت جالسا؟

لم تنتظر فيورينا الاجابة بل سارت نحوه بخفة وأمسكته بيدها ..

- اوه.. انه كمان

أخذت تعبت بأوتاره وهى تهز رأسها وتغلق عينيها وكأنها في حفل راقص..

- كفى عن هذه الاصوات المزعجة التي تصدرينها

- أصوات مزعجة!!.. إذن عليك أن تتصت للمعزوفة كاملة

جرى كوشان نحوها محاولا نزع الكمان من يدها وهو يقول:

- لم أكن أظن ان فتاة رقيقة مثلك لا تجيد العزف على هذه الالة الدافئة

قالت وهى تبعده عن متناول يده:

- ها أنا قد حصلت على معلم اذن

ثم أرادت أن تشغله عن أخذ الكمان فسألته:

- ولكن ألم تجرب العزف على آلة اخرى؟

- لا.. لست مفرما بالموسيقى

تعجبت فيورينا ثم قالت:

- وماذا تفعل بالكمان اذن؟!

تهدد كوشان قبل أن يجيبها:

-الكمان بالنسبة إلينا ليس آلة موسيقية.. وإنما هو روح نسكنه ويسكننا..
حرص الفجر على اصطحابه دوما في أسفارهم واقامتهم وانا كذلك

-ولم كل هذا الاهتمام به؟

جلس كوشان على كومة القش ثم اتجه ببصره بعيدا حتى أحست فيورينا أنه
سافر عبر الزمن فأزاحت فستانها الأبيض حتى يتسنى لها الجلوس بجواره..

قال كوشان:

-يتوارث أجدادنا قصة صغيرة عن فتاة تدعى مارا كانت تسكن غابة مع
أبيها وأمها وأخواتها الأربع، فتاة عجزية بلغت الغاية في الجمال، وفى أحد
الأيام رأت مارا شابا غريبا من (الكاجو) وهو اسم نطقه على غير الفجر،
وعلى الرغم من جمالها وفتنتها إلا أنها لم تستطع أن تجعله يقع في غرامها،
فالتجأت إلى الشيطان تطلب منه أن يساعدها على لفت أنظاره نحوها،
وافق الشيطان إلا أنه طلب منها أن تستدرج أخواتها الأربع وأباها وأمها
وتسلمهم إليه، وافقت المسكينة تحت سطوة الحب وسلمتهم للشيطان،
فقتل أخواتها الأربع وصنع منهم أوتارا، ثم قتل أباهما وصنع منه صندوقا
مجوفا، وقتل أمها وصنع منها قوسا، واكتمل الكمان الذي صنعه الشيطان
ثم أهداه لمارا وعلمها العزف عليه، وفى اليوم الموعد طلب منها أن تعزف
اللحن الذي علمها إياه، وسرعان ما سحرت موسيقاه قلب الشاب الكاجو،
وسرعان ما سحرته الفتاة أيضا فتعلق بها وهام بها حبا ونالت الفتاة ما
تمنته من قبل، وحين اقترب الشاب من الفتاة ليعلن لها عن حبه اختطفهما
الشيطان وطار بهما إلى جحيمه، وبقي الكمان وحيدا في الأرض الموحشة.

يوما ما كان رجلا فقيرا يعبر من هذه الغابة فوجد الكمان على الأرض فالتقطه وأخذ يلعب بأوتاره عازفا ومنتقلا من قرية إلى قرية، فيضحك الناس من عزفه أحيانا ويبكون أحيانا وهكذا عاش الكمان مع الفجر وعاش الفجر مع الكمان.

-يالها من قصة حزينة!

قالتها فيورينا وهي تتنهد، اعتدل كوشان واقفا وهو يقول:

-أوشكت الشمس على الغروب عليّ أن أرحل الآن

-إلى أين؟

- سأرحل إلى كلوج لشراء بعض الأغراض

-لماذا تحب السفر في الليل كل مرة؟!!

-إنه لشيء ممتع أن تسير ليلا فتقابل مع كل شيء إلا البشر

هزت فيورينا رأسها دلالة على الموافقة ثم ودعته بابتسامة هادئة بعد أن تركت له الكتاب وسارت نحو حصانها ثم غادرت.

قبل وقت قليل كان سياستيان يغادر القلعة مع وفده الذي أتى معه، لم يشأ الملك ماريان أن يقوم بتوديعهم بنفسه وإنما اكتفى ببعض رجال حاشيته ليرافقوهم إلى باب القلعة ثم أمر بإغلاق بابها من خلفهم وهو يرجو أن يعم الأمن أرجاء قلعته كما كان من قبل!

سار الوفد في طريقهم حتى ابتعدوا عن القلعة بشيء قليل، لكنهم توقفوا

فجأة حين طلب منهم سياستيان الوقوف، أخبرهم بأنه نسي شيئاً وعليه العودة، وما ان اختفى سياستيان عن أنظارهم حتى أحسوا بهبوب عاصفة قوية كادت تتسبب في نفور الأحصنة حتى أن حصانا ألقى بمن عليه أرضاً ثم لاذ بالهرب!

تعجب الجميع من هذا الفعل الغريب الذي لم يعتادوا عليه من أحصنتهم المدربة، فهذا الحصان لا يفعل ما فعله إلا والخوف بلغ منه مبلغه، أطلق أحد كبار الوفد مزحة يصف فيها ما حدث:

- ما أجمل هذا الحصان الوفي ، لم يُرد أن يبقى في انتظار الأمير فأراد أن يرافقه.

فأجابه آخر:

- لا أحب أن يخيب ظنك هذا، فقد اتخذ الحصان طريقاً يعاكس تماماً الطريق الذي اتخذهُ الأمير.

اعتلى الصمت الجميع ثم قرروا البحث عن مكان آمن لينتظروا فيه احتفاءً من العاصفة التي هبت حتى يعود الأمير إليهم.

تجمعت الغيوم في السماء وصارت ثقيلة حتى باتت قريبة من الأرض فكادت أن تلامس رؤوس الأشجار العالية، وأظلم ما تبقى من النهار الذي اقترب من نهايته، فكان الليل تعجّل قدومه قبل مواعده، وأوشكت الأمطار أن تهطل إلا أنها كانت تنتظر إشارة من البرق الذي سيدق عنق السحاب لتتخضب الأرض من دمائه.

في هذا الجو العاصف كانت فيورينا تسير على حصانها بين الأشجار وهي في طريقها إلى القلعة، كانت تشعر بسعادة غامضة لا تعرف سببا واضحا لها، ربما حين قررت الخروج من غرفتها والعودة إلى ما تعودت على فعله من الخروج والتفحص حول القلعة، أو ربما أسعدها ما دار من حديث بينها وبين كوشان، هذا الشاب الذي بدأت فيورينا تنتظر له في إعجاب بثقته واعتزازه بنفسه، بيد أنها - في نهاية الأمر - كانت سعيدة وكان هذا كل ما تحتاج إليه في هذه الأيام العصيبة.

كان فحيح الريح يعلو من حولها فتساقط على أثره الأوراق الذابلة، وكان روكسانا يبدو قلقا على غير العادة، أحست فيورينا بهذا من حممته فظنت أن هبوب العاصفة هو السبب في هذا أو ربما يشعر بالجوع إلا أنها لم تكن واثقة من هذا الظن لأنها كانت واثقة بأنه تناول وجبته قبل أن تخرج به.

أخذت تمر من بين الأشجار على مهل وهي تحاول أن تشد لجام روكسانا لتمنعه من السير سريعا، أحست بأن حصانها لم يكن سعيدا بالسير مثلها وأنه يريد قطع المسافة نحو القلعة في أقصر وقت.

لاحظت من بعيد أسوار القلعة في آخر الغابة الصغيرة فربتت على ظهر روكسانا وداعبت شعره في محاولة منها لطمأنته بإقتراب الوصول.

انتبهت فيورينا في تلك اللحظة إلى شيء لم تعدته من قبل، فقد توقف روكسانا تماما عن السير، حاولت أن تجعله يتقدم خطوة واحدة إلا أنها لم تفلح في ذلك، كان قد تحجر في موضعه!

أصغت بأذنيها عندما أحست بصوت ما، استطاعت أن تميز الصوت الذي سمعته أكثر من مرة وحسبته من أثر الأوراق المتساقطة لكنها تأكدت الآن أنه صوت شيء آخر، شعرت أنها لم تكن وحدها في الغابة، اشتد الظلام أكثر من ذي قبل حتى باتت الرؤية ضعيفة، صاحت في روكسانا أن يركض إلا أنه لم يزل في مكانه ثابتا كأنما رأى شيطاننا، دقت فيورينا أكثر في الشيء الذي بدأ يظهر من بعيد، كان خيال شخص قادم!

سهل روكسانا بشدة وهو يرتفع بأقدامه الأمامية في الهواء ثم استدار إلى الخلف وبدأ في الركض، لم تستطع فيورينا أن توقفه لتعرف من هذا الشخص الذي رأته من بعيد، حاولت أن تستدير لتتظفر له إلا أنها خشيت أن يصطدم روكسانا الهائج بشيء أمامه فشددت لجامه وهي تحاول التحكم فيه إلا أن الحصان الذي انطلق بسرعة كبيرة تسبب في اسقاطها من فوقه فوقعت على أرض الغابة!

اعتدلت فيورينا وهي تتأوه من الألم ثم وقفت على قدميها فهدأت حين اطمأنت أنها بخير لكنها تذكرت هذا الشيء الذي هاج روكسانا وانزعج حين رآه، لم تكن ابتعدت عنه مسافة كبيرة فأحست بأنه قريب منها، التفتت حولها وهي تحاول أن تراه على بصيص ضوء النهار في وقت احتضاره..
فجأة..

أحست بصوت أوراق تتكسر من خلفها، التفتت فإذا خيال أسود يقترب!
تراجعت فيورينا إلى الوراء فاصطدم ظهرها بجذع شجرة عملاقة، فسقطت على الأرض، اقترب الخيال أكثر حتى أوشك أن تبدو ملامحه،

نهضت فيورينا على الفور ثم أخذت تركض بين الأشجار، شعرت بأقدامه هو الآخر وهي تلهث من خلفها، كانت تحاول أن تخرج من بين الأشجار إلى المساحات المنبسطة لتعثر على أحد المزارعين، استطاعت بالفعل أن تصل إلى المزارع ثم صاحت تطلب النجدة إلا أن أحدا لم يكن حاضرا في هذا الجو العاصف، فقد اعتاد الناس بعد الحوادث الأخيرة أن يلوذوا إلى مضاجعهم قبل حلول الليل، لمحت فيورينا الطاحونة فجرت نحوها..

-كوشان.. كوشان

لا أحد يجيب..

دقت على باب الطاحونة بكلتا يديها فلم تسمع استجابة من أحد!

-كوشان أين أنت؟!!

يبدو أنه رحل، هكذا حدثت نفسها، التفتت فيورينا نحو الأشجار فرأت أغصانها تهتز وسمعت صوتا قادما من هناك، التقطت أنفاسها وهي لا تعرف ماذا تفعل، أسندت ظهرها بقوة إلى باب الطاحونة فانفتح مرة واحدة ووجدت نفسها ملقاة على الأرض بالداخل، نهضت سريعا وقامت بإغلاق الباب من خلفها.

تعجبت لأن كوشان لم يكن قد أغلقه بالمزلاج فأحكمت هي اغلاقه وعمدت إلى نافذة صغيرة تنظر منها.

كان يسير في الساحة أمام الطاحونة يبحث عن شيء، تعلم فيورينا أنه يبحث عنها، شهقت حين رآته وهو يقترب من الطاحونة، فهل رآها وهي

تختبئ بها؟

اقترب أكثر وصار يلتف من حول الطاحونة وهو يلتفت يمنا ويسرى، اختفى عن أعين فيورينا التي كانت تختلس النظر من النافذة الصغيرة، لا تعلم أين ذهب، لعله خلف الطاحونة في هذه اللحظة، رفعت فيورينا رأسها أكثر لتزيد من مجال الرؤية لديها، أخذت تفتش بعينيها الجاحظتين من الفرع يمينا ويسارا..

فجأة..

رأته أمامها في تلك اللحظة، لكنه ولحسن حظها كان يعطيها ظهره فلم يرها، أخفضت رأسها إلى الأسفل بسرعة كبيرة ثم تكومت على الأرض وأسندت ظهرها إلى الجدار وكتمت أنفاسها، لم تكن تعلم أنه في هذه اللحظة كان يقترب من النافذة الصغيرة، لكنها علمت هذا حين أحست بظل أسود يأتي من النافذة!

ظلت تكتم أنفاسها حتى أحست بزوال هذا الظل الأسود حين أزاح هذا الشيء وجهه عن النافذة، فلم تدر هل تقوم وتتنظر لتعرف من هو أم تبقى في مكانها!

نهضت فيورينا بسرعة لتتنظر من النافذة فلم تستطع أن تظل هكذا وهي تجهل من يلاحقها، رفعت رأسها قليلا نحو النافذة حتى وصلت عيناها إلى الفتحة، نظرت فإذا هو قد أعطاها ظهره، أمعنت النظر قليلا فتأكدت أنه شخص تعرفه جيدا ولكنها لا تستطيع أن تحدد من هو، سار بضع خطوات مبتعدا عن الطاحونة ثم استدار فجأة، تجمد الدم في عروقها إلا أنه كان

قد استدار نحو باب الطاحونة وليس النافذة فلم يستطع أن يكشف أمرها، لكنها هي من كشفت أمره وعرفت حقيقته..

لقد كان سباستيان!!

أرادت أن تبتلع ريقها إلا أن حلقها كان جافا وخاويا، أصغت بسمعتها حين أحست بصوت عند الباب، إنه يحاول أن يفتح الباب.

فتشت فيورينا في المكان وهي تحاول أن تعثر على شيء تدافع به عن نفسها، كانت هناك العديد من جوانات القمح التي تصطف فوق بعضها، انطلقت نحو غرفة كوشان، تحسست طريقتها في الظلام فوجدت شيئا صلبا على الطاولة الخشبية بالداخل، تحسسته فإذا هو خنجر فالتقطته، أرادت أن تغلق باب الغرفة عليها فوجدته بلا مزلاج..

-هذه الغرفة ليست آمنة!

هكذا تحدثت بصوت خافت، فانطلقت نحو الطاولة الخشبية وهي تريد جرها نحو الباب، كانت تعلم أنه ليس حلا ولكنها لم تجد شيئا آخر لتفعله! جرّت الطاولة ووضعتها خلف الباب ثم وضعت عليها ما وجدته من اغراض في الغرفة، تذكرت جوانات القمح في الخارج فأرادت أن تخرج وتأتى بها لتضعها على الطاولة لكنها توقفت حين سمعت صوت باب الطاحونة وهو ينفتح!

تراجعت إلى الوراء وهي تمسك بخنجرها، كانت يدها تهتز فسقط الخنجر على الأرض في الموضع الذي كانت فيه الطاولة قبل أن تقوم بنقلها،

تحسست بيدها على الأرض لتعثر عليه فوقعت يدها على شيء معدنى صغير مثبت، تحسست ما حول هذا الشيء المعدنى فأحست بملمس يختلف عن ملمس أرضية الغرفة، صارت تتحسس في مجال أوسع حول الشيء المعدنى فأحست ببروز طفيف عند نهايته فعلمت أنه غطاء.

جذبتة من القطعة المعدنية فأحست به وهو يفتح معها مرتفعا إلى الأعلى، إنه قبو في الطاحونة!

شعرت بأقدام تقترب من الغرفة فحسنت أمرها وقررت النزول، فتحت الغطاء وأزاحته جانبا ثم حشرت نفسها في الداخل لتجد سلما حجريا، فنزلت قليلا ثم مدت يدها في الأعلى لتغلق غطاء القبو خلفها.

حين نزلت إلى الأسفل بضع خطوات تذكرت أنها نسيت الخنجر بالأعلى فأحست بالندم على ذلك!

في ظلمة القبو الذي اختبأت فيه أخذت تنصت إلى الصوت في الأعلى وهي تدعو ألا ينكشف أمرها ويتعثر سباستيان في فتحة القبو هذه، فجأة.. تذكرت فيورينا شيئا جعلها ترتجف في مكانها، تذكرت الحلم الذي ظل يراودها ليلا ونهارا في نومها خلال اليومين الماضيين، لقد دارت أحداثه في قبو وممر حجري كما هو الآن إلا أن ما طمأنها قليلا هو أنها لا تحمل شعلة تنوهج كما في الحلم!

أخذت تصفى لما يحدث في الأعلى فإذا هي أقدام تتنقل في أرجاء الغرفة، أحست بأن أقدامه قد استقرت فوقها، ترى هل وجد غطاء القبو؟!

اتخذت قرارها بالهبوط إلى الأسفل أكثر، فإذا بها تجد في آخر السلم

الحجرى ممرا ضيقا ولكنه يتسع طوله ليصل إلى المترين، سارت فيورينا في ظلام القبو الدامس تستنشق بصعوبة هواء الخانق وتتحسس طريقها وهى لا تعرف ما الذي يوجد من حولها، كانت تفكر في أمر هذا الممر، لا بد أنه ممر سرى يعلم بأمره أبوها ماريان نظرا لأنه لا يستطيع أحد أن يصنع مثله خفية بعيدا عن أنظار الملك وحاميته، ولكن إلى أي شيء يقود هذا الممر؟.. لا تعلم!

انفتح غطاء القبو فجأة..

تجمدت فيورينا في مكانها ولم تستطع أن تنظر خلفها حتى تراه وهو يهبط إليها، توقفت وهى تعلم مصيرها الذي بات محتوما فلم تعد تستطع الإختباء أكثر من هذا، أغمضت عينيها واستسلمت.

بعد دقيقة.. فتحت عينيها، لا يزال غطاء القبو مفتوحا يتسلل من خلاله ضوء خافت، لا بد أنه أشعل شيئا بالأعلى، لكنه لم يهبط!

فكرت في أنه ربما لم يرها وهى تدخل إلى الطاحونة وظن أنها هربت إلى مكان آخر، التقطت أنفاسها ثم حاولت الإقتراب من فتحة القبو لتصغى إلى صوته في الأعلى لتعلم هل مازال في الغرفة أم خرج منها.

سارت على مهل عائدة نحو السلم الحجرى، لقد باتت الرؤية أكثر وضوحا شيئا ما من ذى قبل، كادت أن تقترب من السلم لولا أنها تعثرت في شيء واقع على الأرض وهى تسير.

توقفت فيورينا ثم انحنى ببطء لتتحسس الشيء الذي اصطدمت به، أمسكته ثم قربته من بصيص الضوء القادم من الأعلى، لقد كان حقيبة جلدية

أحست بأنها رأتها من قبل ولكنها لا تتذكر أين، أرادت وضعها كما كانت إلا أنها انفلتت من يدها فسارعت لإلتقاطها قبل أن تسقط على الأرض فتحدث صخبا يعلن عن مكانها، وعلى الرغم من سرعتها في التقاط الحقيبة قبل أن تسقط إلا أنه ولسوء حظها انفلتت شيء معدنى منها ثم وقع على الأرض الصلبة فأحدث رنينا عاليا!

وضعت فيورينا الحقيبة جانبا بسرعة ثم التقطت الشيء الساقط لتوقف تردد الصوت الذي أحدثه، أمسكته في يدها ثم أعادته للحقيبة على الفور وتوقفت لتنتصت.. لكن كل شيء هادىء ولا ينبىء بشئ، كما أن بصيص النور اختفى وعاد الظلام كما كان من قبل حالك السواد.

جلست في القبو مدة قصيرة ثم قررت أن تصعد للأعلى حين أحست بأن أحدا ليس في الغرفة، بخطوات حذرة صعدت السلم واقتربت من فتحة القبو الذي لا يزال غطاءه مفتوحا، ببطء شديد أخرجت رأسها من القبو ثم بدأت تنتظر من حولها.

فى هذا الظلام الدامس لا تستطيع أن ترى شيئا مما حولك ولكنها أحست بأنه لا أحد في الغرفة سواها.. أخرجت جسدها من الفتحة فاشتبك الثوب الذي ترتديه في شيء ما بالأسفل، حاولت أن تشده إلا أنه كان ممسكا بقوة، أعادت جسدها مرة أخرى إلى القبو واخذت تبحث بيدها عن الشيء الذي اشتبك فيه الثوب، تنتقل بيدها من مكان لمكان في الظلام حتى تعثر عليه، لم تجد شيئا!

تحسست ثوبها فوجدته سالما غير عالق بشيء، يبدو أن نزولها إلى الأسفل

قد حرر الثوب من الشيء الذي اشتبك به، صعدت إلى الأعلى مرة ثانية ثم أغلقت فتحة القبو ورائها، وقفت قليلا في الغرفة فلم تشعر بشيء حولها، التقطت أنفاسها ثم توجهت نحو الطاولة التي سقطت على الأرض بعد أن دفعها سباستيان وهو يدفع الباب بقوة، جذبتها ثم وضعتها مكانها، اصطدمت قدمها اليمنى بشيء صلب واقع إلى الأرض، التقطته فإذا هو الخنجر، قبضت عليه بكلتا يديها وهى تسير خارجة من الغرفة، توجهت بحذر إلى باب الطاحونة المفتوح، ثم خرجت منه.

كان الليل قد حل والأمطار تفرق الأرض فركضت في الوحل تتقصد باب القلعة متخذة الطريق الأيسر فإذا بشيء أسود يقترب منها بسرعة وهو يطلق صوتا هائجا، صرخت فيورينا صرخة تردد صداها في المزارع من حولها قبل أن تتوقف تماما عن صراخها، لقد كان روكسانا وليس شيئا آخر.

وصلت إلى باب القلعة فصرخت في الحراس فانفتح الباب، تعجب الحراس من مجيئها في هذا الوقت وأخذتهم الدهشة، أمرتهم فيورينا ألا يخبروا أباهما حتى لا يقلق وتمنت ألا يكون قد أحس باختفائها في الأعلى، لكنها حين صعدت إلى غرفتها ونادت ألكساندرا أخبرتها الأخيرة بأن أباهما حين سأل عنها أخبرته بأن فيورينا لم تنزل في غرفتها لم تخرج بعد.

اطمأنت فيورينا وقتها ثم أرادت أن تخلع ملابسها وتناول قسطا من النوم إلا أن الكساندرا لم تنزل واقفة لم تتحرك بعد.

- ما لك يا الكساندرا؟

صمتت الكساندرا وهى تفكر في الطريقة التي تريد أن تقول بها ما تريد،

لكن فيورينا ربتت على كتفها وشجعتها لتقول ما لديها..

-مولاتي لقد حدث شيء ما ولا أعلم ما أفعل

-ماذا حدث أخبريني؟

-أخشى أن يعاقبنى الملك

اندهشت فيورينا وقالت:

-على أي شيء يعاقبك؟

تلعثمت الكساندرا قليلا ثم استجمعت قوتها وقالت:

-لقد ضاع الكأس الذي يتناول فيه مولاي الملك ماريان شرابه كل صباح،

اختفى من المطبخ تماما ولا أدري أين ذهب

-أوه يا الكساندرا، تعلمين أن أبى يحبه ولا يتناول شرابه في غيره.. لقد

أهدته والدتي له قبل أن ترحل عنا بيوم واحد، سيحزن أبى كثيرا

بكت الكساندرا وهى ترتجف، كانت خائفة من العقاب فطمأنتها فيورينا

وأخبرتها بأنها ستشفع لها أمام أبيها وأن عليها ألا تفرغ.

خرجت الكساندرا لتجهز الحمام لأميرتها بعد ان طلبت منها فيورينا هذا

ثم أخذت تخلع ثوبها وتجهز ملابس نومها التي سترتديها.

بينما هي تخرج ملابسها من خزانة الملابس كانت تفكر في شيء خطر

ببالها دون أن تشعر، تذكرت الحقيبة التي وجدتتها في القبو، أحست أنها

تسمع رنين الشيء الصلب الذي وقع على الأرض وقتها وكاد أن ينكشف

أمرها بسببه، تذكر حين امتدت يدها لتلتقطه من الأرض...

شهقت فيورينا شهقة عالية وهى ترتد إلى الوراء ليقع الثوب الذي كان في يدها أرضاً، لقد تذكرت الشيء الذي سقط على الأرض، لم تستطع وقتها أن تنتبه إلى أنها لم تكن تلتقط بيدها شيئاً عادياً.. وإنما كانت تلتقط كأساً يشبه في حجمه كأس الملك ماريان.. الكأس الذي اختفى!

قررت العودة مرة أخرى إلى الطاحونة، لم تشأ أن تنتظر للصباح حتى تتأكد من أمر ألح عليها كما أنها اطمأنت إلى أن سياستيان قد رحل عن الطاحونة بعد أن فشل في العثور عليها، حملت مشعلاً في يدها ثم تسللت خفية إلى باب القلعة وأمرت الحارس أن ينتظر وصولها دون أن يخبر أحداً، وأخبرته بأنها ذاهبة إلى الطاحونة وستعود بعد قليل..

سارت ألكساندرا في الطرقة نحو غرفة فيورينا فوجدت الباب مغلقاً، طرقتة وهى تنادى بصوت خفيض على أميرتها إلا أنها لم تسمع استجابة، كررت الطرق على الباب، ظنت وقتها أن فيورينا قد نامت بالداخل من التعب فلم تشأ أن تقتحم عليها الغرفة وعادت إلى مخدعها بالأسفل.

سارت فيورينا في الظلام وحدها وهى تحمل في يدها شعلة تتوجه بها نحو الطاحونة، أحست بالخوف وهى تشعر بعيون لامعة تظهر من حولها من خلف الأشجار، عيون الذئاب التي ترمقها على وجل خوفاً من وهج الشعلة التي تحملها!

وصلت فيورينا إلى الطاحونة ثم توجهت نحو الباب فأزاحته للداخل فأحدث صريراً مفرعاً لم تكن تشعر به في النهار، اقتحمت الباب وسارت في الداخل

نحو الغرفة، كان كل شيء على ما يرام إلا أن هاتفا تردد في أعماقها بأنها ترتكب أكبر حماقة في حياتها، لكنها لم تعد تستطيع التوقف والعودة بعد أن علقت أقدامها وعليها أن تكمل ما بدأتها!

دقت الساعة فتردد صداها في صالة الفيلا لتعلن عن السادسة صباحا، توقف الحملأوي عن سرده للقصة ثم اعتدل واقفا، تابعته ببصرى وهو يسير بخطوات بطيئة نحو مكتبه، امتدت يده إلى أحد أدراجة وقام بفتحه، غاص بيده في الداخل ثم أخرج ورقة صغيرة وقام بوضعها في جيب سترته الجلدية ثم استدار نحوى وقال:

-والآن.. ألا يدعوك الفضول للتعرف على مكانى المفضل في الفيلا؟

-وما هو هذا المكان؟

-المكان الذي أحفظ فيه بأشياءى القديمة ومقتنياتى التى لا يعلم عنها أحد، إنه القبو.. أسفل الفيلا هذه!

لم يتبق على شروق هذا اليوم إلا أربع وأربعون دقيقة وينتهى هذا الكابوس الذى وضعنا الحملأوي فيه، لم أكن أعلم من قبل أن لديه قبوا فى منزله، إن آخر شيء يمكن لخيالك أن يفكر فيه هو أن تهبط لقبوا كاتب رعب يشبه صفوت الحملأوي وفى تلك الليلة بالذات، إلا أنه لم يتبق أمامنا الكثير، سرت خلفه إلى حيث يمضى، خرجنا لنسير على العشب فى حديقته التى تلتف حول الفيلا بكاملها ويحيط بها من الخارج سياج حديدى، كان العشب رطبا من أثر المطر والأرض موحلة بالطين اللزج فاتسخت أقدامنا به،

توقف الحملأوي عند باب صغير في جانب من جوانب الفيلا وشرع في فتحه، التفت إلى وعلى وجهه ابتسامة هادئة يطلب منى أن أتبعه.

انفتح الباب القديم بصعوبة شديدة وكأنه لم يفتح منذ زمن طويل محدثا صريرا لعينا اعتدت على سماعه في ليلتنا البائسة، لم أستطع أن أرى شيئا إلا ظهر الحملأوي الذي يبحث بيده عن شيء ما..

أضاء المكان بضغطة على رز الكهرباء، الضوء ضعيف للغاية ويبدو أن شيئا كان عالقا بالمصباح ثم هرب عندما أحس بوجودنا لأن المصباح يهتز يمئة ويسرى مما أضفى الغرابة أكثر على هذا المكان الخانق!

ثمّة سلم خشبي بهبط إلى الأسفل، أشار صفوت إلى بالنزول خلفه فتبعته.. الكثير من خيوط العنكبوت العالقة تثير حنقى لأننى أضطر كل لحظة لتنظيف وجهى مما يعلق به منها وأنا أهبط على السلم القديم..

-تقول أن هذا القبو هو مكانك المفضل فلماذا يبدو مهملا إلى هذا الحد؟
-لم أهبط إليه منذ زمن طويل من هذا الباب.. كنت أدخل إليه من الداخل، فلو أنك لاحظت السلم الذي يقود إلى غرفتى في داخل الفيلا ونظرت أسفله ستجد بابا يقود إلى القبو أيضا

-فلماذا جعلتنا نهبط من خارج الفيلا اذن

-لأننى لم أجرؤ أن أفعلها وحدى من قبل

تعثرت قدمى في إحدى درجات السلم الممزقة فتوقف الحملأوي مطمئنا على سلامتى فأشرت إليه ليكمل طريقه معلنا أنى بخير، المكان خانق كما

أنه أكثر برودة عن الخارج، سألته:

-ولماذا لم تجرؤ على الدخول من سلم الحديقة؟

ضحك الحملأوي ثم قال:

-قد يبدو السبب تافها لكنه كان كافيا لى

-وما هو هذا السبب؟!

كنا قد وصلنا إلى نهاية السلم، نحن الآن في ساحة واسعة لا أستطيع أن أتبين ما بها لأن ضوء المصباح الخافت بالأعلى لم يستطع أن يصل إلى هنا، لمحت الحملأوي يضع يده على شيء في الجدار، حسنا لقد كان زر المصباح، على الضوء الضعيف هذا استطيع أن أتبين ما نحن فيه..

أثاث متهالك اصطف فوق بعضه وتراكم عليه الغبار كما اتخذته العناكب مرتعا لخيوطها الكبيرة، حقائق قديمة يبدو أنها تحمل في جعبتها ملابس وأغراضا بالية، في زاوية من زوايا القبو استطعت أن أرى مقعدا خشبيا هزازا أحاطت به خيوط العنكبوت من كل جانب، إلا أن هناك شيئا غريبا يحدث، لقد كان المقعد يتأرجح كأن أحدا كان جالسا عليه للتو!

لعل الحملأوي دفعه بدون أن أشعر أو أنه اهتز بسبب سيرنا على السلم ونحن نهبط.. ربما!

لاحظت مقعدا آخر في آخر القبو المزدهم بالأغراض القديمة، أثار هذا المقعد الدهشة لدى فقد كان نظيفا وحديث الطراز، انتهت في تلك اللحظة للحملأوي الذي جلس على منضدة قديمة بجوار المقعد التنظيف

هذا ثم أشار إلى بالجلوس على المقعد، ذهبت إليه ثم جلست.

- هذا مقعدى المفضل أجلس عليه كلما هبطت إلى هذا القبو، وأحرص دوما أن يكون نظيفا لئلا تتسخ ملابسى حين أجلس عليه، لعل الفضول يسوقك لأن تسأل ما الذي يجعلنى أجلس ها هنا، لكن الإجابة بسيطة جدا، فأنا لست من النوع الذي يستطيع الكتابة في أي وقت يشاء وإنما لابد أن يكون مزاجى منتعشا حتى أكتب، وأنا لا أجد أفضل من هذا المكان لأجد انتعاشى.. هنا مهبط الوحي وسر الإلهام.

- ولكنى لا أرى سوى أغراض بالية وهواء رطب خانق، لعل القبو يبدو مخيفا قليلا لكنك ما إن تعاد عليه فلن يبدو مخيفا أو ملهما.. أعتقد هذا ابتسم الحملاوي وهو يقول:

- كلامك يبدو منطقياً لأنك لم تعرف بعد هذا المكان، أما أنا فإننى في كل مرة أهبط فيها إلى هنا تصيبنى الرهبة ويتملكنى الخوف.. فهذا المقعد الهزاز الذي تراه أمامك هناك يخيل لى دوما أن (علياء) لم تنزل تجلس عليه والدماء تتساقط منها بعد أن شج زوجها رأسها بسكين كبير!!
انتبهت لما قاله بعد أن كنت سارحا بعينى على الكرسى الهزاز..

- من علياء هذه!!

تلعثم الحملاوي قليلا لكنه تدارك أمره وأصدر نحنحة أراد لها أن تصير قوية حتى يبدو متماسكا لكنها خرجت مهتزة كهذا الكرسى الذي يقبع أمامنا في ركن القبو.

اعتلى الوجوم وجهه وانتابه العبوس وهو يستعد للإجابة على سؤالى، لقد بدا حزينا وكأنه يتحدث عن أقرب الناس إليه..

- هذا الأثاث يعود للذين كانوا يسكنون الفيلا قبل أن أقوم أنا بشرائها، بعد أن قمت بشرائها سمعت تلك القصة من جارى العجوز الذي كنا فى شقته، روى لى أن زوج علياء هذا كان غليظا على زوجته، ثم تطور الأمر معه أكثر حين خسر كثيرا من أمواله فى صفقة غير محسوبة فصار أكثر غلظة وقسوة حتى أنه كان يعذبها بحرمانها من أبسط الأشياء، هكذا يدعى جارى وإن كنت أراه يبالغ كثيرا!

- كيف ذلك؟

- إن خبرا مثل فلان قتل زوجته يتصدر الصحف على الفور لكن خبرا مثل زوجة تعاند زوجها وتقتل من شأنه وتناقشه فى كل أمر يصدره وتتشاجر معه على كل كبيرة وصغيرة لتحول حياته إلى جحيم لا يطاق كل هذا لا يهم.. فقط تبدأ القصة حين يمسك خنجره ويضع حدا لهذا الهراء!

كان الإنفعال باديا عليه وأنا أتأمل وجهه ثم تذكرت فى هذه اللحظة وجهة نظره فى النساء التى حكاها لى من قبل فلم أستغرب كلامه ووجدته متسقا مع ذاته فى كل ما قاله، انتظرت أن يكمل ما يقوله فاستطرد قائلاً:

- يدعى جارى أن زوج علياء صنع لها عشاء فاخرا ثم دعاها للجلوس على المائدة الخشبية التى ربما قد رأيتها فى الأعلى حين ولجت إلى الفيلا، فوافقت على مضمض وجلست على مقعدها وهى ممتعضة فلم تكن تحبه أو تجد راحتها معه لكنها أيضا لم تستطع أن تفارقه لأنه بكل بساطة يلبى

لها ما تحتاجه من مطالب كثيرة لا يقدر أحد على تلبيةها غيره نظرا لفناه الوفير، ثم اندهشت حين وجدت على المائدة أمامها سوارا ماسيا تتوسطه ماسة كبيرة تبلغ خمسين قيراطا، اندهشت كثيرا وهى تنظر إلى وجه زوجها الذي ابتسم لها ثم أمرها أن تغلق عينيها فاستغربت لكنها استجابت لما يقول وحين فتحت عينيها وجدت أمامها مفتاحا.. أشار لها زوجها أن تنظر من خلال النافذة لتجد سيارة حمراء لامعة تقف في الحديقة أمام الفيلا.. طارت علياء من الفرحة وجرت نحو زوجها لتقفز في حضنه وهى تردد مزيجا من عبارات الشكر والندم عن كل ما اقترفته في حقه، هنا.. حملها الزوج بحنو إلى الأعلى ليقضيان سويا وقتا لطيفا ثم بعدها..

- وماذا بعد!

- طعنها بالسكين وهى نائمة.. هكذا قال جارى العجوز!

وأما عن السبب الذي لا يجعلنى أهبط من باب الحديقة الخارجى فهو أنه يقال أن الزوج حاول اخراج الجثة من الفيلا ليضعها في سيارته ويرحل بها ليتخلص منها في أي مكان بعيد إلا أن أحد الجيران الذين لاحظوا صراخ علياء جاء على الفور وصار ينادى ليطمئن على سلامة علياء وزوجها، فلهت الزوج يحمل الجثة ويلتف حول الفيلا ليفتح باب القبو ويلقى به على السلم بعيدا عن الأنظار حتى يتخلص منه عند حلول الليل.

ابتلعت ريقى وأنا أنظر ناحية سلم القبو الذي نزلنا منه.. قال الحملاوى:

- لو كان الضوء قويا لأستطعت أن ترى دماؤها على خشب السلم والحائط، فلم أشأ أن أزيله وأبقيت عليه حتى يبدو المكان أكثر إلهاما ورهبة، لكننى

لا أخفيك سرا فإننى لم أجد الشجاعة أن أفتح هذا الباب وأهبط على تلك الدرجات التي تمددت عليها جثة علياء من قبل، لكن وجودك معى هذه الليلة جعلنى أجرب الأمر

قلت ساخرا:

-حقا!!.. هذا شرف لن أنساه بالطبع

ثم تذكرت شيئا فسألته:

-ولكن أليس غريبا أن تجرب أمرا كهذا في ليلة يفترض أنك تتعرض فيها لعنة قاتلة؟! ألا تخش من تجربتك هذه أن تكون الخنجر الذي يطعنك من حيث لا تدري

تلجج الحملأوي قليلا ثم تلعثم وهو يقول:

-إذن علينا أن ننجز أمرنا لكى نصعد على الفور

-ننجز ماذا؟

-القصة.. أردت أن تكون نهاية القصة في هذا المكان، ظننت أن رهبة القبو ستصنع جوا نفسيا ملائما لما تبقى منها، على كل حال ليس أمامنا وقت كثير فالشمس أوشكت على الشروق وعلينا أن نبدأ على الفور.

تعجبت من اصراره الغريب لإتمام قصة ليس الغرض منها سوى قطع الوقت، أي لعنة تلك التي تترك صاحبها شغوقا بسرذ قصة لى!!

أخذ الحملأوي يراقبنى بابتسامة غامضة ينتظر أن أشير إليه لكى يبدأ،

فجأة تذكرت شيئاً ما لم أنتبه له من قبل..

حين أخبرني الحملاوي عن لعنته ذكر أن الطغاة من العجر يلقون بلعناتهم في قصة ثم يروونها لضحاياهم، وبعد هذا يقومون بقطع ألسنتهم، إذا كان هؤلاء الطغاة من العجر يريدون معاقبة أعدائهم بتلك القصص الملعونة والتي ستؤدى في النهاية لهلاكهم فلماذا يلجأون لقطع ألسنتهم؟!، إلا إذا كانوا يخشون من أمر ما قد يفسد لعنتهم!!

لم أسأله وقتها عن السبب، هممت أن أسأله إلا أنني وجدته مد يده في جيبه ثم أخرج الورقة الصغيرة التي جلبها من أحد أدراج مكتبه في الأعلى، فتحتها وأمسكها في يده ثم لم يمهلى وعاد يكمل قصته!

وضعت فيورينا الشعلة جانبا ثم أزاحت الطاولة، بعد ذلك.. امتدت يدها إلى غطاء القبو لفتحها، شدته نحوها ثم وضعته أرضا، التقطت الشعلة ثم بدأت تهبط إلى الأسفل بحذر شديد حتى لا تنكسر الشعلة أو تنطفئ..

هبطت على السلالم حتى وصلت إلى الأسفل، أحست بشيء يختلف عن ذي قبل، لقد كان الممر أكثر برودة وأكثر اختناقاً، سارت قليلاً حتى وجدت الحقيبة في مكانها، هذه الحقيبة الجلدية التي أحست أنها رأتها من قبل ولم تكن تعلم أين أو متى رأتها!

وضعت المشعل الذي يتراقص وهجه جانبا على الرغم من سكون الهواء الخانق في الممر ثم فتحت الحقيبة وأخذت تنظر إلى ما فيها على ضوء المشعل.

فزعت حين رأته الكأس في الحقيبة، تأكدت من أنه كأس والدها بالفعل، كادت أن تضع الحقيبة أرضاً وتعود بالكأس وترحل لولا أنها أحست بفضول لتعرف ما بداخل الحقيبة أيضاً.

وضعت يدها في الداخل فأحست بشيء لين تحيط به لفاقة، أخرجته ثم بدأت تنزع اللفاقة من حوله..

شهمت فيورينا حتى كادت أن تفقد الوعي لولا أنها تماكنت نفسها، كتمت صرختها بيدها وهي تنظر إلى الشيء الذي لا يزال في يدها.. ألقته على الأرض وسقطت الحقيبة من يدها هي الأخرى فسقط منها شيء آخر!

جحظت عيناها وهي تتراجع لتلتصق بالجدار فاحتك ظهرها به وهي تنزل لتتكوم على الأرض، دق قلبها بعنف وهي تحاول أن تلاحق أنفاسها المتسارعة بينما تنظر إلى الأشياء التي على الأرض أمامها.. لقد كانت قلباً وذراعاً.. ذراع فتاة لقت حتفها منذ يومين!

هبت فيورينا واقفة وأمسكت بيدها الشعلة وهي تنوى الهروب من هذا المكان، توجهت نحو فتحة القبو وكادت أقدامها أن تلامس أولى درجات السلم إلا أنها سمعت صوت أقدام في الأعلى!

توقفت في مكانها ثم بدأت تتراجع إلى الخلف قليلاً تراقب ما يحدث وهي ترتجف من الفزع..

فجأة.. انفتح غطاء القبو، ورأت ظلاً يسد الفتحة وهو يوشك على النزول، استدارت على الفور وصارت تلهث في اتجاه مغاير، لم تكن تعلم أين تمضي ولكنها كانت تركز دون أن تفكر في شيء آخر. توقفت قليلاً لتلتقط

أنفاسها، خبأت الشعلة خلف بروز في الجدار حتى لا يكشف الضوء عن مكانها.

في ظلام الممر وهي واقفة تستند على الجدار أحست بشيء يتحسس شعرها، كان خفيفا على نحو ما، ركزت قليلا لتكتشف هذا الشيء وهي ترفع عينيها إلى الأعلى دون أن تحرك رأسها، تجمد الدم في عروقها حين زاد ثقل هذا الشيء وصار يسير على شعرها.. صرخت فيورينا عاليا وهي تلقي الجرذ السمين عن رأسها ليقع على الأرض ويفر هاربا، هنا سمعت شيئا غريبا، لقد كان فحيحا أعقبه صوت ضحكات تأتي من أول الممر!

أحست بتسارع الأقدام من خلفها فأسرعت في ركضها، وصلت إلى مفترق طرق في الممر، افترق الممر إلى طريقتين أكثر ضيقا لا تعرف إلى أين يؤديان ولا تعلم ماذا تختار، حسمت أمرها سريعا ثم اختارت الممر الذي على يسارها فقد كانت تشعر ببصيص ضوء يأتي في آخره، ركضت بأقوى سرعتها على حذر لضيق عرض الممر وفي يدها الشعلة، اقتربت أكثر من بصيص الضوء الذي أحست به حين اختارت هذا الممر، اقتربت أكثر.. وحين وصلت إليه وجدته شعلة معلقة على جدار.. جدار حجري يسد الممر، صرخت فيورينا وترددت صرختها في أرجاء المكان!

اقترب الفحيح منها أكثر وأكثر يخلط به صوت ضحكات مفزعة، لم يستطع الضوء أن يظهر هذا الشخص إلا أن فيورينا صرخت تقول:

-ماذا تريد مني يا سباستيان.. لماذا قتلت رفيقتي التي أحبها.. لماذا قتلت لاركو المسكين؟!

اقترب الظل أكثر حتى بدأت ملامحه أن تتكشف..

-فيورينا.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

شهمت حين رأت كوشان أمامها، ألقت بنفسها بين ذراعيه وهي تصرخ
باكية، همس كوشان في أذنيها:

-لقد كنت أحسب أن سارقا اقتحم حجرتي وتسلل إلى هذا الممر القديم
الذي اكتشفت وجوده منذ أن جئت إلى هنا، أخبريني هل انت بخير؟

لم تتلق فيورينا بل اكتفت بدموعها التي تتسكب على صدره، أحاطها
كوشان بذراعيه وهو يقودها في الممر إلى الخارج، وحين اقتربا من السلم
التفتت فيورينا إلى الحقيبة وهي تقول:

-لا أتذكر أين رأيت هذه الحقيبة من قبل.. لقد وضع فيها القاتل أعضاء
الضحيتين واستطاع أن يسرق كأس أبي.. لماذا يفعل هذا يا كوشان؟!

تفاجيء كوشان بهذه الأشياء الساقطة على الأرض فنزع ذراعيه من حول
فيورينا وجلس على ركبتيه يلملمها ويضعها مرة أخرى في الحقيبة.

حين وضع كوشان يده على الحقيبة اشتعل ذهن فيورينا مرة واحدة.. انهال
عليها مشهد حدث أمامها كانت قد نسيته، فجأة تذكرت أين رأت الحقيبة
أول مرة.. لقد كانت الحقيبة التي رأتها حين فقدت وعيها في غرفة كوشان
بالأعلى بجوار الكتاب الذي امتدت يدها لإلتقاطه وتصفحه، تتذكر كوشان
حين أبعد الحقيبة ووضعتها بعيدا في ركن من أركان الغرفة.. لقد كانت
حقيبة كوشان!!

جحظت عيناها ثم تراجعت إلى الوراء وهي تنظر إلى كوشان الذي أوشك ان ينتهى من ربط حقيبته، اعتدل واقفا ثم استدار خلفه، اندهش من نظرات فيورينا نحوه فقطب جبينه وهز رأسه يستفهم بلسان حاله عما ادهشها وأخافها إلى هذا الحد.

لكن فيورينا التي تصلبت في مكانها لم تقل شيئا..

ابتسم كوشان ابتسامة هادئة ثم قال:

-إذن فما باليد حيلة

ثم هوى بقبضة يده على مؤخرة رأسها فسقطت فاقدة الوعي.

أفاقت فيورينا قليلا إلا أن عينيها لم تستطع أن تبصر ما حولها بدقة، لم تستعد وعيها كاملا، أحست بألم في رأسها، بدأت تتذكر ما مر عليها من أحداث، كانت الرؤية مشوشة ولا تستطيع أن تفتح عينيها بصورة كاملة، تدريبيا بدأت تشعر بما حولها، وجدت نفسها ممددة على الأرض بينما يستند ظهرها إلى جدار في مكان ضيق، كان عبارة عن نتوء واسع في جدران الممر.. تجويف يشبه كهفا ضيقا، حاولت تحريك يديها ورجليها إلا أنها كانت مقيدة.

أخذت تلاحظ أكثر المكان الذي تتبع فيه، انفتحت عيناها واستعادت وعيها بشكل كامل، اتضحت صورة الخيال الذي كانت تراه أمامها حين أفاقت، لقد كان كوشان الذي يجلس أمامها، كان يضع اناء فوق نيران مشتعلة

وبجواره ذراع وقلب وكأس ذهبي مرصع بالألماس والأحجار الكريمة وأشياء أخرى لم تكن فيورينا تعرف ما هي..

-أعتذر عن تلك الضربة.. لم أحب أن تكونى جزءا من هذا

قالها وهو يفتح علبة زجاجية ويصب منها سائلا فوق الاناء الموضوع على النار، ثم وضعها جانبا، أمسك بزجاجة أخرى وصب ما فيها في الاناء فتوهجت النار من اسفله.. أعاد الزجاجة مرة أخرى مكانها ثم رفع رأسه..

-لقد قدم أجدادى من الهند قديما إلى هنا، حكى لى أبى عن معاناتهم عبر القرون وروى لى أبشع القصص التي حدثت لجده وأبيه الذين قتلوا شرقتة على يد أحد نبلاء كلوج.. لم أكن أصدق أبى كثيرا لأننى كنت انعم بصداقة قوية مع أحد أبناء النبلاء الذي كان أبى يعمل لديهم أجيورا، إننى وقتها كنت أعلم ان الرومان يسومون العجر أشد العذاب إلا أنتى كنت أثق أنه في كل بلدة ظالمة هناك أختيار سينتصرون يوما ما ويعيدون الحق لأصحابه ويدافعون عن المستضعفين الذين دهستهم أقدام النبلاء.

لكننى تخليت عن هذا كله حين قتل أبى وأمى في غابة هويا باكيو.. أتعلمين من سلمهم إلى الكونت دينكا ليقتلهم مع المائة فجرى؟؟ إنه صديقى هذا الذي كان يعمل أبى عند أبيه، لقد جاءنى وطلب منى أن اهرب لأننى لست شريرا مثل أبى وأمى، وحين سألته أين أبى وأمى قال لى: هؤلاء سحرة أشرار كانوا يختبؤون في مخزن للقمح حين جاء جنود الكونت لطلبهم، فأخبرت أبى بمكانهم.. اهرب أنت يا كوشان، فهربت وقتها وعلمت بما حدث بعدها بليلة واحدة في هويا باكيو، لكننى عدت إلى صديقى هذا خفية

في الليل، وطعنت والديه في فراشهما ثم فصلت رأسهما ووضعتهما بجواره على فراشه ليستقبلهما بتحية الصباح حين يفيق، وتركته حيا كما تركنى حيا!.. وقتها علمت ماذا سأفعل فيما تبقى من عمري.. سأقتص من قتلة

أبى وامى وكل من شارك بصمته في ذلك من الملوك والنبلاء..

رمقته بنظرة حانقة وهى تقول:

-وهل ايفيليان المسكينة ولاركو صانع الخمر تسببا في قتل والدك؟!

قال لها بلهجة ساخرة:

-بالطبع هذه الأرواح البريئة ليست غايتى ولكنى صنعت لهم معروفا حين قتلتهم، إنه التطهير من الدنس والخطايا، إنهما وكل من يعمل في تلك القلعة عليه أن يكفر عن ذنبه، حتى أباك عليه أن يكفر عن مهاجمته لنا بدلا من أن يقوم بمعاقة كل من قتل بنى قومى، حان وقت التطهير وهأنذا أصنع لهم جميعا هذا المعروف، سأستخدم لاركو وايفيليان في مهمة عظيمة، سأصنع من أجزائهما لعنة تسحق الملك!

-أنت لست إلا أحمقا أعماه الإنتقام!

-وأنت لست إلا فتاة مدللة أعماها حبها لأبيها عن أن تبصر الحقيقة.. حقيقة أنه ليس إلا قاتلا متورطا مع غيره من النبلاء الحاكمين في إبادة شعبى البائس!

-أنت تلوى الحقائق ليأ ولا فائدة من مجادلتك، ولكنى لا أفهم شيئا.. كيف قتلت لاركو؟ ألم تكن مسافرا ليلتها كما سمعت!

-كنت أحتاج لاركو.. قلب لاركو حتى أكون دقيقا، فادعيت السفر وطلبت منه أن يبني بيوت ليحرس الطاحونة إلى أن أعود، وفى الليل حين تأكدت من نومه اقتحمت الغرفة ومنحته التطهير الذي يستحقه، انتزعت قلبه ثم لجأت للغابة لأمكث فيها ثم أعود في ليلة الغد، تأكد الناس أن القاتل إنما كان يريد قتلى ربما لأنى وشيت على غابة هويا باكيو كما يظنون وهكذا ابتعدت الشبهات عنى تماما!

ثم صمت قليلا وقال:

-ولكن دعيني أقول لك شيئا، هذا النبيل المدلل سخي فحقا، لقد كان يطاردك في كل مكان، حتى أننى حين تسللت إلى القلعة ليلا لأقتل ايفيليان وجدته يصعد السلم نحو غرفتك، لا أعلم لماذا يقف هذا المعتوه أمام غرفتك ليلا، وحين كنت أتبع ايفيليان وهى تصعد السلم أحسست به في الأعلى لكننى لم أمهلها أكثر من هذا فقممت بتطهيرها ثم استعرت يدها، وحين هبطت إلى الأسفل سمعت صوت خطواته على السلم، يبدو أنه كشف مقتلها ففر هاربا قبل أن يقبضوا عليه.

اندهشت فيورينا غاية الدهشة وهى تنصت لتلك الحقائق التي هزت كيائها وقلبت أفكارها رأسا على عقب، ثم تنبعت إلى كوشان الذي التقط الذراع الذي أمامه ثم قام بوضعه في السائل المغلى في الإناء فأحدث صوتا عاليا وانبعثت في المكان رائحة شواء عفنة، كتمت فيورينا أنفها فقد كانت تشعر بأعنى مشاعر التقزز والفرع، إنها تشم رائحة شواء ذراع صديقتها ايفيليان، التفتت جانبا حين أحست بأنها ستتقيأ لكنها لم تستطع التقيؤ..

نظرت إلى كوشان وهو يمسك قلب لاركو ويستعد لوضعه في الإناء هو الآخر،
أغمضت عينيها وهي تسمع صوت احتراقه في السائل.

فتحت عينيها ثم قالت:

- هل دبرت محاولة قتلى لتنال ثقة أبي؟!

- بالضبط هذا ما حدث.. لكنني لم أكذب حين قلت بأنني اعترضت على
قتلك.. كان هناك مخطط لقتلك بالفعل لكنني اعترضت عليه وقدمت
لهم خطة بديلة، حين هجم ماريان على الغابة كانت الخطة أن أسقط في
طريقه حتى يتم القبض على، فلم يكن سقوطي شديداً حتى أفقد الوعي
وإنما ادعيت ذلك حتى لا يتم قتلى، ترك اخواني الفرصة للملك ماريان أن
يهرب بي، وحين وصلت إلى هنا كان لا بد لي من نيل ثقته حتى يتسنى لي
الاقامة هنا والبقاء بقربه لأنفذ المخطط الأكبر وهو قتله!

- قتل أبي.. لن تقدر على ذلك أيها المعتوه الحقير

أكمل كأنه لم يسمع شيئاً:

- كان الأمر مدبراً للهجوم عليك أو على من تتقمص شخصيتك.. لا أعلم
لماذا تأخر الهجوم على صديقتك ايفيليان.. ربما لم تستطع المجموعة
المكلفة بتنفيذ الهجوم من الإقتراب من المزرعة، أو شكت أن أفقد حياتي
بالفعل لولا أن حالفتي الحظ بفضل خروجك من القلعة ومهاجمة المجموعة
لك في الغابة، فهذا وحده هو ما أنقذني وأنقذ المخطط. والآن لم يتبق
سوى خطوة أخيرة.. قتل ماريان

صرخت فيورينا:

-قلت لك لن تقدر وسيتم القاء القبض عليك وسأقتلك بيدي هاتين

ضحك كوشان في سخرية وهو ينظر إلى الإناء أمامه، كان السائل يفور بما فيه، التقط جوالا صغيرا بجواره وقام بفتحه ثم غاص بيده فيه، كانت فيورينا تترقب ما يفعل، شهقت حين رأته أخرج أفعى تتلوى وهو يطبق بيده على رأسها، بيده الأخرى تناول سكينها بجواره ثم رفع الأفعى أعلى الإناء الذي يغلى وإذ به يقوم بفصل رأسها عن جسدها لتتناثر بعض قطرات الدم وتسقط في الإناء.

توهجت النار أكثر، امتنع وجه فيورينا وهي تتراجع بظهرها وتلتصق بالجدار، وضع كوشان رأس الأفعى جانبا ثم أخذ يسلخ جلدها عن أحشائها التي نحاها جانبا ثم أخذ الجلد ووضعه في الإناء، ظهرت ابتسامة على وجهه وهو يخلط الإناء ويقلمه بعصا خشبية..

نظرت إليه فيورينا بزرع بالغ:

-ماذا تفعل؟!

أمسك الكأس الفارغ بيديه وهو يقول:

-اليوم ستسحق ماريان لعنة قاتلة، لم أكن مغرما بالسحر وطرقه على الرغم من أن السحرة من العجر الذي تقابلت معهم كانوا يهيمسون لى بكلمات في أذنى.. كانوا يدعون أنى أتمتع بنقاء داخلى يمنحنى قدرة على سبر أغوار العالم الأخر.. نصحونى بأن أمارس السحر لأتدرب على الإستفادة من قدرتى تلك، وحين مارسته في الغابة صار السحر صديقى منذ ذلك الوقت.

أمسك الإناء بيديه ورفع من فوق النار ثم صبه ببطء شديد فوق الكأس حتى امتلأ عن اخره، أنزل الإناء ووضع جانبا ثم أمسك الكأس بكلتا يديه مرة أخرى وهو ينفث فيه بضمه، لم تستطع فيورينا أن تسمع شيئا من تمتته، انزل كوشان الكأس قليلا إلى الأسفل ثم قال بصوت قوى:

-قلب لاركو الذي يصنع الخمر.. وذراع ايفيليان التي تقدم الخمر.. والكأس التي يشرب فيها الخمر.. الآن سأتلو اللعنة!

ارتعدت فيورينا في مكانها وصارت ترتجف حين هبت النار فجأة وأخذت تتراقص على نحو عنيف، أغمض كوشان عينيه وقرب الكأس الممتلىء إلى فمه ثم تمتم قليلا بصوت هامس قبل أن يرفع صوته عاليا لتشعر فيورينا أنه يأتي من زمن سحيق:

كوكالو (Kokalo) ... ماريمي (Marimi) .. زور (Zor)

مولو (Mulo) .. مولانى (Molani) .. تشور (Tshor)

فورتيمو (Vortimo) بريكاسا (Prikasa)

ناتسيا (Natsia) بومانانا (Pomana)

ناسواليموس (Naswalemos)

ناسواليموس (Naswalemos)

ناسواليموس (Naswalemos)

ارتج المكان حتى أحست فيورينا بأن الصخور تكاد تهبط على رأسها،

واهتزت الأواني الزجاجية الموضوعة أمام كوشان وسقط بعضها أرضاً!

فجأة..

سقطت إحدى الحقائب القديمة على أرض القبو فأحدثت صوتاً عالياً، نظرت إلى الحملأوي مندهشاً ولكنه كان مبتسماً تلك الإبتسامة الغريبة حتى تكشفت أسنانه الحادة اللامعة، أخفض الورقة التي رفعها منذ لحظات ثم أعادها إلى جيبه مرة أخرى!

تعجبت حين أخرج الحملأوي ورقته الصغيرة وهو يقص على قصته وكيف أنه أخذ يتلو منها تلك التعويذات التي تلاها كوشان على الكأس، لماذا كان الحملأوي دقيقاً إلى هذا الحد في نقل تلك الكلمات؟!

إلا أن ما أراه الحملأوي من خلق جو نفسي لقصته تحقق بلا شك فكأنني أشعر بأن كوشان يجلس أمامي ويتلو لعنته، وفيورينا تتكوم في تجويف ضيق داخل الممر لا تعرف عن مصيرها أو مصير أبيها شيئاً، دعونا -إذن- نكمل ما بدأه صفوت الحملأوي فقد أوشك الشروق على المجرى.

أشرت إلى الحملأوي أن يأتي بما عنده.

أخفض كوشان الكأس وأفرغه مما فيه في الإناء الذي أمامه، ثم غسله جيداً بالماء.

-والآن.. سأصعد إلى القلعة من هذا الممر وأعيد الكأس إلى المطبخ-

لتأخذه ألكساندرا في الصباح إلى ماريان وتذيقه الخمر الذي اعتاد على تناوله، سيضحى آخر جرعة خمر تلمسه شفثناه.. هذا الصباح ستسمع أرواح الفجر المائة بالسلام بعد أن يتحقق لها الإنتقام، نسيت أن أخبرك أن الممر هذا يقود إلى أعلى القلعة، علمت بأمره وأنا أتحدث لأحد الحراس ذوى الرتبة العالية في القلعة فأخبرنى أن الطاحونة بها ممر سرى يقود إلى القلعة وتم بناء هذا النفق وغيره من الأنفاق التي تتوزع في أماكن مدروسة ليتسنى للملك ومن بالقلعة الهروب من خلالها في حال وجود أي تهديد يهدد سلامة من بالقلعة، ولكن هذا النفق تم اهماله بعد ذلك وأمر الملك بسده عن طريق صخرة عملاقة، إلا أنهم نسوا تماما أن النفق كان له طريقين فسدوا واحدا ونسوا الآخر الذي يزيد خطورة عليه.. فهذا الممر توجد فتحته في اسطبل الخيول بجوار مبنى القلعة ذاتها.. المبنى الذي تسكنين فيه!

-سوف أقتلك بيدي هاتين أعدك بهذا أيها القاتل الحقير

-ليس وأنت مقيدة هكذا يا عزيزتى.. فسأتركك هنا لأعيد الكأس إلى مكانه ثم أعود لأخذ أغراضى وأرحل بلا رجعة، لا تقلقى فسيجدك أحدهم حتما قبل أن تموتى جوعا.

قام كوشان واقفا وبيده الكأس ثم أخذ شعلة النار ومضى تاركا فيورينا تغرق في ظلام الممر الدامس، سلك الممر الذي يقود لفتحة الإسطبل في ساحة القلعة، كانت خيوط النور تزداد معلنة اقتراب شروق شمس هذا اليوم وهناك في آخر ما تبقى من ظلام الليل استطاع أن يخرج من الفتحة ويجتاز

الطريق نحو باب المبنى دون أن يراه أحد الحراس الذي يجوبون الساحة جيئةً وذهاباً، صعد على السلالم الحجرية وصولاً إلى المطبخ وهناك وضع الكأس مكانه ثم غادر مسرعاً قبل أن يشعر بوجوده أحد الخدم الذين بدأوا في الإستيقاظ واحداً تلو الآخر.

استطاع كوشان أن يصل إلى فتحة الممر مرة أخرى وسار في طريقه إلى فيورينا فوجدها ممددة كما هي والإعياء الشديد يبدو على وجهها، قام بحمل أغراضه وهو ينوى الرحيل من فتحة القبو على الفور

-فيورينا.. أحب أن أقول شيئاً قبل أن أغادر، أراك الآن تحكمين عليّ بأننى قاتل يستحق العقاب، ربما لو مررتِ بما مررت به لتغير موقفك هذا، لا مرارة تفوق مرارة الظلم ولا لذة تفوق لذة القصاص

صمتت فيورينا وهى ترمقه بنظرة صارمة ولم تجبه، ودعها كوشان بنظرة أخيرة قبل أن يعطيها ظهره..

-كوشان

استدار كوشان مرة واحدة..

-ماذا يا فيورينا؟!

قالت بلهجة ثابتة:

-أريدك ألا تنس شيئاً واحداً.. سأقتلك بيدي هاتين!

ابتسم لها كوشان ثم أطلق ضحكة صغيرة أراد لها أن تبدو ساخرة إلا أنها

خرجت في ثوب من القلق والتوجس، رمقتها بنظرة سريعة ثم ترك الشعلة معها ومضى.

فتح كوشان غطاء القبو ثم صعد إلى غرفته في الأعلى مسرعا وبدأ يجمع أغراضه في حقيبته، كان يريد الرحيل قبل أن تشرق الشمس ليحاول الابتعاد عن القلعة قبل أن ينكشف أمره ويعثر أحدهم على فيورينا، فتح باب غرفته وبخطوات مسرعة توجه إلى باب الطاحونة..

وقبل أن يفتح الباب أحس بشيء يقترب من خلفه، استدأر للخلف بسرعة إلا أن طعنة الخنجر كانت أقرب إلى جنبه الأيمن!

دقق كوشان النظر على خيوط الضوء المتسللة من النافذة الصغيرة للطاحونة فوجد سباستيان يقف أمامه والخنجر في يده يتقطر بدمائه، حاول كوشان جاهدا الوقوف على قدميه إلا أن سباستيان عاجله بطعنة أخرى اخترقت أمعائه.

خر كوشان على الأرض صريعا فتركه سباستيان ثم ركض نحو الغرفة ليهبط من فتحة القبو إلى الممر ليبحث عن فيورينا، اخذ يصيح في داخل الممر قبل أن ينتبه لوجود ضوء يأتي من الداخل، تتبع أثره إلى أن وصل إلى فيورينا التي أنهكها التعب، نظرت إليه فيورينا والمفاجأة تملو وجهها..

-سباستيان!!

-نعم يا فيورينا هو أنا، لقد أحسست بأن هذا الفجرى يضمم الشر للقلعة، ثم أنتى تذكرت قبل أن أرحل بأننى رأيتة ليلة مقتل لاركو وهو يدخل إلى الطاحونة، في تلك الليلة كان الأرق قد أصابنى فنزلت لساحة القلعة

وخرجت أتمشى حولها، وقتها اعتقدت بأننى لم أتأكد من رؤيته نظرا لما سمعته بأنه كان مسافرا واعتقدت أننى رأيت شخصا آخر، كنتى أخشى عليكى كثيرا وأشعر بخطر ما يحدث بك فكنت أراقب حجرتك، وحين غادرت أنا ورجالى عن القلعة لم أقدر على تركك فعدت لأجذك تسيرين في الغابة وحدك فحاولت اللحاق بك إلا أن الخوف أصابك ففررتى إلى الطاحونة واختبأتى بها ولم أستطع العثور عليك بعدها، ظننتك عدتى إلى القلعة من طريق آخر فانتظرتك في الغابة إلا أنك لم تظهرى وقتها واعتقدت انه ربما تكونين قد سلكتى طريقا آخر، فجئْتُ إلى هنا لأجد كوشان هذا خارجا من القبو محاولا الهرب فقتلته ثم اعتقدت بأنك في الأسفل فجئْتُ إليك، كم أنا سعيد لأنك بخير.. هيا بنا نخرج من هنا

نظرت إليه فيورينا بنظرات ممزوجة بالإمتنان على كل ما فعله والأسى على الظنون السيئة التي كانت تظنها ناحيته، ثم قالت:

-سباستيان إن أبى في خطر وعلينا الإسراع لإنقاذه في الحال

استندت على كتفه وهما يسيران للخروج من القبو، حين صعدا إلى الغرفة وتوجها إلى باب الطاحونة استطاعا أن يشعرا بقرب شروق الشمس، همست فيورينا إلى سباستيان وسألته:

-أين جثته؟

أخذ سباستيان يتفحص ما حوله مستغربا..

-كانت هنا.. وها هي دمائه تفرق المكان!

-هل تأكدت من قتله؟

أراد أن يجيب عليها لولا أنهما شعرا بشيء يندفع من خلفهما!

صرخت فيورينا وهي ترى خنجرا يستقر في صدر سباستيان الذي وقع على الأرض والدماء تتقطر منه وهو يتأوه من الألم، بجواره كان كوشان راكعا يلتقط أنفاسه بعد ان فقد الكثير من الدماء، قامت فيورينا نحو سباستيان إلا أن كوشان اعتدل واقفا ولطمها على وجهها فارتدت إلى الوراء فاصطدمت رأسها بشيء معدني حاد فوقعت أرضا فاقدة الوعي!

اقترب كوشان ببطء من سباستيان الذي يحاول بيديه جاهدا منع الدماء الغزيرة من التدفق خارجه، وقع كوشان من الضعف أكثر من مرة قبل أن يرفع خنجره عاليا ويصوبه إلى قلب سباستيان.

تقطرت الدماء من البلطة التي تمسك بها فيورينا بعد أن شجّت بها رأس كوشان قبل أن يصل نصل خنجره إلى قلب سباستيان، أرادت فيورينا أن تحمل سباستيان على الوقوف إلا أنه طلب منها أن تسرع لنجدة أبيها ثم تبعث أحدا لإنقاذه، نظرت إليه فيورينا بتردد قبل أن يستجمع قوته ويصرخ فيها للذهاب.

خرجت من الطاحونة لتجد أمامها أحد المزارعين الذي شرع في عمله مبكرا فأخذت منه حصانا يجرب به عربته وطلبت منه نجدة سباستيان في الطاحونة ثم أسرع إلى القلعة.

استيقظت الكساندرا من نومها ثم توجهت إلى المطبخ كعادتها، شهقت حين رأت الكأس في موضعه، تعجبت غاية العجب من هذا الأمر ولم تعرف

من أخذه أو من أعاده موضعه، لعل أحد الخدم الكارهين للسلطة التي نالها بعد مقتل ايفيليان أخفاه عنها ليوقعها في المتاعب، أمسكته في يدها وكأنها تتأكد من وجوده حقيقة ثم وضعت بجوارها حتى تصب فيه الخمر الذي تعود ماريان على تناوله حين يستيقظ من نومه.

في غرفة ماريان انفتحت الشرفة وخرج منها الملك ليستقبل عبير الصباح بوجهه، وحين أحس أحد الخدم بالضوء ينبعث من غرفة الملك أسرع إلى ألكساندرا ليخبرها بذلك حتى تتجهز.

صبت ألكساندرا الخمر في الكأس فرأته يفور وكأنه يغلى في الجحيم، كان هذا للحظة واحدة ثم هدأ الخمر في الكأس بعدها، استغربت بشدة لما رأته لكنها لم تلبث أن أفاقت من دهشتها حتى لا تتأخر عن الملك ثم حملته وذهبت به إليه.

في الأسفل صاحت فيورينا بحراس القلعة فانفتح الباب، هرولت في الساحة نحو باب المبنى، أخذت تركض على السلم وهي تسابق الزمن، كانت تعلم أن الشمس قد أشرقت وأن أباهما الآن ينتظر كأسه ليتناوله وعليها الإسراع لتمنعه من ذلك.

اقتربت من غرفة أبيها.. فتحتها على الفور ثم نظرت فإذا به يرفع الكأس ويتوجه به نحو فمه، صرخت فيه فيورينا فالتفت إليها ممسكا بالكأس وما ان رآها حتى ابتسم وقال:

-الآن أستطيع أن أشرب كأسى المعتاد بصحبة جميلتي الفاتنة-

ثم وضعه على فمه، وصلت إليه فيورينا فدفعت الكأس من يده وأراقتة على الأرض!

نظر إليها ماريان بدهشة وقال:

- ما بك يا فيورينا.. ما أصابك؟!

التقطت أنفاسها وهي تطلق كلمات الحمد والشكر في وسط حيرة ودهشة من أبيها الذي لا يدرى بأسباب ما جرى..

قال ماريان:

-ألا تزالين تخشين عليّ من كأس الصباح هذا!!.. أخبرتك أكثر من مرة أنه وحده من يعينني على تحمل يومي بعد أن كنت أستعين بقبلة أمك الحانية. ثم سكت قليلا وبعض الذكريات تداعب مخيلته فصارت ترسم ابتسامة على وجهه..

فجأة...

أطلق ضجكة قوية رجّت المكان حتى أن بعض الخدم المحيطين بالغرفة سمعوا بها!!

ثم قال مازحا:

-أتعلمين يا فتاتي، من حسن الحظ أن هذا هو الكأس الثاني الذي أردت تناوله، لقد فزت بالكأس الأول في غيابك منذ لحظات.

شهقت فيورينا من الفرع وجحظت عيناها وهي تنظر إلى أبيها..

وضع ماريان يده على جبينه..

- أشعر أنى لست على ما يرام.. ألهذا الحد كان هذا الكأس مسكرا؟!

ثم ضحك وهو يقول:

- فيورينا من أتى بهذا السحاب إلى غرفتنا هذه؟!.. أم أنا الذي طرت نحوه؟!.. أو ااه ما أجمل تلك الحسناوات اللاتي يتمايلن أمامى!.. من أتى بهن؟!.. فيورينا كم أنتى فاتتة يا فتاتى.. كم تشبهين والدتك الجميلة.. أوه ما هذا!!.. إننى أراها الآن تمد يدها نحوى.. اقتربى واعطنى قبلة فقد اشتقت إليك

صرخت فيورينا وهى تبكى..

- أبى.. أبى.. أى لعنة تلك التي أصابتك!

تمتم ماريان وهو يتمايل محاولا الوقوف الا أنه سقط أرضا..

- مالى لا أقوى على الوقوف؟!.. فيورينا ابنتى.. ما هذا الذي أشعر به؟!.. لا لا.. بل من هؤلاء الذين يقفون ها هنا؟!.. اطردهم على الفور.. ماذا تريدون منى؟!.. من أنتم بحق الجحيم!.. فيورينا ادفعى عنى يا ابنتى فأنا لا أقوى على طردهم.. إنهم كشياطين أتت من الجحيم.. أو ااه ما هذا الالم الذي يعترض أمعائى؟!.. بل ما هذا الجمال الذي يتمتع به هذا الصباح الأنيق.. عينى لا أقوى على غلقها.. بل لا أقوى على فتحها.. ماذا يحدث لى.. ماذا يحدث لى!!

صرخت فيورينا بجوار أبيها الذي صار يهدى ويتناثر اللعاب من فمه ويتلوى

على الأرض، وكلما حاولت الإقتراب منه دفعها بيده، تجمع الحراس الذي اتوا لنجدة الملك وحاولوا غوثه إلا أنه تناول سيفه ولوح به أمامهم فجرح أحدهم، تراجع الحراس إلى الوراء وهم لا يعلمون ما أصاب الملك، وقف ماريان مستندا على سيفه وهو يتراجع إلى الوراء ثم نظر من نافذة القلعة المفتوحة وهو يقول:

-زوجتي الحبيبة.. أنا قادم إليك يا حبيبتي
ثم ألقى بنفسه من النافذة!

لم تتحمل فيورينا المسكينة ما أصاب والدها وأرادت أن تتفزز من خلفه لولا أن الحراس أمسكوها في الحال، أصابتها الحمى في هذا اليوم وكانت حمى شديدة لكن أطباء القلعة استطاعوا أن ينقذوها من شراك تلك الحمى فتمثلت للشفاء بعد أيام قليلة.

كان أول شيء أمرت به فيورينا حين نهضت من فراش مرضها هو صنع كومة كبيرة من الحطب وأمرت بأن يشعلوا فيها النيران بعد أن وضعوا بها جثة كوشان التي كان قد تحفظوا عليها دون دفنها في انتظار أمر مليكتهم الجديدة، ووضعوا أيضا في كومة النار الكأس الملعون الذي تراه في مكتبتى هذه!!، وبعد مرور أقل من شهر كان سباستيان يتماثل للشفاء بفضل اعتناء فيورينا وحرصها على العناية به، لم تتردد فيورينا بعد ذلك في الموافقة بالزواج من الأمير سباستيان ثم خلعت تاج الملك وألبسته اياه في مراسم احتفال رائعة وضخمة دُعِيَ لها النبلاء والعامّة من كلوج وأراد إلا شخصين

اثنتين أمرت فيورينا ألا يكونا حاضرين في مراسم الإحتفال وسط النبلاء وكبار القوم وإنما أمرت بأن يحضرا المراسم واقفين مع العامة يأكلان مما يأكلون ويشربان مما يشربون.

كاد أن يضحك مارك بول وهو يتأمل الوجوم الشديد الذي بدا على وجه فلانتين جروزا في وسط الحشود التي تهتف باسم الملك والملكة وهما يتحاشيان قدر الإمكان أكتاف العامة وأقدامهم التي تعبت بثيابهم التي اتسخت، وتلطخت رؤسهم بما ينسكب عليها من زجاجات الخمر التي يتلاعب بها الفتیان والفتيات من حولهم. استدار جروزا مرة واحدة ليصرخ في أحد الفتیان ورائه بعد أن أسقط قشرة موز على رأسه فإذا به يرى فتى جامحا ذا بنية قوية ينظر إليه في تحد فرمقه جروزا بحنق شديد دون أن يقول شيئا ثم سمع صوتا بجواره زاد من غيظه.. كان صوت مارك بول الذي حاول إخفاء ضحكته العالية قدر الإمكان.

تثاءب الحملاوي حين توقف عن سرد قصته إلى الأبد، ها هي النهاية قد حلت، الآن أنظر إلى الحملاوي وقد بدا أكثر راحة من أي وقت مضى، لم تعد ابتسامته مريية بل عادت إليه ابتسامته اللطيفة التي لاحظتها عليه في حفل التوقيع عندما رأيت له لأول مرة هناك.

اعتدل واقفا ثم سار خطوات نحو زر الإضاءة فأغلقه فساد المكان ظلام مخيف.. بعد أقل من لحظات استطاعت عيناي أن تبصر خيوط الشمس في المكان، أخذ الحملاوي يراقب أشعة الشمس وهي تتسلل عند السلم من الفراغات الصغيرة في باب القبو، وكان هذا يعنى شيئا واحدا في اعتقاده، لم يعد هناك وجود لتلك اللعنة، وأن مهمتى قد انتهت.

تحرك من مكانه وقام واقفا يمد لى يده امتنانا على ما قدمته له في تلك الليلة ثم صعد السلم وتقدم إلى باب القبو ليفتحه، خرجنا إلى الحديقة واستطعت أن أنتفس هواء الشتاء المنعش وأنا أسمع صوت باب القبو ينغلق من خلفى.

على الرغم من سعادة صفوت الحملاوي بإنهاء تلك الليلة إلا أن الإضطراب لم يزل باديا عليه بعض الشيء ربما لما عاناه في تلك الليلة فطلبت منه أن أساعده في إدخاله الفيلا والصعود معه إلى غرفة نومه في الطابق العلوى فرحب بذلك.

بدأنا نصعد درجات السلم في طريقنا إلى غرفة النوم، وفى منتصف السلم توقف الحملاوي ثم نظر لى نظرة قلقة وقال:

- أرجو منك أن تسامحنى على ما فعلته بك.

استغربت عبارته كثيرا ونظرت له بدهشة أطلب منه التوضيح أكثر فقال:

- هذه اللعنة التي انتقلت إلى بعد قراءة الكتاب حقيقية وكان أمامى واحد وعشرون يوما حتى أتخلص منها.

- أعلم هذا وأنت الآن قد تخلصت منها فلا تقلق

- نعم لقد تخلصت منها إلى الأبد... ولكن أنت لا تعلم كيف!!

كنت مستغربا من كلامه لكننى ظللت صامتا حتى يدلى بما لديه..

قال الحملاوى:

- لقد ألقى الطغاة من الفجر بلغناتهم في هذا الكتاب وكانوا يجبرون من
ينوون قتله على قراءتها ثم يقومون بقطع لسانه!

- أخبرتني هذا من قبل وكنت على وشك أن أفهم منك.. فما السبب إذن؟!

- حتى لا يروى تلك اللعنات لأحد

- أنا لا أفهم شيئاً!!

- هل تتذكر الفقرة التي حدثتك عنها من قبل، الفقرة التي وجدتتها في
كتاب يتحدث عن الفجر وأنا أبحث عن صدق اللعنة وأتأكد من كلام
صديقي عماد الأشموني، تلك الفقرة لم أكملها لك متعمدا حين ذكرت لك
هذا الأمر من قبل، فقد زعموا أن القصة المصابة تؤدي بالضحية إلى أن
تتحمل حظاً سيئاً وبطيئاً إلى أن يوافيها الموت المحقق، " لكن إن تمكنت
الضحية من تمرير القصة بشكل ما إلى شخص آخر فإنه سيتلقى حظاً
جيداً، وأما الشخص الآخر فإنه يصاب بتلك اللعنة!"

- ولكنك تخلصت منها بغير اللجوء لتلك الطريقة، وها هي الشمس تشرق
في اليوم الواحد والعشرين من حدوث اللعنة لتعلن نجاتك!

- ومن قال لك أنني لم أطبق تلك الطريقة الوحيدة للنجاة من اللعنة؟!

- ماذا تقصد؟

- هذه القصة التي رويتها لك..

- ماذا بها؟!

- إنها ذات القصة الموجودة في الكتاب والتي تحمل اللعنة المشنومة

-ماذا تقول!!

-كان على أن أنقلها لأحد، أي أحد، وقد وجدتكَ في طريقى وكأنَّ القدر ساقك لتتقدنى مما أنا فيه، لا أعرف ماذا أقول لك، لقد خدعتك هذا مؤكِّد، لكننى لم أجد خياراً آخر سوى هذا.. فلو أننى أوضحت لك الأمر حين طلبت منك المجرىء إلى هنا ما جئت أبداً ففكرت أن أخبئ عنك كل شئ ثم أوضحه لك في الصباح.

و اعلم أن اللعنة الآن مستقرة فيك و عليك أن تبذل قصارى جهدك في ايجاد شخص آخر لتروى له تلك القصة التي تحمل في طياتها تعويذات قاتلة حتى تتخلص منها قبل شروق شمس اليوم الواحد والعشرين و عليك أن تخبره بحقيقة الأمر في الصباح حتى يتفادى اللعنة هو الآخر. كنت مندهشا لما يقول ولا أدر ماذا أفعل..

-ولكن ماذا لو أننى لا أريد أن أكون مخادعا مثلك!!.. كيف تطلب منى أن أنقل لعنة قاتلة إلى شخص برئ كما فعلت أنت معى!!.. إنك لم تفكر في أنك بهذا تدمر حياة شخص آخر بلا ذنب.. ألا تعتبر نفسك قاتلاً مثلك مثل هؤلاء الطفافة من العجبر!

هز كتفه بشيء من اللامبالاة وقال:

-عندما تجد نفسك على حافة الهلاك لن ينقذك شيء سوى حب البقاء، ستبذل ما في وسعك للنجاة من قدرك المحتوم وستتسى هذا الترف الأخلاقى الذى يمنعك من أن تؤذى أحداً، ستؤذى أى شيء إذا كان هذا هو سبيلك الوحيد للنجاة!

-لقد ألحقت الأذى بي -إذن- في سبيل النجاة من لعنتك القاتلة، لقد كنت مجرد ضحية لك.. جسد مباح تضع فيه تعويذاتك القاتلة.. سلة ترمى بها قمامتك المزعومة، أليس كذلك!!

-نعم هو كذلك.. وهذا ما ستضطر أنت لفعله في الأيام القادمة، هذه هي الحياة يا عزيزي، الكثيرون يلقون بقماماتهم نحوك وعليك أن تقذف بها نحو غيرك وإلا صرت مكباً للقمامة تلتهمك الأمراض ويقتلك البؤس!
لم أعبأ بما يقول، لكنني قررت إنهاء المهمة التي أتيت من أجلها على أكمل وجه وأن أعود من حيث أتيت.

اقترب الحملأوي من غرفته بينما لازلت أراقبه وأنا واقف على السلم..
فتح الحملأوي باب الغرفة وأضاء المصباح..
فجأة...

بدأ في الصراخ عالياً.. كان هائجاً يشير بيديه إلى شئ ما في داخل الغرفة،
اقتربت منها ثم نظرت إلى حيث يقول!
صرخ الحملأوي:

-انظر إلى هذا الحبل المعلق من السقف في وسط الغرفة.. من فعل هذا؟!
لم ألاحظ شيئاً غريباً كان كل شئ يبدو طبيعياً.
-ألا ترى هذا المقعد؟.. أحدهم صعد عليه وعلق تلك المشنقة المتدلية
من السقف.. من يجروء أن يفعل هذا!!

كان يصرخ كالمجنون..

-انظر أيها الأعمى.. ألا ترى الحبل!!.. هانذا أقف على المقعد وأمسك به..
ألا ترى أيها الأبلة!

كنت صامتا ولا أجيبه..

-ألا تر الحبل الذي ألفه حول رقبتى الآن!!.. ألا تر كيف أشده عليها أيها
الأحمق؟

لم أتمالك نفسى أكثر من هذا فاقتربت منه، كان واقفا على المقعد وقد
ربط الحبل حول رقبتة بقوة حتى يبرهن على صدق الأمر.

اقتربت من المقعد أكثر وأنا أشير إليه أن يهدأ ولكنه كان هائجا بشدة
يحاول أن يثبت لى صدق ما يرى، اصطدمت بالمقعد فوق المقعد على
الأرض بينما تدلى الحملأوي وهو يحاول التملص من الحبل الملتف حول
رقبتة ولكن بلا فائدة، لقد جرحه الحبل الخشن وانقطع أحد شرايين رقبتة
فصار ينزف بشدة، كنت انظر إليه وهو يستغيث كطائر مذبوح لكن بلا
جدوى فقد علق الحبل حول رقبتة، لقد مات الحملأوي معلقا في سقف
غرفته!

أغلقت الباب من خلفى ثم أخذت أنزل على درجات السلم بهدوء، حانت
منى التفاتة إلى غرفة المكتب فأتجهت إليها إلا أن لوحة معلقة على الحائط
استوقفتى مرة أخرى تلك اللوحة التي اصطف فيها الحملأوي مع أسرته..
لم يبق من تلك اللوحة أحد على قيد الحياة، تأملتها قليلا ثم أكملت مسيرى
نحو غرفة المكتب.

أزحت بابها الجرار ثم ذهبت إلى المكتبة حيث يستقر التمثال الأسود، أمسكته بيدي أتأمله بعض الوقت ثم قذفت به إلى الحائط فانطلق نصفين ثم خطوت إلى بقاياها المهشمة أدوس عليها بأقدامى وأنا أطلق صفيراً في الهواء.. بعد هذا سرت بخطوات قليلة نحو تماثيل الأطفال المشتعلة فلمست أحدها بيدي فانطفأ ثم رفعت يدي من عليه فعاد ليعمل مرة أخرى، هذه المصاييح تعمل بألية معينة تجعلها تنطفئ مؤقتاً عن طريق اللمس لتضئ بعد ثوان قليلة إذا ما أزحت يدك عنها.. تقنية أضفها الحملأوي لتأبوتة لتضيف إليه المزيد من السحر والغموض.

انطلقت إلى باب الفيلا.. فتحت الباب ثم وقفت أمامه استنشقت عبير الصباح المنعش وأنا أتأمل أزهار الحديقة، ثم غادرت المكان عائداً من حيث أتيت.

قبل ستة عشر عاما سنة ١٩٩٩..

ايتاي البارود

في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل سار حلمي نحو الباب الخلفي للقصر حتى يكمل مهمته التي بدأها منذ أيام.. كان قد اكتشف قبوا أسفل الغرفة الملحقة بالقصر وبها أثار للحفر، هذا القصر الذي اشتراه من أبناء المستشار سليم شريف الصاوي.. كان حلمي هذا عائدا من الخليج مع زوجته منى وأبنائه الثلاثة سنة ١٩٩٣.. كريم وسارة والإبن الأكبر صفوت الذي كان يبلغ حينذاك عشرين عاما.

عاش حلمي مع زوجته منى وأولاده الثلاثة في هذا القصر بصورة طبيعية ولم ينغص معيشتهم شئ سوى تلك القطة السوداء التي رآها الإبن الأصغر حين صعد للطابق الثاني في أول يوم لهم في القصر.. كانت تقلق (منى) أشد القلق فكانت تقوم من منامها فزعة عندما تسمع صوتا بجوار فراشها يشبه الصراخ كأنه أت من الجحيم!

لم يعرفوا سر تلك القطة السوداء التي أخذت في الظهور بعد ذلك في مرات قليلة كلها كانت ليلا!

بخلاف تلك القطة السوداء لم يكن هناك شيء غير طبيعي حتى ذلك اليوم الذي اكتشف فيه (حلمي) تلك الفتحة في القبو قبل أسبوع من تلك

الليلة، كان يعبت في الغرفة الملحقة بالقصر وأغراضها القديمة قبل أن يكتشف وجود القبو أسفل الغرفة والتي أبقاها كما هي أثناء ترميمه للقصر لوجودها في الباحة الخلفية، صار حلمى غريبا، لم يعد يذهب إلى عمله طوال هذا الأسبوع وظل عاكفاً على الجلوس وحيداً في غرفته!

انتبهت منى إلى هذا الأمر وتحدثت إلى زوجها الذي كان يتجاهل حديثها تماماً مدعياً أن قلقها غير مبرر وزائداً عن الحد، وأنه إنما تعب من العمل ويريد قضاء فترة من الراحة في قصره.

فتح حلمى الباب الخلفى للقصر ثم دخل إلى غرفة القبو، كانت أدوات الحفر التي يستخدمها طوال هذا الأسبوع جاهزة.. أخذها ونزل أسفل القبو.. لقد قطع شوطا كبيرا في الحفر وعليه أن ينتهى في تلك الليلة ويصل إلى الشيء المدفون أسفل هذا المكان.. كان يعلم من آثار الحفر أن هناك من سبقه في هذا الأمر.. لكنه لا يدري من هذا الشخص ولا يعلم عما كان يبحث.. لا بد أن هناك ما يستحق أن يدفن على بعد تلك الأمطار وعليه أن يكتشف ما هو!

كان الجو خانقا أسفل القبو وكان المصباح الكهربائى في يده موجهاً إلى حيث يقوم بالحفر..

فجأة توقف عن الحفر حين شعر بأشياء صلبة تظهر في التراب، شق حلى حين رأى عظاما حيث كان يحفر، لم يعلم بأنها تعود لشخص لقى حتفه وهو يحفر في نفس هذا المكان منذ عشرات الأعوام.. شخص يدعى الشيخ عبد اللطيف!

هنا أحس حلمى بشيء غريب يدور من حوله، هذا الإحساس عندما تشعر أنك لست وحدك، دفعة الهواء التي تأتي من خلفك وتشعر بها تلامس رقبتك، لم يكن وحده بالتأكيد، كل الدلائل تشير إلى أنه بانتظار كارثة وعليه أن يتخذ قراره الصائب.. الهرب على الفور!

رمى بالمعول أرضا وتوجه إلى السلالم حتى يخرج من فتحة القبو.. انغrust أقدامه في إحدى درجات السلم المنكسرة فحاول اخراجها بصعوبة، تمكن في آخر الأمر من نزع قدمه لكن ولحظه التعس.. لقد أغلق أحدهم فتحة القبو!

صرخ حلمى صرخة كانت كافية لإيقاظ الموتى من مقابرهم إلا أنها لم تتجاوز جدران القبو المغلق!

عند الفجر أفاق حلمى ليجد نفسه ممددا على فراشه ومن حوله زوجته وأبنائه، لقد انتبهت منى لهوضه وقررت أن تتبعه لتعلم السر وراء نهوضه من فراشه كل ليلة في هذا الوقت طوال هذا الأسبوع، ولولا فعلتها تلك لمات حلمى رعبا في القبو، فقد قامت منى بفتح القبو بعد أن لاحظت تغيب زوجها بالأسفل ونزلت لتجده ملقى على الأرض وقد فقد وعيه.

بعد تلك الحادثة تغير حلمى تماما، لقد ازدادت حالته سوءا، صار يصرخ بلا سبب، ويهدى بعبارات غامضة لم تجد لها منى تفسيراً.

كان صفوت الإبن الأكبر يبلغ حين ذاك ستا وعشرين سنة، وكان مقيما في القاهرة حيث كان يعمل في الصحافة قبل أن يتفرغ للكتابة بعد ذلك.

لم يكن صفوت يعلم بما حدث لأبيه ولم تكن أمه لتخبره بهذا ظلنا منها أن

حلمى ستتحسن حالته عما قريب!

بعد أقل من شهر تدهورت حالة حلمى بصورة مفزعة.. كانت تتنابه نوبات من التشنجات ليس لها تفسير طبي، عجز الأطباء الذين كانت تستدعيهم منى عن معالجته، وكان التشخيص بأنه لا سبب عضوى وإنما هي حالة نفسية تستدعى الراحة وبعض المهدئات.

لقد كان حلمى يظن أنه مهددا بالقتل ممن حوله، بدأ يشك في زوجته منى أنها تريد قتله لأنها تحب رجلا آخر وتريد أن تكمل حياتها معه، كان يتوهم أن أولاده يكرهونه بعنف وأنهم ينتظرون موته بشدة لأنه ربما لم يعد يلبى احتياجاتهم أو أنه صار عبئا عليهم، كان يرى وجوههم وهى تنظر له في قرف وامتعاض، لم يكن يصدق أن ينظر له أولاده هكذا، كان يصرخ في وجوههم ويصاب بالفزع كلما تطلع إليهم، لقد صارت حياته جحيما لا يطاق!

كان يرى كل شيء هو أداة قتل له، هذا السقف سيقع عليه في يوم ما، زوجته ستطعنه ليلا وهو غارق في نومه، أولاده يكرهونه بعنف ولن يترددوا في ايذائه متى استطاعوا ذلك!

أحست منى بأن زوجها لم يعد ودودا معها أو مع أولادها على الإطلاق، بل أكثر من هذا، إنها تشعر بأنه لم يعد ينتمى إلى العالم الذي يعيشون فيه، لم يعد يشعر بهم.. لقد رأت بعينها كيف أن ابنتها سارة انزلت من أعلى درجات السلم وأخذت تتدحرج إلى الأسفل وهى تصرخ وتستغيث بالدها الذي كان يمر - قدرا - من أمام السلم في الأعلى في طريقه إلى الحمام.. وباللحاجة حين رأته يسير في طريقه دون أن يلتفت إلى صراخ ابنته فضلا

عن أن يقوم بالإسراع لنجدتها!

ازدادت الأمور سوءا بعد سوء، فقد كان ينزوى وحيدا في ركن غرفته ولا يقرب طعاما أو نوما وكل ما يقوم بفعله هو أن يجلس على فراشه ويهز رأسه ونصفه الأعلى إلى الأمام والخلف وهو يردد بعض الكلمات الغريبة التي لم تفهم منى منها شيئا، لكنها استطاعت بصعوبة أن تميز بعض الكلمات مثل قطة.. قطة سوداء!

هنا.. اتخذت منى قرارها واتصلت بأحد الأطباء الذين جاءوا لمعالجته من قبل فأخبرها بأنه سيرسل في الصباح سيارة تتبع أحد المراكز النفسية ليتم حجزه به حتى يتلقى علاجا مكثفا أصبح في حاجة ماسة إليه نظرا لخطورة بقائه هكذا في المنزل، وأخبرها أن تتعامل معه بحذر حتى يحضروا في صباح الغد.

نامت منى تلك الليلة بجوار زوجها بعد أن كانت تنام في الأيام الماضية بجوار أولادها وذلك لأن حلمى كان يصرخ فيها ليلا لتخرج من الغرفة، لكنها في تلك الليلة تعجبت حين رأته مسالما للغاية وهادئا بل أنه طلب منها أن تبين إلى جواره قبل أن يرقد في فراشه مبكرا متخذاً وضعية النوم. أحست منى بالسعادة لأنها ترى زوجها يستعيد عافيته وتهدأ أعصابه حتى أنها فكرت أن تتصل في الصباح الباكر بالطبيب لتتغى ما رتبته من حجزه في المركز النفسى.

وفى تلك الليلة الموعودة كانت منى غارقة في نومها العميق حين قام حلمى من فراشه في الساعة الحادية عشرة ذاهبا إلى المطبخ ليحضر سكيناً

كبيراً ثم عاد إلى غرفته حيث تنام زوجته منى..

لم تجد المسكينة الوقت كي تفكر في السبب الذي جعل زوجها يفعل فعلته تلك، لعل الشئ الوحيد الذي حالها الحظ فيه هو أنها رحلت قبل أن ترى زوجها وهو يقتل فلذات أكباده وأكبادها ثم يصعد فوق القصر ليرمي بنفسه من الأعلى فتتكسر رقبته ويموت في الحال!

استيقظ أهل القرية على تلك الفاجعة التي لم يروا لها مثيلاً في تاريخ قريتهم، أظهرت التحقيقات أن حلمى هو من قتل زوجته وأولاده، لم يصدق أحد أن يفعل حلمى تلك الفعل، لقد كان رجلاً حكيماً طيباً قضى عمره وجهده في الغربة ليوفر لأسرته العيش الكريم فكيف يقضى عليهم هكذا وينتحر من فوق قصره!

أثرت تلك الفاجعة في "صفوت حلمى الحملأوى" الإبن الأكبر تأثيراً كبيراً، قرر أن يقطع علاقته بتلك القرية وأهمل القصر تماماً واشترى من الأموال التي ورثها فيلا في منطقة المقطم بالقاهرة واشتغل بالكتابة إلى أن صار كاتباً مشهوراً يتابعه كثير من القراء.

منذ أشهر قليلة قرر الحملأوى أن يستغل هذا القصر بدلاً من وجوده هكذا بلا فائدة، فقرر بيعه والإستفادة من ثمنه الباهظ بعد أن تبدل حال القرية وصار لها موقعا ممتازا على أحد الطرق الرئيسية.

فى هذه اللحظة قررت - أنا سوكر - أن أغادر هذا الملل الذي أقبع فيه وأن أتهيأ للمهمة التي يتوجب على القيام بها، كان لابد من منع هذا الحملأوى من بيع القصر الذي أقوم أنا بحراسة المقبرة المدفونة تحته.

ظلت أتابع أخباره أولاً بأول وعلمت بحفل توقيعه هذا فقررت الذهاب إليه، اخترت لنفسى اسماً وجلست أردده في هذا القصر حتى لا أنساه.. أحمد سعيد، شاب يتابع كتابات الحملأوي بشغف شديد، يريد الإقتراب منه والحصول على أية فرصة سانحة للتخلص من الحملأوي قبل أن يتخذ قراره ببيع القصر، كنت قد قرأت كل أعماله من قبل هذا، لأن الحملأوي كان يحضر نسخاً من أعماله جميعاً ويقوم بوضعها في المكتبة أثناء قدومه إلى القصر في زيارته النادرة. كان عليّ مراجعتها حتى أفلح في جذب إهتمامه حين أتقابل به، لم أفلح في ذلك أثناء حفل التوقيع لكن القدر شاء أن يمنحني تلك الفرصة على طبق من ذهب حين اتصل بي الحملأوي ودعاني لقضاء أمسية مثيرة في بيته.. يالها من مفارقة!

الشخص الذي يدعوك لإنقاذه هو نفس الشخص الذي تبحث عن فرصة لقتله!

توهم الحملأوي أنه مصاب بلعنة قاتلة، تملكه الوهم بعد اتصال صديقه به يخبره أن القصة التي قرأها تحتوي على لعنات قاتلة وأن عليه التخلص منها عن طريق نقلها إلى شخص آخر.

لم يكذب صديقه في هذا الأمر وإنما الذي ادعى ذلك هو هذا الساحر الذي ما إن علم بسرقة الحملأوي لكتابه حتى قرر إخافته لأقصى حد، فأرسل إلى عماد الأشمونى بعد أن توصل إليه عن طريق أحد الفجر الذي ساعد الحملأوي في الوصول إلى هذا الساحر من قبل - من المؤكد أن هذا ما حدث - وأبلغه بأمر تلك اللعنة التي تصيب قارئ الكتاب واستند في هذا

لبعض الأخبار والنصوص القديمة في كتب السحر والتاريخ.

لا أعلم حقا إن كانت تلك القصة تحمل لعنة حقيقية أم لا، ربما مقتل الحملأوي بهذه الطريقة يوحي بأن لعنة قاتلة هي ما تسببت في ذلك ولو كان هذا صحيحا سأكون أنا هي لعنته تلك!

اختارنى الحملأوي لأنني شاب متحمس للقائه ومستعد لفعل ذلك في أي وقت، فلم يكن ليراهن على شخص سيتردد في المجيء إليه أو يأخذ وقتا في هذا فتضيع عليه فرصته في النجاة عند طلوع الشمس، لم أتردد لحظة وقلت باستغلال الفرصة على أكمل وجه.

لم أقتل الحملأوي.. بل هيأت له كل شيء حتى يقوم هو نفسه بذلك.. فقط استأذنته في الذهاب إلى الحمام ثم مررت بالمطبخ لأحضر ذاك الحبل الذي كان قد استعاره جاره وأحضره في جوف الليل.. هذا العجوز الذي تخصص في سرقة الجثث الطازجة والإحتفاظ بها في التوابيت بشقته العفنة التي لم يكن يسكنها وإنما يستخدمها في تخزين جثته وبيعها إلى طلاب كلية الطب، قمت بالصعود إلى غرفته وتعليق الحبل الخشن في السقف ثم وضعت له المقعد، وكان علي أن أقوم بتمثيل الدور جيدا حتى يصل الحملأوي إلى المرحلة التي يحاول فيها اثبات وجود تلك الأشياء التي أنكرها.

لم يحسب الحملأوي حين لف الحبل حول عنقه أن المقعد سينفلت من تحته لأي سبب، كان على وشك إزالة الحبل من حول رقبته لولا أنني اقتربت منه في الوقت المناسب وقمت بإسقاط المقعد من أسفل قدميه فقطع

الحبل أحد أوردة رقبته النخيفة ومات غارقاً في دمائه.

عند ذلك انقضت مهمتى في هذه الفيلا لأعود إلى شقة الهرم لأقضى بها الوقت إلى المساء كي يتسنى لى الإستمتاع بمشهد الغروب من القطار ولأننى أحب السير ليلا على كل حال.

وها أنا قد عدت إلى القصر سالما أتذكر معكم أحداث تلك الليلة الماضية.

لعلك تذكر ليلة أن سرت بجوار الحملاوي في الصحراء لتجلب الأخشاب من شقة العجوز، وقتها خرج عليّ ذئب ضخم فكنت أستغرب وقتها كيف ارتعد هذا الذئب فجأة حين اقترب منى، لم أكن أعلم أن الحيوانات لا تتخضع بتلك الهيئة التي كنت أبدو عليها وإنما رأى الذئب على حقيقتى فأصابه الفزع ولاذ بالفرار!

وأخيرا لم أكن لأعبأ بهذا الحملاوي أو أتعرض له بأذى لو أنه ظل بعيدا عن القصر ولم ينو التعرض له بسوء، إن فكرة وقوع القصر في قبضة شخص غير مناسب خطيرة جدا ولن أسمح بها في يوم ما، كما أن خداعه لى جعلنى لا أشعر بالندم على قتله، هذا الرجل كان ليقتلنى لو تحتم عليه ذلك، لقد قرر قتلى بالفعل حين روى لى قصته التي تعج بتعويذاتها الملعونة كما يزعم.. لقد استحق مصيره عن جدارة!

بروملى - لندن

فى ضاحية صغيرة هادئة من ضواحي المدينة الجميلة التي تراصت فيها المنازل بجداثتها الأمامية الصغيرة بجوار بعضها في انتظام وسلام، كان كل شيء يبدو هادئاً في هذا المساء الناعم، سيارة حمراء تقف أمام أحد المنازل، نوافذ الطابق الأسفل لهذا المنزل كلها مغطاة بالستائر، إلا نافذة واحدة أزيح عنها الستار.

بالاقتراب تدريجياً نحوها تجد من خلف تلك النافذة هارولد البالغ من العمر خمساً وسبعين عاماً يقف متأملاً حديثه الأمامية، كان في انتظار أمر ما، أدار رأسه نحو حاسوبه النقال ليجد تلك الرسالة التي جاءت من مكان بعيد..

"مستر هارولد.. هناك خبر سيء وآخر سار... لقد انتحر صفوت الحملوي في منزله منذ عدة أيام.. وأما الخبر السار فقد استطاع الوسيط شراء القصر قبل أيام من وفاة الحملوي.. ملكية القصر في حوزتنا الآن.. المجموعة كلها في انتظارك حتى نبدأ المهمة"

أغلق حاسوبه ثم نظر إلى شيء في ركن من أركان الغرفة وعلى وجهه ابتسامة غامضة، كان هذا الشيء الذي ينظر إليه هارولد هو صورة مرسومة لرجل كبير مكتوب في أسفلها:

"اللورد هانز بايرون.. أستاذ التاريخ المصرى القديم - جامعة لندن"

كان كل ما يجول في خاطر هارولد هو ذكرى والده هانز عندما حكى له قبل وفاته عن مقبرة فرعونية أسفل قصر قديم في محافظة مصرية كان يحاول الوصول إليها لولا ظروف مرضه الأخير التي منعتة من الذهاب إلى هذا القصر، حيث اكتفى بإرسال الخريطة إلى صديقه المصرى الذي وضعها في كتاب وأرسلها بدوره إلى صاحب القصر آنذاك (شريف باشا الصاوى). إلا أن شريف باشا لم يفتح الرسالة ولم يعلم أحد ماذا جرى للمقبرة في ذلك الوقت.

إن هارولد يسعى لاكتشاف تلك المقبرة التي كان يسعى والده هانز لاكتشافها، فقد ورث عنه حبه للآثار الفرعونية، وشغفه الدائم بملاحظتها أينما وجدت.

كان هانز قد دوّن كل شيء عن تلك المقبرة في أوراق خاصة وضعها في أدراج مكتبته، وأوصى ابنه بها بعد وفاته، لم يكن هارولد يدرك قيمتها في ذلك الوقت، ولكن حين كبر وتخصص في مجال أبيه استخرج تلك الأوراق، وعقد عزمه على مواصلة المهمة التي كان أبوه قد بدأها من قبل.

سافر إلى مصر أكثر من مرة وتعرف خلالها على بعض الأساتذة الذين ساعدوه سرّاً في الوصول إلى تلك القرية في ايتاى البارود حيث يقبع القصر، وبعد أن تأكد من سلامة المقبرة وأن أحداً لم يمسه قرر في نفسه أن يشتري القصر من أصحابه عن طريق وسيط مصري هو الذي يقوم بشراء القصر باسمه، حتى لا يدخل هارولد في الإجراءات القانونية

الخاصة بتملك غير المصريين للعقارات، وحتى لا يثير من حوله الشبهات، كان القصر مهجوراً في هذا الوقت فسأل عن أصحابه فأخبروه أن له مالكا واحداً هو صفوت الحملأوي قد انتقل حديثاً إلى القاهرة، عاد هارولد إلى انجلترا لظروف طارئة تتعلق بأسرته؛ حيث توفت والدته التي كان يحبها حباً شديداً فأثر ذلك في نفسه كثيراً، مما جعله ينسى أمر هذا القصر مؤقتاً، ولكنه بعد أن أفاق من صدمته هذه أخذ يتابع كل شيء عن القصر طوال تلك السنوات من منزله في بروملي.

لقد تعرف هارولد مؤخراً على يحيى أمين الذي تخرج من كلية الآثار جامعة القاهرة، ونال الماجستير من جامعة درم في شمال انجلترا، وأسند إليه مهمة انتقاء أفراد الفريق الذي سيقتمم القصر، إن هذا الفريق لابد أن يتحلى بصفات خاصة حتى يكون قادراً على مواجهة الخطر الذي يحيط بالمقبرة، لقد قرأ هارولد أوراق والده باهتمام بالغ، وعلم أن خطراً واحداً يقف عقبة أمام تحقيق هدفه، هذا الخطر الذي لم يفلح أحد في مواجهته من قبل..

سوكرا!

تمت

المؤلف في سطور

روائي مصري من محافظة البحيرة، تخرج في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية من كلية الآداب جامعة الإسكندرية، يدرس حالياً في مرحلة الماجستير في تخصص علم اللغة، فاز بالمركز الأول في الشعر الفصحى على مستوى جامعة الإسكندرية ، نُشرت له روايته الأولى " سوكر " سنة ٢٠١٤ .

الفيسبوك :

<https://www.facebook.com/mohamed.halawa.566>

halawa.566



للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com